

في ذكرى السيرة النبوية

جلال السيرة .. وجمال المسيرة

السيرة النبوية في دقائق

تأليف الدكتور

صالح بن مسفر القرشي الزهراني

حملة المليار العالمية لنشر السيرة النبوية

تحت إشراف رابطة العالم الإسلامي



ح فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية
السيرة النبوية في دقائق/ ناصر بن مسفر القرشي الزهراني
مكة المكرمة، 1436هـ
ردمك: 978-603-90705-0-4
1- السيرة النبوية أ. العنوان
ديوي 239 1436/8274هـ

الطبعة الثانية
1440هـ - 2019م

(أوقاف السلام)

المملكة العربية السعودية مكة المكرمة - حي النسيم
ص.ب.: 7116 مكة المكرمة 21955

المواقع الإلكترونية
annabi.org
assalamu-alayka.tv
sira.online

للتواصل

+966555905310 +201100660333
+966125282605 +201100660444

أرقام حسابات أوقاف السلام البنكية

بنك الرياض	SA 4620000001782075009940
البنك الأهلي السعودي	SA 8910000000577233000103
بنك البلاد	SA 3515000671122735360003
مصرف الإنماء	SA 3905000068218000018000



﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦ ﴾

[سورة الأحزاب]

السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ

التَّعْرِيفُ المُوجَزُ بِالمَشْرُوعِ

هُوَ مَشْرُوعٌ عِلْمِيٌّ عَالَمِيٌّ حَضَارِيٌّ إِنْسَانِيٌّ لِلتَّعْرِيفِ الشَّامِلِ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَشَرِيعَتِهِ السَّمْحَةِ بِالعِلْمِ وَالحِكْمَةِ، بِأَحْدَثِ الأَسَالِيبِ وَالتِّقْنِيَاتِ، مُعْتَمِدًا عَلَى القُرْآنِ الكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ الشَّرِيفَةِ، أَشْرَقَتْ شَمْسُهُ مِنْ مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ مِنَ المَمْلَكَةِ العَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ، فِي ظِلِّ قِيَادَتِهَا الحَكِيمَةِ.

كانت بداية تأسيسه في: عَامِ ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، بِمُحَاوَلَةِ تَأْلِيفِ كِتَابٍ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ، بِقَصْدِ التَّجْدِيدِ فِي كِتَابَتِهَا وَالتَّفَنُّنِ فِي عَرْضِهَا، ثُمَّ تَطَوَّرَتْ إِلَى هَذَا المَشْرُوعِ العَالَمِيِّ الكَبِيرِ، وَيَشْتَمِلُ عَلَى عِدَّةِ أَقْسَامٍ:

- مَوْسُوعَةُ السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ الَّتِي يُقَدَّرُ أَنْ تَتَجَاوَزَ (٥٠٠) خَمْسِمِائَةِ مُجَلَّدٍ.
- مَوْسُوعَةُ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ فِي ثَوْبِهَا الجَدِيدِ.
- مَوْسُوعَةُ دَائِرَةِ المَعَارِفِ القُرْآنِيَّةِ.
- مَعَارِضُ وَمَتَاحِفُ السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ الحَضَارِيَّةُ العَالَمِيَّةُ.
- قَنَاةُ السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ.
- بَوَّابَةُ السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ الإِلِكْتُرُونِيَّةُ.
- مَكْتَبَةُ السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ.
- مَرْكَزُ الحِكْمَةِ وَالحِوَارِ العَالَمِيُّ لِلتَّدْرِيبِ.

وَالمَشْرُوعُ بِجَمِيعِ أَقْسَامِهِ مُؤَسَّسَةٌ وَقْفِيَّةٌ عَالَمِيَّةٌ، وَسَيَكُونُ لَهُ -بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى- فُرُوعٌ دَائِمَةٌ حَوْلَ العَالَمِ، إِضَافَةً إِلَى المَعَارِضِ المُتَنَقِّلَةِ.

وَقَدْ سَطَّرَ المُفْتُونَ وَكِبَارُ العُلَمَاءِ حَوْلَ العَالَمِ إِشَادَاتِهِمْ بِهِ وَثَنَاءَاتِهِمْ عَلَيْهِ، وَلِلاطِّلاعِ عَلَى ذَلِكَ يُرْجَعُ إِلَى (انْطِبَاعَاتُ المُحِبِّينَ وَثَنَاءَاتُ الزَّائِرِينَ) بِمَوْقِعِ المَشْرُوعِ الإِلِكْتُرُونِيِّ.

السيرة النبوية في ثوبها الجديد

تَمَّ -بِفَضْلِ اللهِ تَعَالَى- إِنْجَازُ عَدَدٍ مِنْ إِصْدَارَاتِ «مَوْسُوعَةُ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ فِي ثَوبِهَا الْجَدِيدِ» بِقَلَمِ الْمُؤَلِّفِ، وَهِيَ تَرْبُو عَلَى (١٠٠) مِائَةِ كِتَابٍ، وَمِنْهَا:

١. السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ فِي دَقَائِقَ
٢. السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ الْيَسِيرَةُ
٣. السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ فِي الْآخِرَةِ
٤. سِيرَةُ الْجَسَدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ
٥. سِيرَةُ الْبَيْتِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ
٦. سِيرَةُ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ
٧. أَجْمَلُ إِنْسَانٍ فِي الْكَوْنِ
٨. النَّبِيُّ ﷺ صَابِرًا
٩. النَّبِيُّ ﷺ مُصَلِّيًا
١٠. النَّبِيُّ ﷺ حَاجًّا وَمُعْتَمِرًا
١١. النَّبِيُّ ﷺ وَغَيْرُ الْمُسْلِمِينَ - حُقُوقُهُمْ وَحُسْنُ التَّعَامُلِ مَعَهُمْ
١٢. فَضَائِلُ النَّبِيِّ ﷺ وَشَمَائِلُهُ
١٣. دَلَائِلُ النُّبُوَّةِ وَمُعْجِزَاتُ الرِّسَالَةِ
١٤. «إِلْهَامُ السَّلَامِ» .. دِيوَانُ شِعْرٍ

السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ في دَقَائِقَ.. خَصَائِصُ وَمُمَيِّزَاتٌ

١. أَوَّلُ كُتَيِّبٍ جَيْبِيٍّ شَامِلٍ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ، بِحَيْثُ يَكُونُ أَنِيسًا فِي الْحَضَرِ، وَرَفِيقًا فِي السَّفَرِ.

٢. خَفِيفَةُ الْحَمْلِ، صَغِيرَةُ الْحَجْمِ، كَثِيرَةُ الْفَوَائِدِ، جَلِيلَةُ الْعَوَائِدِ.

٣. جَمَعَتْ جَلَالَ السِّيرَةِ، وَجَمَالَ الْمَسِيرَةِ، وَزُلَالَ السُّنَّةِ، وَمَعَالِمَ الْمِنْهَاجِ.

٤. تَمَّ اخْتِيَارُ نُصُوصِهَا وَتَمْحِيصُهَا مِنْ بَيْنِ عَدَدٍ ضَخْمٍ مِنَ الرِّوَايَاتِ، بِحَيْثُ تُؤَدِّي الْغَرَضَ بِأَوْجَزِ الْعِبَارَاتِ.

٥. خَالِيَةٌ مِنَ الرِّوَايَاتِ الْوَاهِيَةِ أَوِ الْأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ، وَمُخَرَّجَةٌ عَلَى أَدَقِّ وُجُوهِ الصَّنْعَةِ الْحَدِيثِيَّةِ.

٦. مُعْتَمِدَةٌ اعْتِمَادًا كُلِّيًّا عَلَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ الشَّرِيفَةِ.

٧. اشْتَمَلَتْ عَلَى عَرْضٍ مُوجَزٍ عَنْ مَكَانَةِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ وَاحْتِرَامِهِمْ.

٨. اشْتَمَلَتْ عَلَى عَرْضٍ مُوجَزٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ﷺ.

٩. اشْتَمَلَتْ عَلَى عَرْضٍ مُوجَزٍ لِكَرِيمِ آدَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَطَائِفِ أَخْلَاقِهِ، وَرَوَائِعِ شَمَائِلِهِ، وَدَلَائِلِ نُبُوَّتِهِ ﷺ.

١٠. اشْتَمَلَتْ عَلَى عَرْضٍ شَامِلٍ لِأَرْكَانِ الْإِسْلَامِ وَمَبَادِئِهِ الْعِظَامِ، وَتَعَالِيمِهِ السَّمْحَةِ.

١١. اشْتَمَلَتْ عَلَى قُرَابَةِ (٣٠٠) ثَلَاثِمِائَةِ آيَةٍ قُرْآنِيَّةٍ، وَقُرَابَةِ (١١٠٠) أَلْفٍ وَمِائَةِ حَدِيثٍ شَرِيفٍ.

١٢. اشْتَمَلَتْ عَلَى قُرَابَةِ (٦٠٠) سِتِّمِائَةِ عُنْوَانٍ.

١٣. اشْتَمَلَتْ عَلَى تَعْرِيفَاتٍ لِلْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ وَلِلْأَمَاكِنِ وَالْقَبَائِلِ قُرَابَةِ (٨٥٠) ثَمَانِمِائَةٍ وَخَمْسِينَ تَعْرِيفًا.

١٤. مُدَقَّقَةٌ تَدْقِيقًا عِلْمِيًّا مُحْكَمًا، وَمَضْبُوطَةٌ بِالشَّكْلِ ضَبْطًا كَامِلًا.

١٥. صِيغَتْ بِأُسْلُوبٍ أَدَبِيٍّ مُحْكَمٍ، يَخْلُو مِنَ الْإِطْنَابِ وَالِاسْتِطْرَادِ.

١٦. حَظِيَتْ بِمُرَاجَعَةِ وَتَدْقِيقِ أَكْثَرَ مِنْ (٢٠٠) مِائَتَيْ عَالِمٍ وَبَاحِثٍ مُتَخَصِّصٍ.

١٧. حَظِيَتْ بِتَقْرِيظِ أَكْثَرَ مِنْ (٥٠) خَمْسِينَ مُفْتِيًا وَعَالِمًا مِنْ كِبَارِ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ.

١٨. تُرْجِمَتْ إِلَى أَكْثَرَ مِنْ (٢٥) خَمْسٍ وَعِشْرِينَ لُغَةً.

المقدمة

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى خَاتَمِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ، سَيِّدِنَا وَنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ: فَهَذَا عَرْضٌ لِدَقَائِقِ السِّيرَةِ، وَلَطَائِفِ المَسِيرَةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ؛ لِقِرَاءَةِ مَوْضُوعَاتِهَا فِي دَقَائِقَ يَسِيرَةٍ، أُقَدِّمُهَا أُنْسًا لِلْمُحِبِّينَ، وَنُورًا لِلْمُهْتَدِينَ. وَهِيَ سِيرَةٌ مِنَ القُرْآنِ الكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ الشَّرِيفَةِ. وَقَدْ وَفَّقَنِي اللهُ ﷻ لِجَمْعِهَا مِنْ بَيْنِ عَدَدٍ ضَخْمٍ مِنَ النُّصُوصِ، بَذَلْتُ فِيهَا جُهْدًا كَبِيرًا، وَحَبَّرْتُهَا تَحْبِيرًا، فَأَصْبَحَتْ بِفَضْلِهِ ﷻ جَامِعَةً مَاتِعَةً. وَلَئِنْ كَانَتْ صَغِيرَةً فِي مَبْنَاهَا فَهِيَ عَظِيمَةٌ فِي مَعْنَاهَا، جَلِيلَةٌ فِي مُحْتَوَاهَا، فَرِيدَةٌ فِي عَرْضِهَا، مُمَيَّزَةٌ فِي أُسْلُوبِهَا. إِنَّهَا وَرَقَاتٌ مِنْ سِجِلَّاتِ الكَمَالِ، وزَهَرَاتٌ مِنْ بَسَاتِينِ الجَمَالِ. إِنَّهَا لُبَابُ اللُّبَابِ، وَسُلَافُ الشَّهْدِ المُذَابِ. أَسْأَلُ اللهَ ﷻ أَنْ يَتَقَبَّلَهَا، وَأَنْ يَنفَعَ بِهَا، وَأَنْ يَرْزُقَنَا شَفَاعَتَهُ ﷺ، وَوُرُودَ حَوْضِهِ الشَّرِيفِ، إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.

رحمة للعالمين

تَسَابَقَتِ الحُرُوفُ تَتِيهُ فَخْرًا ... لِمَدْحِكَ يَا حَبِيبَ المُؤْمِنِينَا

وَأَلْفَاظُ المَوَدَّةِ فِي سُرُورٍ ... وَأَوْزَانُ القَصَائِدِ يَحْتَفِينَا

أَتَيْتَ مَوَدَّةً وَرِضًا وَلُطْفًا ... وَصُبْحًا يَبْعَثُ البُشْرَى مُبِينَا

أَتَيْتَ هُدًى وَسُلْوَانًا وَنُورًا ... تُضَاءُ بِهِ دُرُوبُ السَّالِكِينَا

هُوَ اللهُ اصْطَفَاكَ رَسُولَ حَقٍّ ... إِلَى مِنْهَاجِهِ الأَسْمَى دُعِينَا

رَسَمْتَ لَنَا المَحَجَّةَ فَهْيَ شَمْسٌ ... تُبِيدُ ظَلَامَ لَيْلِ الغَافِلِينَا

رَؤُوفٌ مُحْسِنٌ سَمْحٌ كَرِيمٌ ... وَكُنْتَ الصَّادِقَ البَرَّ الأَمِينَا

كَفَاكَ المَدْحُ مِنْ رَبٍّ عَظِيمٍ ... بِأَنَّكَ رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَا

مَقْطَعٌ مِنْ قَصِيدَةٍ لِلْمُؤَلِّفِ

الحكمة من إرسال الرسل عليهم السلام

بَعَثَ اللهُ ﷻ الرُّسُلَ عليهم السلام مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ؛ لِهِدَايَةِ النَّاسِ وَدَعْوَتِهِمْ لِعِبَادَتِهِ ﷻ وَحْدَهُ دُونَ سِوَاهُ، وَلِئَلَّا يَكُونَ لَهُمْ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ، قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٥].

أول الأنبياء عليهم السلام

أَبُو البَشَرِ آدَمُ عليه السلام هُوَ أَوَّلُ مَنْ حَمَلَ هِدَايَةَ اللهِ ﷻ إِلَى الأَرْضِ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٣]. وَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَبِيٌّ كَانَ آدَمُ؟ قَالَ: «نَعَمْ مُكَلَّمٌ» [ابن حبان: ٦١٩٠].

دعوة الأنبياء عليهم السلام واحدة

الإِسْلَامُ هُوَ الدِّينُ الَّذِي اخْتَارَهُ اللهُ ﷻ لِلنَّاسِ كَافَّةً، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩].

وَهُوَ دِينُ الأَنْبِيَاءِ جَمِيعًا عليهم السلام دَعَوْا إِلَيْهِ وَتَوَاصَوْا بِهِ قَالَ ﷻ

﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٢-١٣٣].

فَرِسَالَاتُ الأَنْبِيَاءِ ﷺ وَاحِدَةٌ، وَهِيَ دَعْوَةُ النَّاسِ جَمِيعًا إِلَى تَوحِيدِ رَبِّهِمْ ﷻ وَعِبَادَتِهِ دُونَ سِوَاهُ، وَهِدَايَتُهُمْ إِلَى الحَقِّ وَالخَيْرِ وَالنُّورِ وَالهُدَى، ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وَﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وَيَقُولُ ﷺ: «الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ» [البخاري: ٣٤٤٣، ومسلم: ٢٣٦٥/١٤٥]. «إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ»: أَبْنَاءُ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْ أُمَّهَاتٍ شَتَّى، وَمَعْنَاهُ أَنَّ الأَنْبِيَاءَ ﷺ بُعِثُوا مُتَّفِقِينَ فِي أُصُولِ الدِّينِ، مُتَنَوِّعِينَ فِي فُرُوعِ الشَّرَائِعِ وَالأَحْكَامِ.

الاحتفاء بالأنبياء عليهم السلام

جَاءَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِأَجْمَلِ الْهَدْيِ وَأَحْسَنِهِ فِي الْحَدِيثِ عَنِ الأَنْبِيَاءِ عليهم السلام، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، وَوُجُوبِ الإِيمَانِ بِهِمْ، وَبِمَا أُنـزِلَ إِلَيْـهِمْ. قَالَ: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٦]، وَقَالَ: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وَقَالَ: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، وَقَالَ: ﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦].

وَأَخْبَرَ ﷺ أَنَّ مِنْ أَرْكَانِ الإِيمَانِ بِاللهِ ﷻ الإِيمَانَ بِكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ عليهم السلام. [البخاري: ٥٠، ومسلم: ٩].

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَعْظَمَ النَّاسِ قُدوَةً فِي هَذَا الشَّأْنِ، إِذْ غَرَسَ فِي نُفُوسِ أَتبَاعِهِ الإِيمَانَ بالأَنبِيَاءِ ﷺ وَمَحَبَّتَهُمْ وَتَوقِيرَهُم، وَالذَّبَّ عَنْ أَعْرَاضِهِمْ، وَعَدَمَ التَّفرِيقِ بَيْنَهُمْ، وَضَرَبَ الأُسْوَةَ الحَسَنَةَ بِهِمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَتَزَيَّنَتْ سُنَّتُهُ الشَّرِيفَةُ وَسِيرَتُهُ العَطِرَةُ بِأَخْبَارِهِمْ وَالحَدِيثِ عَنهُمْ ﷺ.

وَمِنْ بَدَائِعِ ذَلِكَ: قَوْلُهُ ﷺ: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحسَنَهُ وَأَجمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟ فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ» [البخاري: ٣٥٣٥، ومسلم: ٢٢٨٦/٢٢]. «اللَّبِنَةُ: قَالِبٌ مِنَ الطِّينِ لِلبِنَاءِ»، وَقَوْلُهُ ﷺ: «لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنبِيَاءِ اللَّهِ» [البخاري: ٣٤١٤، ومسلم: ٢٣٧٣].

رَسُولُ اللهِ إِبْرَاهِيمُ ﷺ

أَبُو الأَنبِيَاءِ ﷺ، وَرَائِدُ الحُنَفَاءِ، وَرَافِعُ مَنَارِ التَّوحِيدِ. قال ﷻ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾

[النحل: ٢٠]. وَقَدْ ذُكِرَ ﷺ بِاسْمِهِ الصَّرِيحِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ تِسْعًا وَسِتِّينَ مَرَّةً (٦٩).

جَاءَ ﷺ إِلَى مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ مُصْطَحِبًا هَاجَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وابْنَهُمَا إِسْمَاعِيلَ ﷺ، فَاسْتَقَرَّ بِهِمَا الْمُقَامُ فِيهَا، وَرَحَلَ إِبْرَاهِيمُ ﷺ بَعْدَ أَنِ «اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْبَيْتَ، ثُمَّ دَعَا بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: ﴿رَبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]» [البخاري: ٣٣٦٤].

وَقَدْ أَكْرَمَ اللهُ ﷻ إِسْمَاعِيلَ ﷺ وَأُمَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِمَاءِ زَمْزَمَ - أَفْضَلِ مَاءٍ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ -، إِذْ «بَحَثَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِجَنَاحِهِ، حَتَّى ظَهَرَ الْمَاءُ» [البخاري: ٣٣٦٤].

وَفِي إِحْدَى زِيَارَاتِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ لِمَكَّةَ أَمَرَهُ اللهُ ﷻ أَنْ يَرْفَعَ قَوَاعِدَ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ [البخاري: ٣٣٦٤]، وَيُطَهِّرَهُ مِنَ الشِّرْكِ،

﴿وَيَدْعُوَ النَّاسَ لِلْحَجِّ إِلَيْهِ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٦، ٢٧]. «بَوَّأْنَا»: عَرَّفْنَا وَهَيَّأْنَا، «يَأْتُوكَ رِجَالًا»: يَمْشُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ، «ضَامِرٍ»: خَفِيفُ اللَّحْمِ مِنَ الإِبِلِ.

أول مسجد في الأرض:

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [آل عمران: ٩٦، ٩٧].

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الأَرْضِ أَوَّلَ؟ قَالَ: «الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ»، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «الْمَسْجِدُ الأَقْصَى»، قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ سَنَةً» [البخاري: ٣٣٦٦، ومسلم: ٥٢٠].

إبراهيم ﷺ يدعو ببعثة النبي ﷺ:

وَهُنَاكَ فِي ذَاكَ الْمَقَامِ الطَّاهِرِ ابْتَهَلَ إِبْرَاهِيمُ ﷺ إِلَى رَبِّهِ ﷻ قَائِلًا: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]. فتقبَّلَ اللهُ تعالى تِلْكَ الدَّعَوَاتِ الْمُبَارَكَاتِ، فَكَانَ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ﷺ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، سَيِّدُ الخَلْقِ ﷺ، وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ﷺ. وَحِينَ سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: مَا كَانَ أَوَّلُ بَدْءِ أَمْرِكَ؟ قَالَ: «دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ» [أحمد: ٢٢٢٦١].

مودة النبي ﷺ لإبراهيم ﷺ وثناؤه عليه:

عَلَّمَنَا النَّبِيُّ ﷺ فِي التَّشَهُّدِ فِي الصَّلَاةِ أَنْ نَقُولَ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ. اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ» [البخاري: ٣٣٧٠، ومسلم: ٤٠٦].

وَحِينَمَا جَاءَهُ ﷺ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام» [مسلم: ٢٣٦٩].

وَلَمَّا وُلِدَ لِلنَّبِيِّ ﷺ غُلَامٌ قَالَ مُبَشِّرًا: «وُلِدَ لِي اللَّيْلَةَ غُلَامٌ، فَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ» [مسلم: ٢٣١٥].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام» [البخاري: ٤٦٢٥، ومسلم: ٢٨٦٠/٥٨].

رَسُولُ اللَّهِ مُوسَى عليه السلام

قال تعالى: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٤]. وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ [مريم: 51].

وَقَدْ ذُكِرَ عليه السلام فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِاسْمِهِ الصَّرِيحِ (١٣٦) مِائَةً وَسِتًّا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً.

النَّبِيُّ ﷺ فِي الْكِتَابِ الْمُنْزَلِ عَلَى مُوسَى عليه السلام:

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ

مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وَحِينَ سُئِلَ عَبْدُ اللهِ بنُ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ، قَالَ: «أَجَلْ، وَاللهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي القُرْآنِ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ» [البخاري: ٢١٢٥]. «حِرْزًا»: حِصْنًا، «الأُمِّيُّونَ»: أي العَرَب، «سَخَّاب»: كثيرُ الخِصَامِ ورَفْعِ الصَّوْتِ.

مَوَدَّةُ النَّبِيِّ ﷺ لِمُوسَى عليه السلام وَثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ:

جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ عَدَدٌ مِنَ الأَحَادِيثِ الَّتِي يُثْنِي فِيهَا عَلَى رَسُولِ اللهِ مُوسَى عليه السلام، وَيَمْتَدِحُهُ، وَيَتَرَحَّمُ عَلَيْهِ،

فَمِنْ ذَلِكَ: قَوْلُهُ ﷺ: «لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى» [البخاري: ٢٤١١، ومسلم: ٢٣٧٣/١٦٠]. وَقَوْلُهُ ﷺ مُتَأَسِّيًا بِمُوسَى عليه السلام فِي صَبْرِهِ عَلَى مَا لَقِيَهُ مِنْ أَذًى: «رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى، لَقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ» [البخاري: ٣٤٠٥، ومسلم: ١٠٦٢].

وَقَوْلُهُ ﷺ: «إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا سِتِّيرًا» [البخاري: ٣٤٠٤، ومسلم: ٣٣٩/١٥٦ ((٤/١٨٤٢))].

رَسُولُ اللهِ عِيسَى عليه السلام

قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]. وَقَالَ ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]، وَقَالَ عَنْهُ عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٠، ٣١].

وَقَدْ جَاءَ ذِكْرُهُ عليه السلام فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِلَفْظِ «عِيسَى»، وَبِلَفْظِ «الْمَسِيحِ»، وَبِلَفْظِ «ابْنِ مَرْيَمَ» (٥٥) خَمْسًا وَخَمْسِينَ مَرَّةً.

مَرْيَمُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أُمُّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

ضَرَبَ اللَّهُ ﷻ بِهَا مَثَلًا لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَأَثْنَى عَلَيْهَا، فَقَالَ ﷻ: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم: ١٢].

وَفِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ سُورَةٌ بِاسْمِهَا (سُورَةُ مَرْيَمَ).

وَيَقُولُ ﷺ مُمْتَدِحًا إِيَّاهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ» [البخاري: ٣٤١١، ومسلم: ٢٤٣١].

نُزُولُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ آخِرَ الزَّمَانِ:

لِنَبِيِّ اللَّهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ رَوَابِطُ وَثِيقَةٌ، وَصِلَاتٌ عَمِيقَةٌ، مِنْهَا: أَنَّهُ آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قَبْلَهُ، وَمِنْهَا: أَنَّهُ بَشَّرَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَمِنْهَا: أَنَّ صِلَتَهُ بِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ صِلَةٌ قَوِيَّةٌ؛ فَهُوَ الَّذِي يَنْزِلُ آخِرَ الزَّمَانِ حَكَمًا عَدْلًا بِالْإِسْلَامِ. [البخاري: ٢٢٢٢، ومسلم: ١٥٥].

وَقَالَ ﷺ: «كَيْفَ أَنتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ؟!» [البخاري: ٣٤٤٩، ومسلم: ١٥٥/٢٤٤]. «وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ» أَيْ: فِي الصَّلَاةِ.

النَّبِيُّ عِيسَى عليه السلام يُبَشِّرُ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

وَلَمَّا سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: مَا كَانَ أَوَّلُ بَدْءِ أَمْرِكَ؟ قَالَ: «دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبُشْرَى عِيسَى» [أحمد: ٢٢٢٦١].

مَوَدَّةُ النَّبِيِّ ﷺ لِعِيسَى عليه السلام وَثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ:

قَالَ ﷺ: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى، الْأَنْبِيَاءُ أَبْنَاءُ عَلَّاتٍ، وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ عِيسَى نَبِيٌّ» [البخاري: ٣٤٤٣، ومسلم: ٢٣٦٥/١٤٥].

وَقَالَ ﷺ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ» [البخاري: ٣٤٣٥، ومسلم: ٢٨].

كَمَا أَخبَرَ ﷺ أَنَّ مَنْ «آمَنَ بِعِيسَى ثُمَّ آمَنَ بِي فَلَهُ أَجْرَانِ»
[البخاري: ٣٤٤٦، ومسلم: ١٥٤].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا نَخَسَهُ الشَّيْطَانُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ نَخْسَةِ الشَّيْطَانِ، إِلَّا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ»، ثُمَّ قَالَ أَبُوهُرَيْرَةَ: اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾
[آل عمران: ٣٦] [البخاري: ٤٥٤٨، ومسلم: ٢٣٦٦]. «نَخَسَهُ»: طَعَنَهُ فِي خَاصِرَتِهِ.

مُدَّةُ مَا بَيْنَ النَّبِيِّ عِيسَى عليه السلام وَالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ:

عَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «فَتْرَةٌ بَيْنَ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ سِتُّمِائَةِ سَنَةٍ» [البخاري: ٣٩٤٨].

اللهُ عز وجل خَلَقَ عِبَادَهُ حُنَفَاءَ

قَالَ تعالى: ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ ﴾ [الروم: ٣٠]. وَقَالَ ﷺ عَنِ اللهِ عز وجل: «وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ،

وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا» [مسلم: ٢٨٦٥].

«حُنَفَاءَ»: مُؤمِنُونَ مَائِلُونَ لِلحَقِّ، «اجتَالَتْهُمْ»: حَوَّلَتْهُمْ عَنْ طَرِيقِ الحَقِّ.

حال الأمم قبل مبعث النبي محمد ﷺ

وَصَلَتِ الحَالُ عِنْدَ العَرَبِ وَعِنْدَ غَيْرِهِمْ مِنَ الأُمَمِ إِلَى أَسْوَأ مَرَاحِلِهَا؛ فَقَدْ عَمَّ الشِّرْكُ بِاللهِ تَعَالَى، وَالجَهْلُ، والظُّلْمُ، والعَقَائِدُ الفَاسِدَةُ. [البخاري: ٣٦٧١، وأحمد: ١٧٤٠، ٣٣٨١]. يَقُولُ ﷺ: «إِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ؛ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ» [مسلم: ٢٨٦٥]. وَفِي خِضَمِّ تِلْكَ الأَحْوَالِ المُتَرَدِّيَةِ أَشْرَقَتْ شَمْسُ الرِّسَالَةِ المُحَمَّدِيَّةِ عَلَى العَالَمِينَ. قال ﷻ: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

حادثة الفيل

تُعَدُّ الحَدَثَ الأَكْبَرَ الَّذِي وَقَعَ قُبَيْلَ مَوْلِدِهِ ﷺ؛ فَقَدْ قَادَ أَبْرَهَةُ الأَشْرَمُ الحَبَشِيُّ مَلِكُ اليَمَنِ جَيْشًا عَظِيمًا

مِنَ الْيَمَنِ إِلَى مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ، وَمَعَهُمُ الْفِيلُ؛ يُرِيدُونَ هَدْمَ الْكَعْبَةِ الْمُشَرَّفَةِ، فَحَمَى اللَّهُ تَعَالَى بَيْتَهُ الْعَتِيقَ، وَأَهْلَكَ أَصْحَابَ الْفِيلِ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ فِي شَأْنِهِمْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ۝٥﴾ [سورة الفيل]. «أَبَابِيلُ»: جَمَاعَاتٌ مُتَفَرِّقَةٌ مُتَتَابِعَةٌ. «سِجِّيلٌ»: طِينٌ مُتَحَجِّرٌ. «الْعَصْفُ»: أَوْرَاقُ الزَّرْعِ.

وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْفِيلَ» [البخاري: ٦٨٨٠، ومسلم: ١٣٥٥]. وَكَانَتْ تِلْكَ الْحَادِثَةُ حَوَالَيْ عَامِ (٥٧٠ م) سَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ لِلْمِيلَادِ.

وَالِدُ النَّبِيِّ ﷺ

هُوَ: عَبْدُ اللَّهِ، أَحَدُ أَبْنَاءِ سَيِّدِ قُرَيْشٍ: عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَقَدْ تُوُفِّيَ شَابًّا وَزَوْجَتُهُ آمِنَةُ حَامِلٌ بِالنَّبِيِّ ﷺ. [مسلم: ١٧٧٩].
وَتُشِيرُ بَعْضُ الْآثَارِ إِلَى أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ كَانَ يَحْظَى بِمَكَانَةٍ كَبِيرَةٍ عِنْدَ وَالِدِهِ، وَكَانَ أَحَبَّ أَبْنَائِهِ إِلَيْهِ.

وَالِدَةُ النَّبِيِّ ﷺ

هِيَ: آمِنَةُ بِنْتُ وَهْبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ زُهْرَةَ بْنِ كِلَابٍ، وَهِيَ مِنْ أَفْضَلِ نِسَاءِ قُرَيْشٍ نَسَبًا وَمَكَانَةً، مِنْ بَنِي زُهْرَةَ.

[البخاري: ٣٥٥٥].

النَّسَبُ النَّبَوِيُّ الشَّرِيفُ

قَضَى اللَّهُ ﷻ أَنْ يَكُونَ ﷺ مِنْ أَشْرَفِ نَسَبٍ، وَأَكْرَمِ حَسَبٍ، يَقُولُ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ» [مسلم: ٢٢٧٦].

فَالنَّبِيُّ ﷺ هُوَ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيٍّ. [البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب مبعث النبي ﷺ]. وَيَنْتَهِي نَسَبُهُ الشَّرِيفُ ﷺ إِلَى جَدِّهِ إِسْمَاعِيلَ ﵇ ابْنِ الْخَلِيلِ إِبْرَاهِيمَ ﵇.

أعظم مولود في التاريخ

وُلِدَ ﷺ عَامَ الْفِيلِ، فِي مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ، فِي شِعْبِ بَنِي هَاشِمٍ، فِي يَوْمِ الاثْنَيْنِ، فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ.

وَقَدْ سُئِلَ ﷺ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الاثْنَيْنِ، فَقَالَ: «ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ فِيهِ» [مسلم: ٣٧٧/٣٣].

نورٌ أضاءت له قصور الشام

أَخْبَرَ ﷺ أَنَّ أُمَّهُ رَأَتْ حِينَ وَضَعَتْهُ «أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ» [أحمد: ٢٣٢٣].

من أسماء النبي ﷺ

قَالَ ﷺ: «لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِيَ الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ» [البخاري: ٣٥٣٢، ومسلم: ٢٣٥٤]. «يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي» أي: عَلَى أَثَرِي. «الْعَاقِبُ» الَّذِي يَخْلُفُ مَنْ سَبَقَهُ وَهُوَ الْخَاتَمُ.

وَقَالَ ﷺ: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمُقَفِّي، وَالْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ» [مسلم: ٢٣٥٥]. «الْمُقَفِّي» الَّذِي يَتْبَعُ الأَثَرَ، فَهُوَ ﷺ يَتْبَعُ آثَرَ الأَنبِيَاءِ عليهم السلام.

من مرضعاته ﷺ

مِنْ أَوَّلِ مُرْضِعَاتِهِ ﷺ بعد أمه: «ثُوَيْبَةُ»، وَهِيَ مَوْلَاةُ لأَبِي لَهَبٍ عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ أَبُو لَهَبٍ أَعْتَقَهَا. [البخاري: ٥١٠١، ومسلم: ١٤٤٩].

مُحَمَّدٌ ﷺ في بني سعد

أُرْسِلَ ﷺ إِلَى بَادِيَةِ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، وَكَانَتْ حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةُ الْمَرْأَةَ الَّتِي عُهِدَ إِلَيْهَا بِإِرْضَاعِهِ، قَالَ ﷺ: «كَانَت حَاضِنَتِي مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ» [أحمد: ١٧٦٤٨]. وَمَكَثَ ﷺ هُنَاكَ بِضْعَ سِنِينَ، وَأَحَبَّتْهُ حَلِيمَةُ وتعلَّقت بِهِ ﷺ، وَلَكِنَّهَا خَافَتْ عَلَيْهِ بَعْدَ حَادِثَةِ شَقِّ الصَّدْرِ، فَعَادَت بِهِ إِلَى أُمِّهِ. [أحمد: ١٧٦٤٨]. «بَنُو سَعْدٍ» إِحْدَى قَبَائِلِ هَوَازِنَ، بِمُحَافَظَةِ الطَّائِفِ.

حَادِثَةُ شَقِّ الصَّدْرِ الأُولَى

وَقَعَتْ حِينَمَا كَانَ ﷺ فِي بَنِي سَعْدٍ لَدَى مُرْضِعَتِهِ؛ فَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام، وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ

الشَّيْطَانِ مِنكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ. وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ، وَقَدْ كُنتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ. [مسلم: ١٦٢/٢٦١].

«علقة»: قِطْعَةٌ مِن دَمٍ جَامِدٍ. «الطَّسْتُ»: إِنَاءٌ كَبِيرٌ يُغْسَلُ فِيهِ «لأَمَهُ»: جَمَعَهُ وَضَمَّ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ. «أُمُّهُ»: أَيْ: مُرْضِعَتُهُ. «مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ»: مُتَغَيِّرٌ مِنَ الْخَوْفِ.

وَفَاةُ أُمِّهِ ﷺ

قَضَى اللهُ ﷻ أَنْ يَنشَأَ هَذَا الطِّفْلُ الْمُبَارَكُ ﷺ يَتِيمَ الْأَبَوَيْنِ، فَلَمْ تَكْتَحِلْ عَيْنَاهُ بِرُؤْيَةِ أَبِيهِ. ثُمَّ فِي سِنِّ السَّادِسَةِ يَفْقِدُ الْأُمَّ الرَّؤُومَ، لَكِنَّ لُطْفَ اللهِ ﷻ وَعِنَايَتَهُ كَانَتْ تَحُفُّ بِهِ، فَقَدْ هَيَّأَ اللهُ ﷻ لَهُ مَنْ يَرْعَاهُ وَيَحْنُو عَلَيْهِ ﷺ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ [الضحى: ٦].

أُمُّ أَيْمَنَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا حَاضِنَةُ النَّبِيِّ ﷺ

كَانَتْ أُمُّ أَيْمَنَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا «حَاضِنَةَ النَّبِيِّ ﷺ» [البخاري: ٣٧٣٧م].

قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَكَانَ مِنْ شَأْنِ أُمِّ أَيْمَنَ -أُمِّ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ- أَنَّهَا كَانَتْ وَصِيفَةً لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَكَانَتْ مِنَ الْحَبَشَةِ،

فَلَمَّا وَلَدَتْ آمِنَةُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدَمَا تُوُفِّيَ أَبُوه، كَانَتْ أُمُّ أَيْمَنَ تَحْضُنُهُ حَتَّى كَبِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَعْتَقَهَا، ثُمَّ أَنْكَحَهَا زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، ثُمَّ تُوُفِّيَتْ بَعْدَمَا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِخَمْسَةِ أَشْهُرٍ. [مسلم: ١٧٧١]. «تَحْضُنُهُ»: تَرْعَاهُ. «وَصِيفَةٌ»: خَادِمَةٌ.

حضانة الجد العطوف

تَرَعْرَعَ مُحَمَّدٌ ﷺ فِي كَفَالَةِ جَدِّهِ عَبْدِالْمُطَّلِبِ سَيِّدِ قُرَيْشٍ، الَّذِي أَفَاضَ عَلَيْهِ مِنْ مَشَاعِرِ الْحُبِّ وَالْحَنَانِ، غَيْرَ أَنَّ جَدَّهُ مَا لَبِثَ أَنْ مَاتَ بَعْدَ أَنْ جَاوَزَ ﷺ الثَّامِنَةَ مِنْ عُمُرِهِ.

كفالة العم الحنون

انتَقَلَ ﷺ إِلَى كَفَالَةِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، الَّذِي أَحَبَّهُ وَتَوَلَّى رِعَايَتَهُ، ثُمَّ لَمَّا بُعِثَ ﷺ ظَلَّ عَمُّهُ يَحُوطُهُ وَيَحْمِيهِ وَيُنَاصِرُهُ حَتَّى آخِرِ حَيَاتِهِ. [البخاري: ٣٨٨٣، ومسلم: ٢٠٩].

محمد ﷺ يشهد مؤتمرا لحقوق الإنسان

كَانَ ذَلِكَ فِي مُقْتَبَلِ شَبَابِهِ ﷺ، حَيْثُ شَهِدَ فِي مَكَّةَ حِلْفًا نَبِيلًا لِقَبَائِلَ مِنْ قُرَيْشٍ، اجْتَمَعُوا وَتَعَاهَدُوا عَلَى نُصْرَةِ الْمَظْلُومِ

وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ. قَالَ ﷺ: «شَهِدْتُ حِلْفَ الْمُطَيَّبِينَ مَعَ عُمُومَتِي وَأَنَا غُلَامٌ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي حُمْرَ النَّعَمِ، وَأَنِّي أَنْكُثُهُ» [أحمد: ١٦٥٥، ١٦٧٦]. حُمْرُ النَّعَمِ: نَفَائِسُ الإِبِلِ. «أَنْكُثُهُ»: أَنْقُضُ عَهْدَهُ.

مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلا رَعَى الْغَنَمَ

قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّكَ رَعَيْتَ الْغَنَمَ، قَالَ: «نَعَمْ، وَهَلْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ رَعَاهَا؟!» [البخاري: ٥٤٥٣، ومسلم: ٢٠٥٠].

وَفِي لَفْظٍ: «كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ» [البخاري: ٢٢٦٢].

«القَرَارِيطُ»: جَمْعُ قِيرَاطٍ، وَهُوَ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ الدِّرْهَمِ.

مُحَمَّدٌ ﷺ يَتَزَوَّجُ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

تَزَوَّجَ ﷺ السَّيِّدَةَ الْقُرَشِيَّةَ الْجَلِيلَةَ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ لِمَا رَأَى مِنْ رَجَاحَةِ عَقْلِهَا، وَحُسْنِ خُلُقِهَا، وَكَانَتِ امْرَأَةً ذَاتَ نَسَبٍ وَحَسَبٍ وَصَدَارَةٍ وَتِجَارَةٍ، فَتَمَّ ذَلِكَ الزَّوَاجُ الْمُبَارَكُ.

وَكُلُّ أَوْلَادِهِ ﷺ مِنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِلَّا إِبْرَاهِيمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَإِنَّهُ مِنْ مَارِيَةَ الْقِبْطِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وَهُمْ: الْقَاسِمُ، وَعَبْدُ اللَّهِ، وَزَيْنَبُ، وَرُقَيَّةُ، وَأُمُّ كُلْثُومٍ، وَفَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. [عبدالرزاق: ١٤٠٠٩، والطبراني: ٢٢/(٩٨٧)].

وَقَدْ مَاتَ الْقَاسِمُ وَعَبْدُ اللهِ صَغِيرَيْنِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ.

أَمَّا الْبَنَاتُ فَكُلُّهُنَّ أَسْلَمْنَ وَهَاجَرْنَ، وَلَكِنَّهُنَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ تُوُفِّينَ فِي حَيَاةِ أَبِيهِنَّ ﷺ، إِلَّا فَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فَقَدْ تُوُفِّيَتْ بَعْدَهُ ﷺ بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ. [البخاري: ٤٢٤٠، ومسلم: ١٧٥٩].

مُحَمَّدٌ ﷺ يُشَارِكُ فِي بِنَاءِ الْكَعْبَةِ

قَامَتْ قُرَيْشٌ بِتَجْدِيدِ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ. وَشَارَكَ فِي بِنَائِهَا، وَنَقَلَ الْحِجَارَةَ مَعَ عَمِّهِ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. [البخاري: ١٥٨٢، ومسلم: ٣٤٠].

مُحَمَّدٌ ﷺ يَضَعُ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ فِي مَكَانِهِ

أَكْرَمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ النَّبِيَّ ﷺ بِوَضْعِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ فِي مَكَانِهِ بَعْدَ خِلَافٍ كَبِيرٍ بَيْنَ الْقَوْمِ عَلَى مَنْ يَتَوَلَّى ذَلِكَ الشَّرَفَ. «فَقَالُوا: اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ حَكَمًا، قَالُوا: أَوَّلَ رَجُلٍ يَطْلُعُ مِنَ الْفَجِّ. فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالُوا: أَتَاكُمُ الْأَمِينُ. فَقَالُوا لَهُ، فَوَضَعَهُ فِي ثَوْبٍ، ثُمَّ دَعَا بُطُونَهُمْ فَأَخَذُوا بِنَوَاحِيهِ مَعَهُ، فَوَضَعَهُ هُوَ ﷺ» [أحمد: ١٥٥٠٤]. «الْفَجُّ»: الطَّرِيقُ الْوَاسِعُ، «الْبَطْنُ»: جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ أَقَلُّ مِنَ الْقَبِيلَةِ.

مُقدمَاتٌ وَمُبشَرَاتٌ

كَانَتْ حَيَاةُ النَّبِيِّ ﷺ مُنْذُ صِغَرِهِ حَيَاةً مُمَيَّزَةً، مِلْؤُهَا الطُّهْرُ وَالنَّقَاءُ، وَالْعِفَّةُ وَالصَّفَاءُ، وَالصِّدْقُ وَالْأَمَانَةُ. وَقَدْ ظَهَرَتْ بَعْضُ الْمُقَدِّمَاتِ لِبِعْثَتِهِ الْعَظِيمَةِ، وَمِنْهَا:

١. الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ: فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ. [البخاري: ٣، ومسلم: ١٦٠].

٢. حُبُّهُ ﷺ لِلْخَلْوَةِ، وَانْقِطَاعُهُ فِي غَارِ حِرَاءٍ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ، مُتَدَبِّرًا مُتَعَبِّدًا. [البخاري: ٣، ومسلم: ١٦٠]. «غَارُ حِرَاءٍ» يَقَعُ فِي قِمَّةِ جَبَلِ «النُّورِ» شَرْقَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَيَبْعُدُ عَنْهُ حَوَالَيْ سِتَّةِ كِيلُومِتْرَاتٍ.

الْأَحْجَارُ وَالْأَشْجَارُ تُسَلِّمُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ

يَقُولُ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ» [مسلم: ٢٢٧٧].

وَعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: «خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَجَعَلَ لَا يَمُرُّ عَلَى حَجَرٍ وَلَا شَجَرٍ إِلَّا سَلَّمَ عَلَيْهِ» [الترمذي: ٣٦٢٦، والطبراني في الأوسط: ٥٤٢٦].

أعظم حدث في تاريخ الدنيا

حِينَمَا بَلَغَ عُمُرُهُ ﷺ أَرْبَعِينَ سَنَةً، أَكْرَمَهُ اللَّهُ ﷻ بِالنُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ، وَأَوْحَى إِلَيْهِ. [البخاري: ٣٨٥١، ومسلم: ٢٣٥٣].

فَأَشْرَقَ النُّورُ فِي أَنْحَاءِ الْعَالَمِ، وَسَطَعَ الْحَقُّ فِي أَرْجَاءِ الدُّنْيَا. وَكَانَ ذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، حِينَ هَبَطَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ عليه السلام، تَقُولُ عَائِشَةُ رضي الله عنها: «فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ١-٣]. فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رضي الله عنها، فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي»، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي»، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ:

كَلَّا، وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ» [البخاري: ٣، ومسلم: ١٦٠]. «غَطَّنِي»: ضَمَّنِي. «أَرْسَلَنِي»: أَطْلَقَنِي. «زَمِّلُونِي»: غَطُّونِي. «الْكَلّ»: العاجز. «تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ»: تُعْطِي ذَوِي الْحَاجَةِ. «النَّوَائِبُ»: النَّوَازِلُ وَالْمَصَائِبُ.

النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى عليه السلام

لَمَّا رَأَتْ خَدِيجَةُ رضي الله عنها حَالَ النَّبِيِّ ﷺ أَخَذَتْهُ «فَانْطَلَقَتْ بِهِ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ...، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى» [البخاري: ٣، ومسلم: ١٦٠]. «النَّامُوسُ»: الْمُرَادُ بِهِ جبريل عليه السلام. وَوَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ هُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ رضي الله عنها، «وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ» [البخاري: ٣، ومسلم: ١٦٠].

وَفِي رِوَايَةٍ: «وَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعَرَبِيَّةِ» [مسلم: ١٦٠].

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ

أَوَّلُ كَلِمَةٍ أُنْزِلَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اقْرَأْ﴾، وَذَلِكَ لَهُ دَلَالَاتُهُ الْعَظِيمَةُ وَآفَاقُهُ الْكَبِيرَةُ، إِنَّهُ إِعْلَانٌ عَنْ هُوِيَّةِ

هَذَا الدِّينِ، وَبَيَانٌ لِفَحْوَاهُ، وَشَرْحٌ لِمُحْتَوَاهُ، وَأَنَّهُ دِينُ الْعِلْمِ وَالْقِرَاءَةِ وَالنُّورِ وَالْبُرْهَانِ.

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «ثُمَّ فَتَرَ عَنِّي الْوَحْيُ فَتْرَةً، فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي، سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي قِبَلَ السَّمَاءِ، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ، قَاعِدٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَجُئِثْتُ مِنْهُ، حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ، فَجِئْتُ أَهْلِي فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: ١، ٢] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر: ٥]» [البخاري: ٣٢٣٨، ومسلم: ١٦١]. «جُئِثْتُ»: خِفْتُ وَفَزِعْتُ، «الْمُدَّثِّرُ»: الْمُتَلَفِّفُ بِثِيَابِهِ «الرُّجْزُ»: الْأَصْنَامُ وَالْآثَامُ.

الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَالَ تَعَالَى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٤].

جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ رُوحُ الْقُدُسِ الْأَمِينُ، وَسَيِّدُ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَرَسُولُ اللهِ ﷻ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ

ﷺ، وَقَدْ تَزَيَّنَتْ سِيرَةُ النَّبِيِّ ﷺ بِعَشَرَاتِ الْمَشَاهِدِ الْجَمِيلَةِ، وَالْمَوَاقِفِ الْجَلِيلَةِ مَعَ هَذَا الْمَلَكِ الْكَرِيمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

إنْ هُوَ إلا وَحْيٌ يُوحَى

قَالَ اللهُ ﷻ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣-٤]. «الوَحْيُ»: كَلَامُ اللهِ ﷻ المُنَزَّلُ عَلَى الأَنبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

يَا رَسُولَ اللهِ.. كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟

قَالَ: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى: ٥١]. وَسُئِلَ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الوَحْيُ؟ فَقَالَ ﷺ: «أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ» [البخاري: ٢، ومسلم: ٢٣٣٣/٨٧]. «يُفْصَمُ»: يُقْلِعُ وَيَنْجَلِي.

النَّبِيُّ ﷺ رَسُولٌ لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ

قَالَ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨]. وَيَقُولُ ﷺ: «كَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً،

وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً» [البخاري: ٣٣٥، ومسلم: ٥٢١].

وَفِي رِوَايَةٍ: «وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ» [مسلم: ٥٢١]. أَيْ: إِلَى النَّاسِ بِشَتَّى أَلْوَانِهِمْ وَأَعْرَاقِهِمْ.

النَّبِيُّ ﷺ رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ

قال ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وَيَقُولُ ﷺ: «وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً» [مسلم: ٢٥٩٩].

النَّبِيُّ ﷺ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ لِلنَّاسِ كَافَّةً

قال ﷻ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وَقال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦]، وَقال ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨].

وَمِنْ صِفَاتِهِ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ: أَنَّهُ شَاهِدٌ وَمُبَشِّرٌ وَنَذِيرٌ. [البخاري: ٢١٢٥].

النبيُّ ﷺ خاتمُ الأنبياءِ والـمُرسلين

ﷻ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وَقَالَ ﷺ: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي» [البخاري: ٣٤٥٥، ومسلم: ١٨٤٢].

وَقَالَ ﷺ: «وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ» [البخاري: ٣٥٣٥، ومسلم: ٢٢٨٦/٢٢].

النبيُّ ﷺ يتمِّمُ مكارمَ الأخلاقِ

أَخْبَرَ ﷺ أَنَّهُ بُعِثَ لِيُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ، وَيُوَطِّدَ صُرُوحَ الْمُثُلِ، وَيُكْمِلَ مَسِيرَةَ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ فِي الدَّعْوَةِ وَالْإِصْلَاحِ، يَقُولُ ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ» [البزار: ٨٩٤٩].

وَفِي رِوَايَةٍ: «صَالِحَ الْأَخْلَاقِ» [أحمد: ٨٩٥٢].

الصادقُ الأمينُ

الصِّدْقُ وَالْأَمَانَةُ مِنَ الصِّفَاتِ الرَّاسِخَةِ فِي حَيَاتِهِ ﷺ، وَكَانَ قَوْمُهُ يَعْلَمُونَ ذَلِكَ عَنْهُ عِلْمَ الْيَقِينِ. وَهُمَا مِمَّا كَانَ يَأْمُرُ بِهِ النَّاسَ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﷺ [البخاري: ٢٩٤١].

وَلَقَدْ قَالُوا عَنْهُ ﷺ: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا. [البخاري: ٤٧٧٠، ومسلم: ٢٠٨]. وَحِينَ سَأَلَ هِرَقْلُ أَبَا سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِقَوْلِهِ: «فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟» قَالَ: «قُلْتُ: لَا»...، فَقَالَ: «فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ» [البخاري: ٧، ومسلم: ١٧٧٣]. وَكَانَ أَهْلُ مَكَّةَ يَضَعُونَ وَدَائِعَهُمْ عِنْدَهُ ﷺ، وَيُسَمُّونَهُ الْأَمِينَ. [أحمد: ١٥٥٠٤].

إِلَى أَيِّ شَيْءٍ دَعَا النَّبِيُّ ﷺ؟

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الزمر: ١١-١٢].

مَكَثَ ﷺ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إِلَيْهِ. [البخاري: ٣٩٠٢، ومسلم: ٢٣٥١/١١٧]. يَدْعُو إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَعِبَادَتِهِ دُونَ غَيْرِهِ، وَنَبْذِ الشِّرْكِ وَالْأَصْنَامِ، وَيُنَادِي فِي النَّاسِ: «قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، تُفْلِحُوا» [أحمد: ١٦٠٢٣].

وَعِندَمَا سَأَلَ هِرَقْلُ أَبَا سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قَالَ: «يَقُولُ: اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّدْقِ، وَالْعَفَافِ، وَالصِّلَةِ» [البخاري: ٧، ومسلم: ١٧٧٣].

بِدَايَةُ الدَّعْوَةِ

بَدَأَ ﷺ يُبَلِّغُ مَا أُوحِيَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ﷻ، وَظَلَّ يَدْعُو إِلَى ذَلِكَ فِي خَوَاصِّهِ وَالْأَقْرَبِينَ إِلَيْهِ سِرًّا، فَأَسْلَمَ عَدَدٌ مِنْهُمْ وَآمَنُوا بِهِ.
[البخاري: ٤٧٢٢، ومسلم: ٤٤٦، ٨٣٢].

خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ

كَانَتْ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَأَيَّدَهُ، وَنَاصَرَهُ بِالْبَذْلِ وَالْعَطَاءِ وَالْحُبِّ وَالْوَفَاءِ. [أحمد: ٢٤٨٦٤].

وَكَانَ لَهَا أَطْيَبُ الْأَثَرِ عَلَيْهِ ﷺ، وَعَلَى دَعْوَةِ الْإِسْلَامِ؛ وَلِذَلِكَ تَبَوَّأَتْ مَرْتَبَةً رَفِيعَةً بَيْنَ الْعَالَمِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ خَدِيجَةُ ...، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا

السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا، وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ» [البخاري: ٣٨٢٠، ومسلم: ٢٤٣٢]. «قَصَبٌ»: لُؤْلُؤٌ مُجَوَّفٌ. «صَخَبٌ»: ضَوْضَاءُ. «نَصَبٌ»: تَعَبٌ.

وَيَقُولُ ﷺ: «خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ» [البخاري: ٣٤٣٢، ومسلم: ٢٤٣٠]. أَيْ: خَيْرُ نِسَاءِ الدُّنْيَا.

وَيَقُولُ ﷺ مَادِحًا: «إِنَّهَا كَانَتْ، وَكَانَتْ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ» [البخاري: ٣٨١٨]. وَفِي رِوَايَةٍ: «إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا». [مسلم: ٢٤٣٥/٧٥].

السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ رضي الله عنهم

أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ النِّسَاءِ زَوْجَةُ النَّبِيِّ ﷺ خَدِيجَةُ رضي الله عنها. وَأَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الرِّجَالِ صَاحِبُهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه. وَأَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الصِّبْيَانِ ابْنُ عَمِّهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه. وَأَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْمَوَالِي مَوْلَاهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ رضي الله عنه. ثُمَّ تَتَابَعَ إِسْلَامُ بَقِيَّةِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ رضي الله عنهم. «الْمَوَالِي»: الْعَبِيدُ الَّذِينَ أُعْتِقُوا.

أَخِي وَصَاحِبِي

ظَفِرَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه بِصُحْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَفَازَ

بِصَدَاقَتِهِ مُنْذُ الصِّبَا، فَلَمَّا بُعِثَ ﷺ كَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَسْبَقَ الْمُنَاصِرِينَ. يَقُولُ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي؟!» [البخاري: ٣٦٦١].

وَيَقُولُ ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ» [البخاري: ٤٦٦، ومسلم: ٢٣٨٢].

وَفِي لَفْظٍ: «وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي» [البخاري: ٣٦٥٦].

ثُلُثُ الإِسْلامِ

مِنْ أَوَائِلِ مَنْ أَسْلَمَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلِذَلِكَ يَقُولُ: «مَكَثْتُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ، وَإِنِّي لَثُلُثُ الْإِسْلَامِ» [البخاري: ٣٧٢٧].

وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: «يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ» -لِبُطُونِ قُرَيْشٍ- حَتَّى اجْتَمَعُوا...، فَقَالَ ﷺ: «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا

بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ»، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟! فَنَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ١-٢]» [البخاري: ٤٧٧٠، ومسلم: ٢٠٨]. «تُغِيرُ»: تهجُم، «تبًّا»: هلاكًا.

وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠] قَالَ: «نَزَلَتْ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ مُخْتَفٍ بِمَكَّةَ، كَانَ إِذَا صَلَّى بِأَصْحَابِهِ رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ، فَإِذَا سَمِعَهُ الْمُشْرِكُونَ سَبُّوا الْقُرْآنَ وَمَنْ أَنْزَلَهُ وَمَنْ جَاءَ بِهِ» [البخاري: ٤٧٢٢، ومسلم: ٤٤٦].

اصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرْ

أَمَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ رَسُولَهُ ﷺ بِالْجَهْرِ بِالدَّعْوَةِ لِلنَّاسِ جَمِيعًا، فَقَالَ: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤]. أَيْ: بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَلَا تَأْبَهْ بِالْمُشْرِكِينَ.

فَبَدَأَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ جَهْرًا.

صلة الأرحام وكسر الأوثان

فِي حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ السُّلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِمَكَّةَ، فقال لَهُ: «مَا أَنتَ؟ قَالَ: «أَنَا نَبِيٌّ»، فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: «أَرْسَلَنِي اللَّهُ»، فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: «أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللَّهُ لَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ» [مسلم: ٨٣٢]. فَأَسْلَمَ عَمْرٌو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَعُودَ إِلَى قَوْمِهِ إِلَى أَنْ يُظْهِرَ اللَّهُ ﷻ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ. وَهُو مَا حَدَثَ بَعْدَ ذَلِكَ. [مسلم: ٨٣٢].

أبو ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وتحية الإسلام

خَرَجَ أَبُو ذَرٍّ الْغِفَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ غِفَارٍ إِلَى مَكَّةَ، فَأَكْرَمَهُ اللَّهُ ﷻ بِلِقَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ حَيَّاهُ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «وَعَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ» [مسلم: ٢٤٧٣].

وَأَسْلَمَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى يَدِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَسْلَمَ أَخُوهُ أُنَيْسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَسْلَمَتْ أُمُّهُمَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ثُمَّ عَادَ إِلَى قَوْمِهِ فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمْ،

وَأَسْلَمَ النِّصْفُ الْبَاقِي مِنْهُمْ بَعْدَ قُدُومِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَأَسْلَمَتْ بِسَبَبِهِمْ قَبِيلَةُ «أَسْلَمَ»، فَقَالَ ﷺ: «غِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا، وَأَسْلَمُ سَالَمَهَا اللَّهُ» [مسلم: ٢٤٧٣]. «غِفَارُ وَأَسْلَمُ»: قَبِيلَتَانِ عَرَبِيَّتَانِ تَسْكُنَانِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ.

زَمْزَمُ طَعَامُ طُعْمٍ

مَكَثَ أَبُو ذَرٍّ الْغِفَارِيُّ رضي الله عنه بِمَكَّةَ ثَلَاثِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً مَا لَهُ طَعَامٌ إِلَّا مَاءُ زَمْزَمَ، فَسَمِنَ وَمَا شَعَرَ بِجُوعٍ، فَلَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ، إِنَّهَا طَعَامُ طُعْمٍ» [مسلم: ٢٤٧٣].

وَفِي رِوَايَةٍ: «وَشِفَاءُ سُقْمٍ» [الطيالسي: ٤٥٩]. «طَعَامُ طُعْمٍ»: طَعَامٌ مُشْبِعٌ.

النَّبِيُّ ﷺ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَيُصَلِّي خَلْفَ الْمَقَامِ

يَقُولُ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه عَنْ لَيْلَةِ لِقَائِهِ بِالنَّبِيِّ ﷺ: «وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى اسْتَلَمَ الْحَجَرَ، وَطَافَ بِالْبَيْتِ هُوَ وَصَاحِبُهُ، ثُمَّ صَلَّى» [مسلم: ٢٤٧٣]. وَفِي رِوَايَةٍ: «فَطَافَ بِالْبَيْتِ وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَلْفَ الْمَقَامِ» [مسلم: ٢٤٧٣/ ١٣٢م]. «صَاحِبُهُ»: أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه.

الطَّبِيبُ النَّفْسِيُّ يُسْلِمُ

قَدِمَ ضِمَادُ بْنُ ثَعْلَبَةَ الْأَزْدِيُّ رضي الله عنه مَكَّةَ، وَكَانَ طَبِيبًا رَاقِيًا،

«...فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ، فَلَقِيَهُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، وَإِنَّ اللَّهَ يَشْفِي عَلَى يَدِي مَنْ شَاءَ، فَهَلْ لَكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ...»، فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ، وَقَوْلَ السَّحَرَةِ، وَقَوْلَ الشُّعَرَاءِ، فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ...، هَاتِ يَدَكَ أُبَايِعْكَ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَبَايَعَهُ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَعَلَى قَوْمِكَ»، قَالَ: وَعَلَى قَوْمِي»

[مسلم: ٨٦٨]. ١الرِّيحُ: الْمُرَادُ بِهَا هُنَا مَسُّ الْجِنِّ.

الغُلامُ المُعَلَّمُ

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ أَرْعَى غَنَمًا لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ، هَلْ مِنْ لَبَنٍ؟»، قُلْتُ: نَعَمْ، وَلَكِنِّي مُؤْتَمَنٌ، قَالَ: «فَهَلْ مِنْ شَاةٍ لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا الْفَحْلُ؟»، فَأَتَيْتُهُ بِشَاةٍ فَمَسَحَ ضَرْعَهَا، فَنَزَلَ لَبَنٌ فَحَلَبَهُ فِي إِنَاءٍ فَشَرِبَ، وَسَقَى أَبَا بَكْرٍ،

ثُمَّ قَالَ لِلضَّرْعِ: «اقْلِصْ» فَقَلَصَ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ بَعْدَ هَذَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلِّمْنِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ، فَمَسَحَ رَأْسِي، وَقَالَ: «يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَإِنَّكَ غُلَيِّمٌ مُعَلَّمٌ» [أحمد: ٣٥٩٨]. «لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا»: لَمْ يَقْرَبْهَا. «قَلَصَ»: انْقَبَضَ.

أَسْلَمَ عَبْدُاللَّهِ بنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَدْ تَشَرَّفَ بِأَنْ كَانَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ خِدْمَةً لِلنَّبِيِّ ﷺ وَدُخُولًا عَلَيْهِ. [البخاري: ٣٧٦٣، ومسلم: ٢٤٦٠]، وَأَصْبَحَ مِنْ بُحُورِ الْعِلْمِ، وَأَوَائِلِ الْقُرَّاءِ.

يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ، وَلَا أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ تُبَلِّغُهُ الإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ» [البخاري: ٥٠٠٢، ومسلم: ٢٤٦٣].

قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ

قَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ سُورَةَ الإِخْلَاصِ كَامِلَةً. [الترمذي: ٣٣٦٤]. فَهِيَ صِفَةُ الرَّحْمَنِ. [البخاري: ٧٣٧٥، ومسلم: ٨١٣]، وَيَقُولُ عَنْهَا ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ» [البخاري: ٥٠١٥، ومسلم: ٨١١].

إيذاء وابتلاء لخاتم الأنبياء ﷺ

واجَهَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْعِنَادِ وَالاِسْتِهْزَاءِ وَالسُّخْرِيَةِ وَالْإِيذَاءِ مَا لَا حَدَّ لَهُ، فَعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ عَنْ أَشَدِّ مَا صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: رَأَيْتُ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، فَوَضَعَ رِدَاءَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقًا شَدِيدًا، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَفَعَهُ عَنْهُ، فَقَالَ: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨]. [البخاري: ٣٦٧٨].

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ سَاجِدٌ، وَحَوْلَهُ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ، جَاءَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ بِسَلَى جَزُورٍ، فَقَذَفَهُ عَلَى ظَهْرِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ، فَجَاءَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فَأَخَذَتْهُ مِنْ ظَهْرِهِ، وَدَعَتْ عَلَى مَنْ صَنَعَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ الْمَلَأَ مِنْ قُرَيْشٍ» [البخاري: ٣٨٥٤، ومسلم: ١٧٩٤/١٠٨].

«سَلَى جَزُورٍ»: غِشَاءٌ رَقِيقٌ يُحِيطُ بِجَنِينِهَا عِنْدَ الْوِلَادَةِ، وَالْجَزُورُ: مَا يَصْلُحُ أَنْ يُذْبَحَ مِنَ الْإِبِلِ. «الْمَلَأُ»: الْجَمَاعَةُ مِنْ سَادَاتِ الْقَوْمِ.

وَيَقُولُ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ ذَلِكَ الْمَشْهَدِ الْمُؤْلِمِ: «فَاسْتَضْحَكُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ عَلَى بَعْضٍ وَأَنَا قَائِمٌ أَنْظُرُ، لَوْ كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ طَرَحْتُهُ عَنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» [البخاري: ٢٤٠، ومسلم: ١٧٩٤]. «مَنَعَةٌ»: قُوَّةٌ وَحَصَانَةٌ.

سُخْرِيَةٌ وَاسْتِهْزَاءٌ

لَمْ يَفْتَأِ الْمُشْرِكُونَ يَسْتَهْزِئُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَيَسْخَرُونَ مِنْهُ، وَيَخْتَلِقُونَ الْأَقَاوِيلَ وَيَفْتَرُونَ الْأَبَاطِيلَ، وَيَبْذُلُونَ جُهُودَهُمْ لِصَرْفِ النَّاسِ عَنْهُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴾ [الفرقان: ٤١]، وَكَانَ اللَّهُ ﷻ يُسَلِّيهِ بِكَلَامِهِ الْعَظِيمِ وَوَحْيِهِ الْقَوِيمِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الأنعام: ١٠].

كذب وافتراء

تَعرَّضَ النَّبيُّ ﷺ لِتُهَمٍ كَاذِبَةٍ وَافتِرَاءَاتٍ بَاطِلَةٍ؛ وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: سَاحِرٌ، وَكَاهِنٌ، وَشَاعِرٌ، وَكَذَّابٌ، وَمَجْنُونٌ، وَكَانَ اللهُ ﷻ يَتَوَلَّى الرَّدَّ عَنْ نَبِيِّهِ الكَرِيمِ ﷺ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٩]، وَقَالَ: ﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص: ٤]، وَقَالَ: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٥٢]، وَقَالَ: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحاقة: ٤١-٤٣]، وَقَالَ: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: ٢٢]. يَقُولُ أُنَيْسٌ الغِفَارِيُّ رضي الله عنه وَكَانَ شَاعِرًا: «يَقُولُونَ: شَاعِرٌ، كَاهِنٌ، سَاحِرٌ، لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الكَهَنَةِ، فَمَا هُوَ بِقَوْلِهِمْ، وَلَقَدْ وَضَعْتُ قَوْلَهُ عَلَى أَقْرَاءِ الشِّعْرِ، فَمَا يَلْتَئِمُ عَلَى لِسَانِ أَحَدٍ بَعْدِي أَنَّهُ شِعْرٌ، وَاللهِ إِنَّهُ لَصَادِقٌ، وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ» [مسلم: ٦٥١٣]. «أَقْرَاءُ الشِّعْرِ»: أَوْزَانُهُ.

حماية الله ﷻ لاسم نبيه ﷺ

قَالَ ﷺ: «أَلَا تَعجَبُونَ كَيفَ يَصرِفُ اللَّهُ عَنِّي شَتمَ قُرَيشٍ وَلَعنَهُم؟! يَشتِمُونَ مُذَمَّمًا، وَيَلعَنُونَ مُذَمَّمًا، وَأَنَا مُحَمَّدٌ» [البخاري: ٣٥٣٣]. وَهَذَا مِن حِمَايَةِ اللَّهِ ﷻ لاِسمِهِ الشَّرِيفِ ﷺ.

فاصبر كما صبر أولو العزم

كَانَتِ الآيَاتُ تَتَنَزَّلُ عَلَى قَلبِ النَّبِيِّ ﷺ مُؤَكِّدَةً فِي نَفسِهِ مَعَانِيَ الصَّبرِ وَالاِحتِسَابِ وَالرِّضَا، وَأَنَّ ذَلِكَ طَرِيقُ الأَنبِيَاءِ ﷺ قَبلَهُ؛ قَالَ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وَقَالَ: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج: ٥].

فَكَانَ ﷺ أَعظَمَ النَّاسِ صَبرًا، وَأَجَلَّهُم احتِسَابًا.

فإنك بأعيننا

قَالَ: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨].

يَا لَهَا مِن آيَةٍ بَدِيعَةٍ، وَمَنزِلَةٍ رَفِيعَةٍ! إِنَّهُ تَعبِيرٌ فَرِيدٌ، وَعِنَايَةٌ خَاصَّةٌ بِالنَّبِيِّ ﷺ، فَمَاذَا بَعدَ أَن يَقُولَ الوَاحِدُ الأَحَدُ ﷻ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾؟!

فاصفح الصفح الجميل

عَلَى الرُّغمِ مِن تعدُّدِ إِسَاءَاتِ الْمُشرِكِينَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَإِيذَائِهِمْ لَهُ، فَإِنَّهُ لَمْ يُقَابِلْ ذَلِكَ إِلَّا بِالصَّبْرِ وَالْعَفوِ وَالصَّفحِ، امتِثَالًا لِقَولِهِ ﷻ: ﴿ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾ [الحجر: ٨٥]، وَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٩].

بالحكمة والموعظة الحسنة

كَانَ ﷺ حَكِيمًا فِي دَعوَتِهِ، رَفِيقًا فِي نُصحِهِ، بَلِيغًا فِي مَوَاعِظِهِ، مُمتَثِلًا لأَوَامِرِ ربِّهِ ﷻ، قَالَ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]، وَقَالَ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

ما ودعك ربك وما قلى

«أَبطَأَ جِبْرِيلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ الْمُشرِكُونَ: قَدْ وُدِّعَ مُحَمَّدٌ، فَأَنزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ [الضحى: ١ - ٣]» [البخاري: ١١٢٥، ومسلم: ١٧٩٧]. فَجَاءَتْ هَذِهِ

السُّورَةُ الْعَظِيمَةُ وَالآيَاتُ الْكَرِيمَةُ تَسْكُبُ فِي وِجْدَانِهِ ﷺ أَسْمَى مَعَانِي الْحُبِّ وَالْحَنَانِ، وَاللُّطْفِ وَالرِّضْوَانِ، قَالَ: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ [الضحى: ٥].

وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ

قَالَ: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾ ﴾ [سورة الشرح].

تَأْتِي هَذِهِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بَعْدَ سُورَةِ الضُّحَى، لِتَزِيدَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ بَدَائِعِ الْعَطَاءَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَرَوَائِعِ الْفُيُوضَاتِ الْإِلَهِيَّةِ، وَلِتُبَشِّرَ بِالْيُسْرِ بَعْدَ الْعُسْرِ، وَالْفَرَجِ بَعْدَ الشِّدَّةِ، وَقَدِ اشْتَمَلَتْ عَلَى دَلِيلٍ مِنْ دَلَائِلِ نُبُوَّتِهِ ﷺ، وَآيَةٍ مِنْ آيَاتِ صِدْقِ رِسَالَتِهِ، إِذْ بَشَّرَهُ ﷻ مُنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ وَهُوَ يَمُرُّ بِتِلْكَ الْمَرْحَلَةِ الْعَصِيبَةِ، وَالتَّضْيِيقِ الشَّدِيدِ، بِأَنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ رَفَعَ ذِكْرَهُ، وَهُوَ مَا حَدَثَ بَعْدَ ذَلِكَ، إِذْ أَصْبَحَ ذِكْرُهُ ﷺ عِطْرًا زَكِيًّا يَفُوحُ فِي أَرْجَاءِ الدُّنْيَا، وَصَوْتًا نَدِيًّا يَتَرَدَّدُ عَلَى مَنَائِرِ الْمَعْمُورَةِ.

اسجد واقترب

أتى أبو جهلٍ إلى النبيِّ ﷺ وهو يصلِّي، وقد أقسم باللَّاتِ والعُزَّى ليطأنَّ على رقبتِهِ إن رآه ساجدًا، «فما فجئهم منه إلَّا وهو ينكص على عقبيه ويتَّقي بيديه، فقيل له: ما لك؟ فقال: إنَّ بيني وبينه لخندقًا من نارٍ وهولًا وأجنحةً، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «لو دنا منِّي لاختطفته الملائكةُ عضوًا عضوًا»، فأنزل اللهُ ﷻ: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ إلى قولِهِ تعالى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: ٦-١٩]».

[مسلم: ٢٧٩٧]. «ينكص»: يرجع.

وفي لفظٍ: قال أبو جهلٍ: لئن رأيتُ محمَّدًا يصلِّي عند الكعبةِ لأطأنَّ على عنقِهِ، فبلغ النبيَّ ﷺ فقال: «لو فعله لأخذته الملائكةُ» [البخاري: ٤٩٥٨].

تعذيب المستضعفين

مع سرورِ النبيِّ ﷺ بمن كان يُسلِمُ معه، إلَّا أنَّه كان هنالك

مَا يُنَغِّصُ سُرُورَهُ، وَيُكَدِّرُ صَفْوَهُ، وَهُوَ مَا كَانَ يَحِلُّ بِبَعْضِهِمْ مِنْ تَعْذِيبٍ وَابْتِلَاءٍ وَتَنْكِيلٍ وَإِيذَاءٍ.

يَقُولُ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةٌ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلَالٌ، وَالْمِقْدَادُ، فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، وَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ، وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ» [ابن ماجه: ١٥٠]. «أَدْرَاعُ»: لِبَاسٌ كَالْقَمِيصِ يَحْمِي الْمُقَاتِلَ. «صَهَرُوهُمْ»: أَلْقَوْهُمْ فِي الشَّمْسِ.

عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُقَيِّدُ أُخْتَهُ وَزَوْجَهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

يَقُولُ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَوْ رَأَيْتُنِي مُوثِقِي عُمَرُ عَلَى الْإِسْلَامِ، أَنَا وَأُخْتُهُ، وَمَا أَسْلَمَ» [البخاري: ٣٨٦٧].

صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ:

كَانَ ﷺ يَرَى مَا يُلْحِقُهُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ عَذَابٍ بِعَمَّارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَبِأُمِّهِ سُمَيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَأَبِيهِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَيُبَشِّرُهُمْ قَائِلًا: «أَبْشِرُوا آلَ يَاسِرٍ؛ مَوْعِدُكُمُ الْجَنَّةُ» [الطبراني في الأوسط: ١٥٠٨].

أحدٌ أحدٌ:

أَخَذَ الْمُشْرِكُونَ بِلَالًا رضي الله عنه فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ، «فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ، وَهُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ» [ابن ماجه: ١٥٠].

أبو بكرٍ رضي الله عنه منقذ المستضعفين:

أَنْقَذَ اللَّهُ عز وجل كَثِيرًا مِنْ أُولَئِكَ الْمُسْتَضْعَفِينَ بِأَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه، الَّذِي كَانَ يَبْذُلُ مَالَهُ لِيَفْتَدِيَهُمْ وَيُعْتِقَهُمْ أَحْرَارًا لِوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى. يَقُولُ عُمَرُ رضي الله عنه مُشِيدًا بِذَلِكَ الْمَوْقِفِ: «أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا، وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا» يَعْنِي: بِلَالًا. [البخاري: ٣٧٥٤].

ولا تطرد الذين يدعون ربهم

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا... فَأَنْزَلَ اللَّهُ عز وجل: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام: ٥٢]. [مسلم: ٢٤١٣/٤٦].

ألا تدعو الله لنا؟!

عَنْ خَبَّابٍ رضي الله عنه قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ

مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟! أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟! قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ، فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ» [البخاري: ٣٦١٢].

«بُرْدَةٌ»: كِسَاءٌ مُخَطَّطٌ يُلْتَحَفُ بِهِ.

الهجرة إلى الحبشة

لَمَّا اشْتَدَّ الْإِيذَاءُ، وَعَظُمَ الِابْتِلَاءُ، أَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ رضي الله عنهم بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْحَبَشَةِ، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ مَلِكًا لَا يُظْلَمُ أَحَدٌ عِنْدَهُ، فَالْحَقُوا بِبِلَادِهِ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا وَمَخْرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ» [البيهقي: ١٧٧٣٤].

فَهَاجَرَ مِنْهُمْ رضي الله عنهم مَنْ لَيْسَ لَهُ أَحَدٌ يَحْمِيهِ.

تقول أمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «لَمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ، جَاوَرْنَا بِهَا خيرَ جَارٍ النَّجَاشِيَّ، أَمِنَّا عَلَى دِينِنَا، وَعَبَدْنَا اللَّهَ؛ لَا نُؤْذَى، وَلَا نَسمَعُ شَيْئًا نَكْرَهُهُ» [أحمد: ١٧٤٠].

النجاشيُ يَمنحُ المسلمينَ حقَّ اللُّجوءِ:

رحَلَ الْمُهَاجِرُونَ إِلَى ذَلِكَ الْمَلِكِ الْعَادِلِ الَّذِي كَانَ يَدِينُ بالنَّصرَانِيَّةِ، فَمَنَحَهُمُ اللُّجوءَ وَالأَمَانَ، وَأَسْبَغَ عَلَيْهِمُ الْحِمَايَةَ والاطمِئنَانَ. وَقَالَ لَهُمْ: «اذهَبُوا، فَأَنتُمْ سُيُومٌ بِأَرْضِي، مَن سَبَّكُمْ غُرِّمَ، ثُمَّ مَن سَبَّكُمْ غُرِّمَ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي دَبْرًا ذَهَبًا، وَأَنِّي آذَيتُ رَجُلًا مِنكُمْ» [أحمد: ١٧٤٠، ٢٢٤٩٨]. «السُّيُومُ»: الآمِنُونَ، «الدَّبْرُ»: الجَبَلُ، وكلاهما بِلِسَانِ الحَبَشَةِ.

النجاشيُ ينتصرُ للمسلمينَ:

لم يترُكْ مُشرِكُو قُرَيْشٍ المُسلِمِينَ المُهَاجِرِينَ وَشَأْنَهُمْ، بَلْ ارسلُوا مَنْ يُلَاحِقُهُمْ فِي الْحَبَشَةِ، وَحَاوَلُوا استِثَارَةَ غَضَبِ ملكِهَا وَغَضَبِ بَطَارِقَتِهِ بِقَوْلِهِمْ: «فَإِنَّهُمْ يُخَالِفُونَكَ فِي عِيسَى ابنِ مَرْيَمَ». فَسَأَلَهُمُ النَّجَاشِيُّ: «مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابنِ مَرْيَمَ وأُمِّهِ؟»، قَالُوا: «نَقُولُ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: هُوَ كَلِمَةُ اللَّهِ وَرُوحُهُ،

أَلْقَاهَا إِلَى الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ الَّتِي لَمْ يَمَسَّهَا بَشَرٌ، وَلَمْ يَفْرِضْهَا وَلَدٌ». فَرَفَعَ عُودًا مِنَ الْأَرْضِ، ثُمَّ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْحَبَشَةِ وَالْقِسِّيسِينَ وَالرُّهْبَانِ، وَاللَّهِ مَا يَزِيدُونَ عَلَى الَّذِي نَقُولُ فِيهِ مَا يَسْوَى هَذَا. مَرْحَبًا بِكُمْ، وَبِمَنْ جِئْتُمْ مِنْ عِنْدِهِ» [أحمد - ...].

«الْبَتُولُ»: الْمُنْقَطِعَةُ عَنِ التَّزَوُّجِ لِلْعِبَادَةِ. «وَلَمْ يَفْرِضْهَا وَلَدٌ»: أَيْ: لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ قَبْلَ عِيسَى عليه السلام.

النَّجَاشِيُّ يُسْلِمُ:

شَرَحَ اللَّهُ ﷻ صَدْرَ النَّجَاشِيِّ رضي الله عنه لِلْإِسْلَامِ وَاتِّبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنَّهُ الَّذِي نَجِدُ فِي الْإِنْجِيلِ، وَإِنَّهُ الرَّسُولُ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، انْزِلُوا حَيْثُ شِئْتُمْ، وَاللَّهِ لَوْلَا مَا أَنَا فِيهِ مِنَ الْمُلْكِ لَأَتَيْتُهُ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أَحْمِلُ نَعْلَيْهِ، وَأُوَضِّئُهُ» [أحمد - ...].

النَّصَارَى أَقْرَبُ النَّاسِ مَوَدَّةً

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [المائدة: ٨٢].

يتجلَّى هذا المعنى الَّذي ذكَرَه الله ﷻ في بعضِ المواقفِ الإيجابيَّةِ لعددٍ من النَّصارى، الَّتي حملَت في معانيها الاحترامَ والمودَّةَ.

ووصلَت بكثيرٍ منهم إلى اتباعِ النَّبيِّ ﷺ والإيمانِ بنبوَّتِه. ومن هؤلاءِ: الملكُ الصَّالحُ العادلُ النَّجاشيُّ رضي الله عنه، الَّذي آوى المسلمين المهاجرين إلى الحبشةِ، وأكرمَهم غايةَ الإكرامِ. ومنهم من احترمَ دعوةَ النَّبيِّ ﷺ، وأكرمَ مبعوثيه إليه؛ كهرقل عظيمِ الرُّومِ الَّذي أرسَلَ إليه النَّبيُّ ﷺ يدعوه إلى الإسلامِ، فقال بعدَ استماعِه لصفاتِ النَّبيِّ ﷺ: إن يكُ ما تقول فيه حقًّا، فإنَّه نبيٌّ...، ولو كنتُ عندَه لغسلتُ عن قدميه. [البخاري: ٤٥٥٣، ومسلم: ١٧٧٣].

ومنهم المقوقسُ ملكُ مصرَ الَّذي أكرمَ مبعوثَ النَّبيِّ ﷺ، وأرسلَ إليه بالهديَّةِ الكريمةِ ماريةَ بنتِ شمعونَ القبطيَّةِ المصريَّةِ رضي الله عنها، أمِّ إبراهيمَ رضي الله عنه ابنِ رسولِ الله ﷺ. [الآحاد والمثاني: ٣٢٢٣].

وَقَبلَ ذَلِكَ مَا بَشَّرَ بِهِ بَعضُ النَّصَارَى عَنْ نُبُوَّتِهِ ﷺ وَصِدقِ رِسَالَتِهِ مِثلُ أُسقُفٌ عَمُّورِيَّةَ. [أحمد: ٢٣٣٧]. وَمِثلُ وَرَقَةَ بنِ نَوفَلٍ؛ الَّذِي قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «وَإِنْ يُدرِكنِي يَومُكَ أَنصُرْكَ نَصرًا مُؤَزَّرًا» [البخاري: ٣، ومسلم: ١٦٠]. «الأُسقُفُ»: رُتبَةٌ دِينِيَّةٌ عِندَ النَّصَارَى، «عَمُّورِيَّةُ»: مَدِينَةٌ قَدِيمَةٌ مِنْ مُدُنِ الرُّومِ، تَقَعُ جَنُوبَ تُركِيَا عَلَى حُدُودِ الشَّامِ.

أَبُو بَكرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه يَدَعُ الهِجرَةَ لِلحَبَشَةِ

خَرَجَ أَبُو بَكرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه مُهَاجِرًا إِلَى الحَبَشَةِ، فَلَقِيَهُ سَيِّدُ إِحدَى القَبَائِلِ جَنُوبَ مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ يُقَالُ لَهُ: ابنُ الدَّغِنَةِ، «فَقَالَ لَهُ: أَينَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكرٍ؟ فَقَالَ أَبُو بَكرٍ: أَخرَجَنِي قَومِي، فَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الأَرضِ، فَأَعبُدَ رَبِّي، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ مِثلَكَ لَا يَخرُجُ وَلَا يُخرَجُ»، فَأَدخَلَهُ فِي جِوَارِهِ، فَرَجَعَ أَبُو بَكرٍ رضي الله عنه. [البخاري: ٣٩٧].

أَبُو بَكرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه أَوَّلُ مَنِ ابتَنَى مَسجِدًا

تَقُولُ عَائِشَةُ رضي الله عنها: «ثُمَّ بَدَا لِأَبِي بَكرٍ، فَابتَنَى مَسجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، فَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ وَيَقرَأُ القُرآنَ، فَيَقِفُ عَلَيهِ

نساءُ الْمُشرِكِينَ وَأَبناؤُهُمْ، يَعجَبُونَ مِنهُ وَيَنظُرُونَ إِلَيهِ، وكانَ أَبو بَكرٍ رَجُلًا بَكَّاءً، لَا يَملِكُ عَينَيهِ إِذا قَرَأَ القُرآنَ، فَأَفزَعَ ذَلِكَ أَشرَافَ قُرَيشٍ مِنَ الْمُشرِكِينَ» [البخاري: ٤٧٦].

فَأَرسَلُوا إِلَى الرَّجُلِ الَّذِي أَجَارَهُ: «قَد خَشِينَا أَن يَفتِنَ أَبنَاءَنَا ونِسَاءَنَا»، فَكَلَّمَ أَبَا بَكرٍ أَن يَكُفَّ أَو يَرُدَّ إِلَيهِ جِوارَهُ، فَقَالَ لَهُ رضي الله عنه: «إِنِّي أَرُدُّ إِلَيكَ جِوارَكَ، وَأَرضَى بِجِوارِ اللَّهِ» [البخاري: ٢٢٩٧].

حَمزَةُ بنُ عَبدِ المُطَّلِبِ رضي الله عنه يُسلِمُ

أعزَّ اللَّهُ عز وجل الْمُسلِمِينَ بِإِسلَامِ بَعضِ رِجالَاتِ قُرَيشٍ العُظَماءِ، ومنهُم: حَمزَةُ بنُ عَبدِالْمُطَّلِبِ رضي الله عنه عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وأَخُوهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ [البخاري: ٢٦٤٥، مسلم: ١٤٤٧]. وَكَانَ إِسلَامُهُ فَتحًا جديدًا، وَبِشَارَةً عَظِيمَةً لِلْمُسلِمِينَ، وَكَانَ فِي مُقَدِّمَةِ فُرسَانِ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى استُشهِدَ رضي الله عنه فِي غَزوَةِ أُحُدٍ [البخاري: ٤٠٧٢].

عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه يُسلِمُ

كانَ عُمَرُ رضي الله عنه مِنَ الْمُنَاوِئِينَ لِلْمُسلِمِينَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ عز وجل

شَرَحَ صَدْرَهُ وَهَدَى قَلْبَهُ بِفَضْلِهِ ﷻ، ثُمَّ بِبَرَكَاتِ دَعْوَةِ النَّبِيِّ ﷺ، حَيْثُ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ: بِأَبِي جَهْلٍ، أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ»، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: وَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ عُمَرُ. [الترمذي: ٣٦٨١].

وَيَقُولُ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ» [البخاري: ٣٦٨٤].

وَلَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ رضي الله عنه ثَارَ عَلَيْهِ المُشْرِكُونَ، وَتَجَمَّعُوا حَوْلَ دَارِهِ لِيَقْتُلُوهُ، فَأَجَارَهُ العَاصِ بْنُ وَائِلٍ. [البخاري: ٣٨٦٥].

وَنَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه مَكَانَةً رَفِيعَةً فِي أُمَّةِ الإِسْلَامِ، وَبَشَّرَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِالجَنَّةِ. [البخاري: ٣٦٧٩، ومسلم: ٢٤٠٣].

وَأَثْنَى عَلَيْهِ فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ؛ قَالَ ﷺ: «لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ، فَإِنَّهُ عُمَرُ» [البخاري: ٣٦٨٩]. «مُحَدَّثُونَ»: مُلْهَمُونَ.

وَفِي لَفْظٍ: «فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ مِنْهُمْ» [مسلم: ٢٣٩٨].

مُعجزة كونية

كانت هُنَاكَ مُعجِزَاتٌ نَبوِيَّةٌ كَثِيرَةٌ، وَأَعظَمُهَا القُرآنُ الكَرِيمُ، المُعجِزَةُ الخَالِدَةُ، الَّذِي تَحَدَّى اللهُ ﷻ بِهِ الإِنسَ وَالجِنَّ.

ومِنهَا: انشِقَاقُ القَمرِ، ﷻ: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةً يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٌ مُّسۡتَمِرٌّ﴾ [القمر: ١، ٢].

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: «سَأَلَ أَهلُ مَكَّةَ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيةً، فَأَرَاهُمُ انشِقَاقَ القَمَرِ» [البخاري: ٣٨٦٧، ومسلم: ٢٨٠٢].

الحصار الجائر

تحالَفَتْ قُرَيشٌ وَكِنَانَةُ عَلَى مُقَاطَعَةِ بَنِي هَاشِمٍ مُقَاطَعَةً شامِلَةً، وَفَرَضُوا عَلَيهِمْ حِصَارًا اقتِصَادِيًّا وَاجتِمَاعِيًّا جائِرًا، «أَلَّا يُنَاكِحُوهُمْ وَلَا يُبَايِعُوهُمْ، حَتَّى يُسلِمُوا إِلَيهِمُ النَّبِيَّ ﷺ» [البخاري: ١٥٩٠، ومسلم: ١٣١٤/٣٤٤].

واستَمَرَّ ذَلِكَ الحِصَارُ نَحوَ ثَلَاثَةِ أَعوَامٍ، حَتَّى أَكَلُوا أَورَاقَ الشَّجَرِ.

أبو طالب يمدح النبي ﷺ

إِضَافَةً إِلَى حِمَايَةِ أَبِي طَالِبٍ وَمُنَاصَرَتِهِ، فَقَدِ امْتَدَحَ النَّبِيَّ ﷺ بِأَبْيَاتٍ مِنَ الشِّعْرِ. [البخاري: ١٠٠٨].

ثمال اليتامى:

كَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَتَمَثَّلُ بِشِعْرِ أَبِي طَالِبٍ، وَيَقُولُ: «رُبَّمَا ذَكَرْتُ قَوْلَ الشَّاعِرِ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى وَجْهِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْتَسْقِي، فَمَا يَنْزِلُ حَتَّى يَجِيشَ كُلُّ مِيزَابٍ:

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ... ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ

[البخاري: ١٠٠٨ و ١٠٠٩ معلقا]. «ثِمالُ»: عِمَادُ وَمُعِينٌ بَعْدَ اللهِ ﷻ. «فَمَا يَنْزِلُ» أَيْ: مِن عَلَى الْمِنْبَرِ. «يَجِيشُ»: يَجْرِي وَيَتَدَفَّقُ. «الْمِيزَابُ»: قَنَاةٌ لِصَرْفِ الْمَاءِ مِنَ السَّطْحِ.

وفاة أبي طالب عم النبي ﷺ

فِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ مِنَ الْبِعْثَةِ تُوُفِّيَ عَمُّ النَّبِيِّ ﷺ؛ الَّذِي كَانَ يَحُوطُهُ وَيُنَاصِرُهُ، وَيَغْضَبُ لَهُ، وَيَهَابُهُ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ.

[البخاري: ٣٨٨٣، ومسلم: ٢٠٩].

وَقَدْ حَرَصَ ﷺ عَلَى هِدَايَتِهِ، وَقَالَ لَهُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ:

«أَيْ عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ»، وَأَبَى...، وَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦]. [البخاري: ١٣٦٠، ومسلم: ٢٤]. «أُحَاجُّ»: أَشْهَدُ.

وَفَاةُ السَّيِّدَةِ الأُولَى فِي الإِسْلَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

ثُمَّ نَزَلَ بِالنَّبِيِّ ﷺ حَدَثٌ أَلِيمٌ، وَمُصَابٌ جَسِيمٌ، إِذْ تُوُفِّيَتْ زَوْجَتُهُ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «قَبْلَ مَخْرَجِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ» [البخاري: ٣٨٩٦].

وَحَزِنَ لِذَلِكَ حُزْنًا شَدِيدًا، لِمَا كَانَ لَهَا فِي حَيَاتِهِ ﷺ مِنْ حُبٍّ عَمِيقٍ وَمَكَانَةٍ رَفِيعَةٍ وَأَثَرٍ كَبِيرٍ.

وَكَانَ ﷺ دَائِمَ التَّذَكُّرِ لَهَا، وَالْإِشَادَةِ بِهَا، وَالْحَنِينِ إِلَيْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. [البخاري: ٣٨١٨، ومسلم: ٢٤٣٥].

الرِّحْلَةُ إِلَى الطَّائِفِ

وَفِي تِلْكَ السَّنَةِ ذَهَبَ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ، عَلَّهُ يَجِدُ هُنَاكَ مَنْ يَقْبَلُ دَعْوَتَهُ. فَكَانَ رَدُّ الْمُشْرِكِينَ فِيهَا أَدْهَى وَأَمَرَّ، وَأُوذِيَ إِيذَاءً شَدِيدًا. [البخاري: ٣٢٣١، ومسلم: ١٧٩٥].

أعظم الخلق رحمة

مِنْ عَظِيمِ رَحْمَتِهِ ﷺ: أَنَّهُ فِي أَثْنَاءِ عَوْدَتِهِ مِنَ الطَّائِفِ حَزِينًا مَهْمُومًا أَرْسَلَ اللَّهُ ﷻ إِلَيْهِ جِبْرِيلَ عليه السلام فَنَادَاهُ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ...: إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ»، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» [البخاري: ٣٢٣١، ومسلم: ١٧٩٥].

«الأَخْشَبَانِ»: جَبَلَانِ عَظِيمَانِ مُتَقَابِلَانِ بِمَكَّةَ.

وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم

قَالَ أَبُو جَهْلٍ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، فَنَزَلَتْ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٣]. [البخاري: ٤٦٤٨، ومسلم: ٢٧٩٦].

النَّبِيُّ ﷺ يَعْرِضُ دَعْوَتَهُ عَلَى الْقَبَائِلِ

وَاصَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَرْضَ الْإِسْلَامِ عَلَى النَّاسِ فِي مُنْتَدَيَاتِهِمْ وَأَسْوَاقِهِمْ، وَفِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ عَلَى الْقَبَائِلِ الْوَافِدَةِ إِلَى مَكَّةَ، وَكَانَ يُنَادِي فِيهِمْ: «أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ؟ فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي» [أبوداود: ٤٧٣٤، والترمذي: ٢٩٢٥، والنسائي في الكبرى: ٧٦٨٠، وابن ماجه: ٢٠١].

أَوَّلُ لِقَاءٍ بِأَهْلِ الْمَدِينَةِ

فِي السَّنَةِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ مِنَ الْبِعْثَةِ، كَانَتْ بِدَايَةُ فَجْرٍ جَدِيدٍ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ، حَيْثُ الْتَقَى ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، فَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ، وَتَلَا عَلَيْهِمْ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَآمَنُوا بِهِ، وَفَرِحُوا بِلِقَائِهِ، وَعَادُوا إِلَى الْمَدِينَةِ. [الطبراني: ٢٠/(٨٨٩)].

النَّبِيُّ ﷺ يَعْقِدُ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

وَفِي تِلْكَ السَّنَةِ فِي شَهْرِ شَوَّالٍ، عَقَدَ ﷺ عَلَى عَائِشَةَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَلَمْ يَدْخُلْ بِهَا إِلَّا فِي الْمَدِينَةِ فِي السَّنَةِ الْأُولَى مِنَ الْهِجْرَةِ. [البخاري: ٣٨٩٦، ومسلم: ١٤٢٢].

مودة نبوية وزيارات يومية

تَقُولُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، طَرَفَيِ النَّهَارِ: بُكْرَةً وَعَشِيَّةً» [البخاري: ٤٧٦].

النبي ﷺ يتزوج سودة رضي الله عنها

تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ الصَّحَابِيَّةَ الْجَلِيلَةَ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا. [أحمد: ٢٥٧٦٩]. تَقُولُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «وَكَانَتْ أَوَّلَ امْرَأَةٍ تَزَوَّجَهَا بَعْدِي» [مسلم: ١٤٦٣/٤٨]. أَيْ: بَعْدَ أَنْ عَقَدَ عَلَيْهَا.

وَقَدْ وَهَبَتْ يَوْمَهَا بَعْدَمَا كَبِرَتْ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، تَتَحَبَّبُ بِذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. [البخاري: ٥٢١٢، ومسلم: ١٤٦٣].

وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «مَا رَأَيْتُ امْرَأَةً أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ فِي مِسْلَاخِهَا مِنْ سَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ» [مسلم: ١٤٦٣]. «فِي مِسْلَاخِهَا» أَيْ: فِي مِثْلِ عِبَادَتِهَا وَطَرِيقَتِهَا.

النبي ﷺ في أعظم رحلة

تُعَدُّ حَادِثَةُ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ مِنْ أَعْظَمِ الْحَوَادِثِ

فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَقَدْ جَاءَتْ بَعْدَ عِدَّةِ ابْتِلَاءَاتٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ.

قَالَ: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

حادثة شق الصدر الثانية:

وَكَانَ ذَلِكَ قُبَيْلَ انطِلَاقِ الرِّحْلَةِ الْمُبَارَكَةِ؛ يَقُولُ ﷺ: «فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ، فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ» [البخاري: ٣٤٩، ومسلم: ١٦٣].

«فرج»: فتح، «أطبقه»: غطى صدره وأعاده كما كان.

وسيلة السفر إلى بيت المقدس:

أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ لَيْلًا عَلَى «الْبُرَاقِ» إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ. يَقُولُ ﷺ: «وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ، فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ» [البخاري: ٣٢٠٧، ومسلم: ١٦٤].

«منتهى طرفه»: منتهى بصره.

أهل السموات يستبشرون بالنبي ﷺ:

يَقُولُ أَنَسٌ رضي الله عنه: «ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَضَرَبَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِهَا، فَنَادَاهُ أَهْلُ السَّمَاءِ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: جِبْرِيلُ، قَالُوا: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مَعِي مُحَمَّدٌ، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ؟! قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: فَمَرْحَبًا بِهِ وَأَهْلًا، فَيَسْتَبْشِرُ بِهِ أَهْلُ السَّمَاءِ» [البخاري: ٧٥١٧، ومسلم: ١٦٢].

النبي ﷺ يلتقي إخوانه الأنبياء عليهم السلام:

الْتَقَى النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذِهِ الرِّحْلَةِ عَدَدًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام، فَقَدِ الْتَقَى آدَمَ عليه السلام، وَعِيسَى عليه السلام، وَيَحْيَى عليه السلام، وَيُوسُفَ عليه السلام، وَإِدْرِيسَ عليه السلام، وَهَارُونَ عليه السلام، وَمُوسَى عليه السلام، وَإِبْرَاهِيمَ عليه السلام، وَكَانَ كُلٌّ مِنْهُمْ يَقُولُ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، غَيْرَ آدَمَ وَإِبْرَاهِيمَ عليهما السلام فَقَدْ قَالَا: مَرْحَبًا بِالابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. [البخاري: ٣٨٨٧، ومسلم: ١٦٤].

البيت المعمور:

يَقُولُ ﷺ: «فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ السَّابِعَةَ... فَرُفِعَ لِي الْبَيْتُ

الْمَعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ» [البخاري: ٣٢٠٧، ومسلم: ١٦٢].

سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى:

عُرِجَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٣-١٨].

وَيَقُولُ ﷺ: «ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ، فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا» [البخاري: ٣٢٠٧، ومسلم: ١٦٢]. «السِّدْرَةُ الْمُنْتَهَى»: شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، «الْقِلَالُ»: آنِيَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الْفَخَّارِ، «يَنْعَتُهَا»: يَصِفُهَا.

النَّبِيُّ ﷺ يَسْمَعُ صَرِيفَ الأَقْلَامِ:

يَقُولُ ﷺ: «ثُمَّ عُرِجَ بِي، حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوًى أَسْمَعُ فِيهِ

صَرِيفَ الْأَقْلَامِ» [البخاري: ٣٤٩، ومسلم: ١٦٣]. «ظَهَرْتُ»: ارْتَفَعْتُ وَعَلَوْتُ. «صَرِيفُ الأَقْلَامِ»: صَوْتُهَا حَالَ كِتَابَةِ المَلَائِكَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

النَّبِيُّ ﷺ يَزُورُ الجَنَّةَ:

يَقُولُ ﷺ: «ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا حَبَايِلُ اللُّؤْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ» [البخاري: ٣٤٩، ومسلم: ١٦٣]. «حَبَايِلُ»: أَيِ القَلَائِدُ وَالعُقُودُ.

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ:

قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [سورة الكوثر].

هَذِهِ السُّورَةُ الْعَظِيمَةُ مِنْ بَشَائِرِ اللهِ ﷻ، وَكَرِيمِ آلَائِهِ، وَجَلِيلِ هِبَاتِهِ، وَعَظِيمِ عَطَايَاهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ.

فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا عُرِجَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: «أَتَيْتُ عَلَى نَهَرٍ، حَافَتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ مُجَوَّفًا، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ» [البخاري: ٤٩٦٤، وأصله متفق عليه].

وَفِي رِوَايَةٍ: «هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي خَبَأَ لَكَ رَبُّكَ» [البخاري: ٧٥١٧].

اختفاءٌ وعطاءٌ:

أُعْطِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي رِحْلَةِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ هِبَاتٍ جَلِيلَةً -إِضَافَةً إِلى الْحُبِّ وَالْقُرْبِ-، مِنهَا ثَلَاثٌ: «أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا الْمُقْحِمَاتُ» [مسلم: ١٧٣].

«الْمُقْحِمَاتُ»: كَبَائِرُ الذُّنُوبِ.

موسى عليه السلام يشيرُ على النبيِّ ﷺ:

فَرَضَ اللَّهُ ﷻ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، فَلَمَّا مَرَّ ﷺ عَلَى مُوسَى عليه السلام وَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ، قَالَ لَهُ مُوسَى عليه السلام: «فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ». فَمَا زَالَ اللَّهُ تَعَالَى يُخَفِّضُهَا لِنَبِيِّهِ ﷺ حَتَّى صَارَتْ خَمْسًا فِي الْعَدَدِ وَخَمْسِينَ فِي الْأَجْرِ. [البخاري: ٣٤٩، ومسلم: ١٦٣].

صورةُ بيتِ المقدسِ تَعرضُ للنبيِّ ﷺ

كَذَّبَ الْمُشْرِكُونَ بِرِحْلَةِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ لَمَّا أَخْبَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِهَا، فَأَيَّدَهُ اللَّهُ ﷻ بِآيَةٍ عَظِيمَةٍ. يَقُولُ ﷺ:

«لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ قُمْتُ فِي الْحِجْرِ، فَجَلَّى اللهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ» [البخاري:٣٨٨٦، ومسلم: ١٧٠]. «جَلَّى»: كَشَفَ، «طَفِقْتُ»: بَدَأْتُ.

الأرض المباركة

بَيْتُ الْمَقْدِسِ مَعْدِنُ النُّبُوَّاتِ، وَمَهْدُ الرِّسَالَاتِ. قَالَ تَعَالَى فِي قِصَّةِ مُوسَى ﷺ: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ [المائدة: ٢١]، وَقَالَ تَعَالَى فِي قِصَّةِ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧١]. وَقَدْ دَعَا النَّبِيُّ ﷺ لِلشَّامِ عُمُومًا فَقَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَأْمِنَا» [البخاري: ١٠٣٧].

ثالث المسجدين:

قَالَ تَعَالَى فِي قِصَّةِ الْإِسْرَاءِ: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ [الإسراء: ١]، وَقَالَ ﷺ: «لَا تُشَدُّوا الرِّحَالَ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِي هَذَا، وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَالْمَسْجِدِ

الأَقصَى» [البخاري: ٣٣٦٦، ومسلم: ٥٢٠ (٢/٣٧٥)]. وَكَانَ بَيْتُ المَقدِسِ قِبلَةَ المُسلِمِينَ الأُولَى. [البخاري: ٤٠، ومسلم: ٥٢٥/٢].

النَّبِيُّ ﷺ والصَّلاةُ

الصَّلَاةُ هِيَ الرُّكنُ الثَّانِي مِن أَركَانِ الإِسلَامِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾[النساء: ١٠٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وَرَفَعَ اللهُ ﷻ شَأنَ الصَّلَاةِ بِأَن فَرَضَهَا عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ فِي المَلأِ الأَعلَى فِي رِحلَةِ الإِسرَاءِ وَالمِعرَاجِ، وَقَد كَانَتِ الصَّلَاةُ قُرَّةَ عَينِ النَّبِيِّ ﷺ، وَرَاحَةَ فُؤَادِهِ، وَسَلوَةَ حَيَاتِهِ، وَبُستَانَ مُنَاجَاتِهِ. يَقُولُ ﷺ: «...وَجُعِلَت قُرَّةُ عَينِي فِي الصَّلَاةِ» [النسائي: ٣٩٤٠]. وَكَانَ ﷺ يُنَادِي: «يَا بِلَالُ، أَقِمِ الصَّلَاةَ؛ أَرِحنَا بِهَا» [أبو داود: ٤٩٨٥]. وَسُئِلَ ﷺ: أَيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ:

«الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا» [البخاري: ٥٢٧، ومسلم: ٨٥/١٣٩]. وَيَقُولُ ﷺ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟»، قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: «فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا» [البخاري: ٥٢٨، ومسلم: ٦٦٧]. «الدَّرَنُ»: الْوَسَخُ.

الْجِنُّ يُسْلِمُونَ

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]. وَقَدِ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي بِعَدَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ رضي الله عنهم صَلَاةَ الْفَجْرِ، فِي طَرِيقِهِ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ، لِدَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، «فَهُنَالِكَ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ، فَقَالُوا: يَا قَوْمَنَا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١، ٢]. [البخاري: ٧٧٣، ومسلم: ٤٤٩].

نِعْمَ الْجِنُّ:

قَالَ ﷺ: «أَتَانِي وَفْدُ جِنِّ نَصِيبِينَ، وَنِعْمَ الْجِنُّ» [البخاري: ٣٨٦٠].

وَقَالَ ﷺ: «أَتَانِي دَاعِي الْجِنِّ فَذَهَبْتُ معهُ فقرأتُ عليهِم الْقُرْآنَ» [مسلم: ٤٥٠]. «نَصِيبِينَ»: اسْمُ لِمَكَانٍ.

بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ الأُولَى

فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ مِنَ الْبِعْثَةِ بَدَأَ قِطَافُ اللِّقَاءِ الَّذِي تَمَّ فِي السَّنَةِ السَّابِقَةِ؛ حَيثُ جَاءَ مِنَ الْمَدِينَةِ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، فَالْتَقَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي مَوْسِمِ الْحَجِّ، وَبَايَعُوهُ، وَكَانَتْ تِلْكَ بَيْعَةَ الْعَقَبَةِ الأُولَى. [البخاري: ٣٨٩٢، ومسلم: ١٧٠٩ (٣/١٣٣٣)].

أَوَّلُ سَفِيرٍ فِي الإِسْلَامِ

بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَ أُولَئِكَ الأَنْصَارِ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ رضي الله عنه؛ وَهُوَ أَوَّلُ سَفِيرٍ فِي الإِسْلَامِ؛ لِيُقْرِئَهُمُ الْقُرْآنَ، وَيُعَلِّمَهُمُ الإِسْلَامَ. [البخاري: ٣٩٢٥].

بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةُ

وَفِي السَّنَةِ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ مِنَ الْبِعْثَةِ، فِي مَوْسِمِ الْحَجِّ، أَقْبَلَتْ مِنَ الْمَدِينَةِ الْقُلُوبُ الْمُؤْمِنَةُ، لِيَلْتَقِيَ النَّبِيُّ ﷺ سَبْعِينَ رَجُلًا، وَمَعَهُمُ امْرَأَتَانِ، وَاخْتَارُوا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا لِيَكُونُوا عَلَى قَوْمِهِمْ. [أحمد: ١٥٧٩٨]. «النَّقِيبُ»: كَبِيرُ الْقَوْمِ وَالْمَعْنِيُّ بِشُؤُونِهِمْ.

أعظمُ ثمنٍ:

تَعَاقَدَ النَّبِيُّ ﷺ وَالأَنْصَارُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ عَلَى نُصْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَإِيوَائِهِمْ، وَالْوَفَاءِ لِلَّهِ ﷻ وَلِرَسُولِهِ ﷺ. [البخاري: ٤٤١٨]. وَقَالَ ﷺ لَهُمْ: «أَسْأَلُكُمْ لِرَبِّي ﷻ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَسْأَلُكُمْ لِنَفْسِي وَلِأَصْحَابِي أَنْ تُؤْوُونَا وَتَنْصُرُونَا وَتَمْنَعُونَا مِمَّا مَنَعْتُمْ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ»، قَالُوا: فَمَا لَنَا إِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ؟ قَالَ: «لَكُمُ الْجَنَّةُ»، قَالُوا: فَلَكَ ذَلِكَ. [أحمد: ١٧٠٧٨].

وسامُ الثَّناءِ للنُّقَباءِ:

كَانَتْ هَذِهِ الْبَيْعَةُ الْعَظِيمَةُ مَنْقَبَةً رَفِيعَةَ الشَّأْنِ لِمَنْ حَضَرَهَا مِنَ الأَنْصَارِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَوِسَامًا مُتَمَيِّزًا يَفْتَخِرُونَ بِهِ. [البخاري: ٣٨٨٩، ٣٨٩٠، ٣٨٩٣، ومسلم: ٧٠٩/١١٤، ٢٧٦٩].

النَّبِيُّ ﷺ يَرَى دَارَ هِجْرَتِهِ فِي الْمَنَامِ

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجَرُ، فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ» [البخاري: ٣٦٢٢، ومسلم: ٢٢٧٢].

«وَهَلِي»: ظَنِّي.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَدْ أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ، رَأَيْتُ سَبْخَةً ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ»، وَهُمَا الْحَرَّتَانِ. فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قِبَلَ الْمَدِينَةِ حِينَ ذَكَرَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَرَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ بَعْضُ مَنْ كَانَ هَاجَرَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ. [البخاري: ٢٢٩٧]. «السَّبْخَةُ»: أَرْضٌ لَا تُنْبِتُ إِلَّا الْقَلِيلَ. «لَابَتَانِ»: مُثَنَّى لَابَةٍ وَهِيَ الْأَرْضُ ذَاتُ الْحِجَارَةِ السَّوْدَاءِ «الْحَرَّتَانِ» أَيِ: الشَّرْقِيَّةُ وَالْغَرْبِيَّةُ.

وَقَالَ ﷺ: «إِنَّهُ قَدْ وُجِّهَتْ لِي أَرْضٌ ذَاتُ نَخْلٍ، لَا أُرَاهَا إِلَّا يَثْرِبَ» [مسلم: ٢٤٧٣].

الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يُهَاجِرُونَ إِلَى الْمَدِينَةِ

بَعْدَ بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ هَاجَرَ عَدَدٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ، أَمَّا النَّبِيُّ ﷺ فَبَقِيَ يَنْتَظِرُ إِذْنَ رَبِّهِ ﷻ بِالْهِجْرَةِ، وَاسْتَبْقَى مَعَهُ صَاحِبَهُ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. [البخاري: ٢١٣٨].

عَلَى رِسْلِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ

حِينَمَا أَرَادَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يُهَاجِرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، قَالَ لَهُ ﷺ: «عَلَى رِسْلِكَ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ:

وَهَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَبِي أَنتَ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَصْحَبَهُ، وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمُرِ، أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ. [البخاري: ٣٩٠٥]. «السَّمُرُ: هُوَ شَجَرٌ كَثِيفُ الأَوْرَاقِ وَالأَشْوَاكِ».

أَوائِلُ الْمُهاجِرِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مُصْعَبُ ابْنُ عُمَيْرٍ وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، وَكَانَا يُقْرِئَانِ النَّاسَ، فَقَدِمَ بِلَالٌ وَسَعْدٌ وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، ثُمَّ قَدِمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي عِشْرِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ. [البخاري: ٣٩٢٥]. فَإِذَا بِعَبِيرِ الْإِسْلَامِ يَفُوحُ فِي أَرْجَاءِ الْمَدِينَةِ، وَإِذَا بِأَنْوَارِهِ تُضِيءُ فِي جَنَبَاتِهَا.

مَنْزِلَةُ الْهِجْرَةِ وَالْمُهَاجِرِينَ

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [التوبة: ٢٠].

وَسُئِلَ ﷺ عَنِ الْهِجْرَةِ، فَقَالَ: «إِنَّ شَأْنَهَا شَدِيدٌ» [البخاري: ١٤٥٢، ومسلم: ١٨٦٥]. وَقَالَ ﷺ: «ذَهَبَ أَهْلُ الْهِجْرَةِ بِمَا فِيهَا» [البخاري: ٤٣٠٥، ومسلم: ١٨٦٣].

إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ» [البخاري: ٥٤، ومسلم: ١٩٠٧]. وَهَذَا أَصْلٌ عَظِيمٌ فِي قَبُولِ الْأَعْمَالِ، وَهُوَ مِنْ جَوَامِعِ كَلِمِهِ ﷺ.

مُؤَامَرَةُ الِاغْتِيَالِ الْكُبْرَى

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠].

فِي أَوَائِلِ السَّنَةِ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ مِنَ الْبِعْثَةِ عَقَدَ زُعَمَاءُ قُرَيْشٍ أَخْطَرَ مُؤْتَمَرٍ لَهُمْ، وَقَرَّرُوا بِالْإِجْمَاعِ التَّخَلُّصَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ وَقَتْلَهُ، إِذِ «اجْتَمَعُوا فِي الْحِجْرِ، فَتَعَاهَدُوا بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةِ الْأُخْرَى: لَوْ قَدْ رَأَيْنَا مُحَمَّدًا، قُمْنَا إِلَيْهِ قِيَامَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَلَمْ نُفَارِقْهُ حَتَّى نَقْتُلَهُ» [أحمد: ٣٤٨٥].

وَلكِنَّ اللَّهَ ﷻ أَبْطَلَ مَكْرَهُمْ، وحَفِظَ نَبِيَّهُ ﷺ، فَقَدْ تَوَضَّأَ ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِمُ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، «فَأَخَذَ قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ، فَحَصَبَهُمْ بِهَا، وَقَالَ: «شَاهَتِ الْوُجُوهُ»، فَمَا أَصَابَتْ رَجُلًا مِنْهُمْ حَصَاةٌ إِلَّا قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ كَافِرًا» [أحمد: ٣٤٨٥]. «حَصَبَهُمْ»: رَمَاهُمْ، «شَاهَتْ»: قَبُحَتْ.

رَدُّ الوَدَائِعِ إِلَى أَهْلِهَا

كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَضَعُونَ أَهَمَّ أَمَانَاتِهِمْ وَدَائِعَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ قَبْلَ الْبِعْثَةِ وَبَعْدَهَا؛ لِثِقَتِهِمْ بِأَمَانَتِهِ وَصِدْقِهِ. فَلَمَّا أَرَادَ ﷺ الْهِجْرَةَ، كَانَ مِنْ كَرِيمِ أَخْلَاقِهِ رَدُّ الْوَدَائِعِ إِلَى أَهْلِهَا، وكَلَّفَ بِذَلِكَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، فَأَقَامَ «ثَلَاثَ لَيَالٍ وَأَيَّامَهَا، حَتَّى أَدَّى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْوَدَائِعَ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهُ لِلنَّاسِ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهَا لَحِقَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ» [البيهقي: ٣٨٧].

النَّبِيُّ ﷺ يُهَاجِرُ إِلَى الْمَدِينَةِ

لَمَّا أَذِنَ اللَّهُ ﷻ لِنَبِيِّهِ ﷺ بِالْهِجْرَةِ، انْطَلَقَ وَقْتَ الظَّهِيرَةِ إِلَى دَارِ صَاحِبِهِ الْوَفِيِّ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَأْذَنَ،

فَأُذِنَ لَهُ فَدَخَلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لأَبِي بَكْرٍ: «أَخْرِجْ مَنْ عِندَكَ»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ، بِأَبِي أَنتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ» [البخاري: ٢١٣٨].

وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه جَهَّزَ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ الرِّحْلَةُ، فَقَالَ: الصُّحْبَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الصُّحْبَةَ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ عِندِي نَاقَتَيْنِ أَعْدَدْتُهُمَا لِلْخُرُوجِ، فَخُذْ إِحْدَاهُمَا، قَالَ: «قَدْ أَخَذْتُهَا بِالثَّمَنِ» [البخاري: ٢١٣٨].

ثُمَّ اتَّجَهَ ﷺ وَصَاحِبُهُ رضي الله عنه إِلَى غَارِ ثَوْرٍ، وَذَلِكَ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ صَفَرٍ. •غَارُ ثَوْرٍ: يَقَعُ أَعْلَى جَبَلِ ثَوْرٍ جَنُوبَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ عَلَى بُعْدِ حَوَالَيْ سَبْعَةِ كِيلُومِتْرَاتٍ.

لا تحزن إن الله معنا:

ظَلَّ النَّبِيُّ ﷺ وَصَاحِبُهُ رضي الله عنه فِي الْغَارِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، وَلَيْلَةَ السَّبْتِ، وَلَيْلَةَ الأَحَدِ، تَقُولُ عَائِشَةُ رضي الله عنها: «ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ، فَكَمَنَا فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ» [البخاري: ٣٩٠٥]. •كَمَنَ: اخْتَبَأَ.

وَقَدْ تَمَكَّنَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ تَعَقُّبِ أَثَرِ النَّبِيِّ ﷺ وَصَاحِبِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى وَصَلُوا إِلَى الْغَارِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ ﷻ أَعْمَى أَبْصَارَهُمْ. وَلَمَّا رَأَى أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَقْدَامَهُمْ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا، فَقَالَ ﷺ: «مَا ظَنُّكَ -يَا أَبَا بَكْرٍ- بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا؟!» [البخاري: ٣٦٥٣، ومسلم: ٢٣٨١].

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

مُتَابَعَةُ الأَخْبَارِ مِنَ الْغَارِ:

كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا شَابًّا ذَكِيًّا فَطِنًا، يَنْطَلِقُ فِي وَقْتِ السَّحَرِ مِنَ الْغَارِ، فَيَسْمَعُ مَا يَدُورُ فِي مَجَالِسِ قُرَيْشٍ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَيْهِمَا حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ نَاقِلًا مَا سَمِعَهُ مِنْ أَخْبَارٍ وَمُؤَامَرَاتٍ. [البخاري: ٣٩٠٥].

رَاعِي الأَغْنَامِ يُرِيحُهَا فِي الظَّلَامِ:

كَانَ عَامِرُ بنُ فُهَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَرْعَى

الأَغْنَامَ، «فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ، فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلٍ، وَهُوَ لَبَنُ مِنْحَتِهِمَا وَرَضِيفِهِمَا...، يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثِ» [البخاري: ٣٩٠٥]. «الرِّسْلُ»: اللَّبَنُ الطَّرِيُّ، «الْمِنْحَةُ»: الشَّاةُ، «الرَّضِيفُ»: اللَّبَنُ تُجْعَلُ فِيهِ الْحِجَارَةُ الْمُحْمَاةُ.

ذاتُ النِّطاقَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا:

تَقُولُ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «صَنَعْتُ سُفْرَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ، حِينَ أَرَادَ أَنْ يُهَاجِرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَلَمْ نَجِدْ لِسُفْرَتِهِ، وَلَا لِسِقَائِهِ مَا نَرْبِطُهُمَا بِهِ، فَقُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ: وَاللهِ مَا أَجِدُ شَيْئًا أَرْبِطُ بِهِ إِلَّا نِطَاقِي، قَالَ: فَشُقِّيهِ بِاثْنَيْنِ، فَارْبِطِيهِ: بِوَاحِدٍ السِّقَاءَ، وَبِالْآخَرِ السُّفْرَةَ، فَفَعَلْتُ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ. [البخاري: ٢٩٧٩]. وَكَانَتْ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تَفْتَخِرُ وَتَقُولُ: «أَنَا وَاللهِ ذَاتُ النِّطَاقَيْنِ» [مسلم: ٢٥٤٥]. «سُفْرَتُهُ»: طَعَامُهُ «النِّطَاقُ»: كالحَبْلِ تَرْبِطُهُ المَرْأَةُ عَلَى وَسَطِهَا لِتَشُدَّ بِهِ ثِيَابَهَا.

بدءُ انطلاقِ الرِّحلةِ:

فِي لَيْلَةِ الاثْنَيْنِ، غُرَّةِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ، كَانَتِ الانْطِلَاقَةُ

مِنْ غَارِ ثَوْرٍ، حَيْثُ يَمَّمَ النَّبِيُّ ﷺ وَجْهَهُ الشَّرِيفَ إِلَى الْمَدِينَةِ بِرُفْقَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَمَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، وَالدَّلِيلُ الْمَاهِرُ بِمَعْرِفَةِ الطُّرُقِ إِلَى الْمَدِينَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُرَيْقِطٍ، وَكَانَ مُشْرِكًا اسْتَأْجَرَاهُ. «فَأَمِنَاهُ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا، وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ فَارْتَحَلَا ...، فَأَتَاهُمَا بِرَاحِلَتَيْهِمَا صَبِيحَةَ لَيَالٍ ثَلَاثٍ. فَأَخَذَ بِهِمْ أَسْفَلَ مَكَّةَ وَهُوَ طَرِيقُ السَّاحِلِ» [البخاري: ٢٢٦٣].

أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يتفانى في الخدمة:

مُنْذُ أَنِ انطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي هِجْرَتِهِ الْمُبَارَكَةِ، وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَتَفَانَى فِي الْخِدْمَةِ وَالتَّضْحِيَةِ، فَإِذَا اشْتَدَّتِ الظَّهِيرَةُ بَحَثَ عَنْ ظِلٍّ فَفَرَشَ لِلنَّبِيِّ ﷺ لِيَضْطَجِعَ وَيَرْتَاحَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «اضْطَجِعْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ» [البخاري: ٣٦٥٢، ومسلم: ٢٠٠٩ (٤/٢٣٠٩)].

وَإِذَا عَطِشَ ﷺ أَحْضَرَ لَهُ اللَّبَنَ وَبَرَّدَهُ بِالْمَاءِ، يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَمَّا خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ مَرَرْنَا بِرَاعٍ، وَقَدْ عَطِشَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَحَلَبْتُ لَهُ كُثْبَةً مِنْ لَبَنٍ، فَأَتَيْتُهُ بِهَا،

فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيتُ» [البخاري: ٣٦٥٢، ومسلم: ٢٠٠٩]. «الكُثْبَةُ»: القَلِيلُ المُجْتَمِعُ.

وَإِذَا نَامَ ﷺ ظَلَّ رضي الله عنه يَسْهَرُ عَلَى رَاحَتِهِ وَحِرَاسَتِهِ. [البخاري: ٣٦٥٢، ومسلم: ٢٠٠٩ (٣٠٧١)].

سراقة بن مالك يلاحق النبي ﷺ :

رَصَدَتْ قُرَيْشٌ مُكَافَأَةً كَبِيرَةً لِمَنْ يَأْتِيهِمْ بِخَبَرِهِ ﷺ، وَقَدِ اسْتَطَاعَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ أَنْ يَلْحَقَ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَصَاحِبِهِ رضي الله عنه، وَلَكِنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَعَا عَلَيْهِ فَسَاخَتْ قَوَائِمُ فَرَسِهِ فِي الأَرْضِ، فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ... فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يُخَلِّصَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ، وَلَكَ عَلَيَّ لَأُعَمِّيَنَّ عَلَى مَنْ وَرَائِي»، «ادْعُ اللَّهَ لِي وَلَا أَضُرُّكَ، فَدَعَا لَهُ» فَعَاهَدَهُ أَنْ يَكْتُمَ عَنِ الْقَوْمِ خَبَرَهُمَا. [البخاري: ٣٦٥٢، ومسلم: ٢٠٠٩/٧٥م]. «سَاخَتْ»: غَاصَتْ.

وَطَلَبَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ كِتَابَ أَمْنٍ، «فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ فَكَتَبَ لِي رُقْعَةً مِنْ أَدِيمٍ، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ» [البخاري: ٣٩٠٦]. «رُقْعَةً مِنْ أَدِيمٍ»: قِطْعَةً مِنْ جِلْدٍ.

من المطاردة والعدوان إلى الحراسة والأمان :

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِسُرَاقَةَ رضي الله عنه: «فَقِفْ مَكَانَكَ، لَا تَتْرُكَنَّ أَحَدًا

يَلْحَقُ بِنَا» [البخاري: ٣٩٠٦]. «فَجَعَلَ لَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا قَالَ: قَدْ كَفَيْتُكُمْ مَا هُنَا، فَلَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا رَدَّهُ» [البخاري: ٣٦١٥، ومسلم: ٢٠٠٩ (٤/٢٣٠٩)]. فَتَحَوَّلَ سُرَاقَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ مُلَاحِقٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَوَّلَ النَّهَارِ إِلَى حَارِسٍ لَهُ آخِرَ النَّهَارِ. [البخاري: ٣٩١١].

بَرَكَاتٌ نَبَوِيَّةٌ فِي خَيْمَتَيْ أُمِّ مَعْبَدٍ:

مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ وَصَاحِبُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِخَيْمَتَيْ أُمِّ مَعْبَدٍ، وَهِيَ امْرَأَةٌ خُزَاعِيَّةٌ، وَكَانَ زَمَنَ قَحْطٍ وَجَدْبٍ، وَلَمْ يَجِدَا عِنْدَهَا طَعَامًا، وَكَانَتْ لَهَا شَاةٌ هَزِيلَةٌ لَيْسَ فِيهَا قَطْرَةٌ مِنْ لَبَنٍ، «فَقَالَ ﷺ: "أَتَأْذَنِينَ أَنْ أَحْلُبَهَا؟" قَالَتْ: بَلَى بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، نَعَمْ، إِنْ رَأَيْتَ بِهَا حَلْبًا فَاحْلُبْهَا، فَدَعَا بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَمَسَحَ بِيَدِهِ ضَرْعَهَا وَسَمَّى اللَّهَ ﷻ وَدَعَا لَهَا فِي شَاتِهَا... وَدَعَا بِإِنَاءٍ»، فَإِذَا بِهَا تَدِرُّ لَبَنًا كَثِيرًا هَانِئًا، «ثُمَّ سَقَاهَا حَتَّى رَوِيَتْ، وَسَقَى أَصْحَابَهُ حَتَّى رَوَوْا، وَشَرِبَ ﷺ آخِرَهُمْ...، ثُمَّ حَلَبَ فِيهَا ثَانِيًا بَعْدَ بَدْءٍ حَتَّى مَلَأَ الْإِنَاءَ، ثُمَّ غَادَرَهُ عِنْدَهَا» [الطبراني: ٤/(٣٦٠٥)].

الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يكسو رسول الله ﷺ وصاحبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَفِي الطَّرِيقِ لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَاحِبُهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الزُّبَيْرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «فِي رَكْبٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، كَانُوا تِجَارًا قَافِلِينَ مِنَ الشَّأْمِ، فَكَسَا الزُّبَيْرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ ثِيَابَ بَيَاضٍ» [البخاري: ٣٩٠٦]. «قافلين»: عائدين.

حشود الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في ترقب وانتظار

كَانَ الْأَنْصَارُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي قِمَّةِ الشَّوْقِ إِلَى لِقَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، «فَكَانُوا يَغْدُونَ كُلَّ غَدَاةٍ إِلَى الْحَرَّةِ، فَيَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ حَرُّ الظَّهِيرَةِ» [البخاري: ٣٩٠٦]. «الحَرَّة»: الأرض ذات الحجارة السود تقع على مشارف المدينة النبوية.

يهودي يعلن وصول النبي ﷺ للمدينة:

فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ «بَعْدَمَا أَطَالُوا انْتِظَارَهُمْ، فَلَمَّا أَوَوْا إِلَى بُيُوتِهِمْ» رَآهُ أَحَدُ الْيَهُودِ فَصَاحَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: «يَا مَعَاشِرَ الْعَرَبِ، هَذَا جَدُّكُمُ الَّذِي تَنْتَظِرُونَ، فَثَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى السِّلَاحِ، فَتَلَقَّوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِظَهْرِ الْحَرَّةِ،

فَعَدَلَ بِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ، حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ» [البخاري: ٣٩٠٦]. «جدُّكُم» يَعْني: حَظُّكُم وَدَوْلَتُكُم. «فثارَ المُسلِمُونَ»: قَامُوا بِسُرْعَةٍ. «ظَهرَ الحَرّةِ»: أَيْ فِي مَدْخَلِ المَدِينَةِ، والحَرَّةُ الأَرْضُ ذَاتُ الحِجَارَةِ السُّودِ.

إشراقة الضياء في ربوع قباء

بَعدَ تِلْكَ الرِّحلَةِ العَظِيمَةِ المَحفُوفَةِ بِالمَخاطِرِ، وَصَلَ النَّبِيُّ ﷺ وَصَاحِبُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى قُبَاءٍ فِي ضَوَاحِي المَدِينَةِ.

وَكَانَ وُصُولُهُ ﷺ فِي يَوْمِ الاثْنَيْنِ الثَّامِنِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ، فَأَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، وَأُسِّسَ المَسْجِدُ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى، وَصَلَّى فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ. [البخاري: ٤٢٨، ومسلم: ٥٢٤].

مراسم الدخول لموكب الرسول ﷺ:

لَمَّا أَرَادَ ﷺ أَنْ يُغَادِرَ قُبَاءً إِلَى المَدِينَةِ «أَرْسَلَ إِلَى بَنِي النَّجَّارِ، فَجَاؤُوا مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ» [البخاري: ٤٢٨، ومسلم: ٥٢٤].

فَسَلَّمُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ثُمَّ قَالُوا: «ارْكَبَا آمِنَيْنِ مُطَاعَيْنِ، فَرَكِبَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ،

وَحَفُّوا دُونَهُمَا بِالسِّلَاحِ، فَقِيلَ فِي الْمَدِينَةِ: جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ، جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ، فَأَشْرَفُوا يَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ، جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ، فَأَقْبَلَ يَسِيرُ حَتَّى نَزَلَ جَانِبَ دَارِ أَبِي أَيُّوبَ» [البخاري: ٣٩١١].

وَفِي لَفْظٍ: «فَصَعِدَ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ فَوْقَ الْبُيُوتِ، وَتَفَرَّقَ الْغِلْمَانُ وَالْخَدَمُ فِي الطُّرُقِ، يُنَادُونَ: يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ» [مسلم: ٢٠٠٩/٧٥م (٤/٢٣١٠)].

أضوأ يوم يمر على المدينة:

يَقُولُ الْبَرَاءُ رضي الله عنه: قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. [البخاري: ٣٩٢٥].

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: «لَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ» [الترمذي: ٣٦١٨، وابن ماجه: ١٦٣١].

وَفِي رِوَايَةٍ: «فَشَهِدْتُهُ ﷺ يَوْمَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ، فَمَا رَأَيْتُ يَوْمًا قَطُّ كَانَ أَحْسَنَ وَلَا أَضْوَأَ مِنْ يَوْمٍ دَخَلَ عَلَيْنَا فِيهِ» [أحمد: ١٣٠٢٣].

ما أسعد حظك أبا أيوب!

كَانَ الْأَنصَارُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَتَنَافَسُونَ عَلَى التَّشَرُّفِ بِاسْتِضَافَتِهِ ﷺ، وَهُوَ يُلَاطِفُهُمْ جَمِيعًا، وَيَقُولُ: «أَنزِلُ عَلَى بَنِي النَّجَّارِ -أَخْوَالِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ- أُكْرِمُهُمْ بِذَلِكَ» [مسلم: ٢٠٠٩م (١٥/٤/٢٣٦)].

ولَمَّا بَرَكَتْ نَاقَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي مَكَانِ مَسْجِدِهِ قَالَ: «هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ الْمَنْزِلُ» [البخاري: ٣٩٠٦م].

ثُمَّ قَالَ ﷺ: «أَيُّ بُيُوتِ أَهْلِنَا أَقْرَبُ؟»، فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ: أَنَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ، هَذِهِ دَارِي، وَهَذَا بَابِي، قَالَ: «فَانْطَلِقْ فَهَيِّئْ لَنَا مَقِيلًا». قَالَ أَبُو أَيُّوبَ: قُومَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ. [البخاري: ٣٩١١]. فَفَازَ أَبُو أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِذَلِكَ الشَّرَفِ الْعَظِيمِ. «المَقِيلُ» مَكَانٌ لِلرَّاحَةِ وَقْتَ القَيْلُولَةِ.

ضيافة الحب والإجلال :

نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْقِسْمِ السُّفْلِيِّ مِنْ دَارِ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «فَانْتَبَهَ أَبُو أَيُّوبَ لَيْلَةً، فَقَالَ: نَمْشِي فَوْقَ رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ! فَتَنَحَّوْا فَبَاتُوا فِي جَانِبٍ، ثُمَّ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ

ﷺ: «السُّفلُ أَرفَقُ»، فَقَالَ: لَا أَعلُو سَقِيفَةً أَنتَ تَحتَهَا، فَتَحَوَّلَ النَّبِيُّ ﷺ فِي العُلوِ، وَأَبُو أَيُّوبَ فِي السُّفلِ، فَكَانَ يَصنَعُ لِلنَّبِيِّ ﷺ طَعَامًا، فَإِذَا جِيءَ بِهِ إِلَيهِ سَأَلَ عَن مَوضِعِ أَصَابِعِهِ، فَيَتَتَبَّعُ مَوضِعَ أَصَابِعِهِ...» [مسلم: ٢٠٥٣/١٧١].

أَوَّلُ عَمَلٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي المَدِينَةِ

أَوَّلُ عَمَلٍ قَامَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ بِنَاءُ المَسجِدِ النَّبَوِيِّ.

«فَأَرسَلَ إِلَى مَلَإٍ مِن بَنِي النَّجَّارِ، فَقَالَ: «يَا بَنِي النَّجَّارِ، ثَامِنُونِي بِحَائِطِكُم هَذَا»، قَالُوا: لَا وَاللَّهِ، لَا نَطلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ. [البخاري: ٤٢٨، ومسلم: ٥٢٤]. «ثَامِنُونِي بِحَائِطِكُم»: أَخبِرُونِي بِثَمَنِ بُستَانِكُم.

وَكَانَ هَذَا المَكَانُ «يُصَلِّي فِيهِ يَومَئِذٍ رِجَالٌ مِنَ المُسلِمِينَ، وَكَانَ مِربَدًا لِلتَّمرِ، لِسُهَيلٍ وَسَهلٍ غُلَامَينِ يَتِيمَينِ... ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الغُلَامَينِ فَسَاوَمَهُمَا بِالمِربَدِ؛ لِيَتَّخِذَهُ مَسجِدًا، فَقَالَا: لَا، بَل نَهَبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ أَن يَقبَلَهُ مِنهُمَا هِبَةً حَتَّى ابتَاعَهُ مِنهُمَا، ثُمَّ بَنَاهُ مَسجِدًا،

وَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَنقُلُ مَعَهُمُ اللَّبِنَ فِي بُنْيَانِهِ...، وَيَقُولُ:

«هَذَا الحِمَالُ لَا حِمَالَ خَيْبَرْ ... هَذَا أَبَرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَرْ»

وَيَقُولُ:

«اللَّهُمَّ إِنَّ الأَجْرَ أَجْرُ الآخِرَه ... فَارْحَمِ الأَنْصَارَ وَالمُهَاجِرَه»

[البخاري: ٣٩٠٦]. فَتَمَّ بِنَاءُ الْمَسْجِدِ الَّذِي أَضَاءَتْ أَنْوَارُهُ لِلْعَالَمِينَ، وَانْطَلَقَتْ مِنْ رِحَابِهِ قَوَافِلُ الْهُدَاةِ الْمُهْتَدِينَ. «المِرْبَدُ»: مَكَانٌ لِتَخْزِينِ الثِّمَارِ، «طَفِقَ»: بَدَأَ، «حِمَالُ خَيْبَرَ»: الثِّمَارُ وَالتُّمُورُ الَّتِي كَانَتْ تُحْمَلُ مِنْ خَيْبَرَ لِلْمَدِينَةِ.

خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

وَسُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْمَسْجِدِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى فَقَالَ: «هُوَ مَسْجِدُكُمْ هَذَا» لِمَسْجِدِ الْمَدِينَةِ. [مسلم: ١٣٩٨].

وَقَالَ ﷺ: «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ، إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ» [البخاري: ١١٩٠، ومسلم: ١٣٩٤].

الرَّوْضَةُ الشَّرِيفَةُ

قَالَ ﷺ: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي» [البخاري: ١١٩٦، ومسلم: ١٣٩١].

وَهَذَا بَيَانٌ مِنْهُ ﷺ لِشَرَفِ هَذِهِ الْبُقْعَةِ الطَّاهِرَةِ الَّتِي تَزَيَّنَتْ بِكَرِيمِ سُجُودِهِ وَقِيَامِهِ، وَعَبِيرِ أَنْفَاسِهِ وَكَلَامِهِ ﷺ.

أَعْظَمُ أُخُوَّةٍ فِي التَّارِيخِ

أَمَّا الْعَمَلُ الثَّانِي الَّذِي قَامَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فَهُوَ: الْمُؤَاخَاةُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ رضي الله عنهم، الَّتِي لَمْ يَعْرِفِ التَّارِيخُ لَهَا مَثِيلًا، حَيْثُ كَانَ الْأَنْصَارُ رضي الله عنهم يُؤْثِرُونَ إِخْوَانَهُمُ الْمُهَاجِرِينَ رضي الله عنهم عَلَى أَنْفُسِهِمْ. وَمِنْ رَوَائِعِ تِلْكَ الْمُؤَاخَاةِ الْعَظِيمَةِ، وَذَلِكَ الْإِيثَارِ النَّادِرِ أَنَّهُ عِنْدَمَا «آخَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَسَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ قَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: إِنِّي أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ مَالًا، فَأَقْسِمُ مَالِي نِصْفَيْنِ، وَلِي امْرَأَتَانِ فَانْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَسَمِّهَا لِي أُطَلِّقْهَا، فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَتَزَوَّجْهَا، قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، أَيْنَ سُوقُكُمْ؟ فَدَلُّوهُ عَلَى سُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ» [البخاري: ٣٧٨٠].

يؤثرون على أنفسهم:

كَانَ الْأَنْصَارُ رضي الله عنهم لِحِرْصِهِمْ وَتَنَافُسِهِمْ يَقْتَرِعُونَ بَيْنَهُمْ لِاسْتِضَافَةِ الْمُهَاجِرِينَ رضي الله عنهم. [البخاري: ٢٦٨٧].

وَلَقَدِ امْتَدَحَهُمُ اللهُ عز وجل بِقَوْلِهِ: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٩].

المسلم أخو المسلم

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠]. وكَانَ ﷺ يُؤَصِّلُ مَبْدَأَ الْمَحَبَّةِ وَالْأُخُوَّةِ وَالتَّعَاوُنِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، يَقُولُ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»

[البخاري: ٦٠١١، ومسلم: ٢٥٨٦].

وَيَقُولُ ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ. [البخاري: ٤٨١، ومسلم: ٢٥٨٥].

وَيَقُولُ ﷺ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ؛ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [البخاري: ٢٤٤٢، ومسلم: ٢٥٨٠].

وَفِي لَفْظٍ: «وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ...» [مسلم: ٢٥٦٤]. وَفِي رِوَايَةٍ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا» [البخاري: ٦٠٦٦، ومسلم: ٢٥٦٣/٣٠].

«لَا تَنَاجَشُوا»: النَّجْشُ أَنْ يَزِيدَ فِي ثَمَنِ السِّلْعَةِ وَهُوَ لَا يُرِيدُ شِرَاءَهَا لِيَخْدَعَ غَيْرَهُ بِهَا.

رِحْلَةُ الْبَحْثِ عَنِ الْحَقِيقَةِ

قِصَّةُ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رضي الله عنه مِنْ أَعْظَمِ قِصَصِ الصَّبْرِ وَالتَّضْحِيَةِ، حَيْثُ تَنَقَّلَ مِنَ الْمَجُوسِيَّةِ إِلَى النَّصْرَانِيَّةِ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَتَكَبَّدَ الْأَسْفَارَ بَاحِثًا عَنِ الْحَقِّ، إِلَى أَنِ اسْتَقَرَّ بِهِ الْمُقَامُ فِي الْمَدِينَةِ، وَكَانَ أُسْقُفُّ عَمُّورِيَّةَ قَدْ بَشَّرَهُ قَائِلًا: «أَظَلَّكَ زَمَانُ نَبِيٍّ، هُوَ مَبْعُوثٌ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ، يَخْرُجُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ... بِهِ عَلَامَاتٌ لَا تَخْفَى: يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ، وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ» [أحمد: ٢٣٧٣٧].

وَعِنْدَمَا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَتَأَكَّدَ سَلْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ صِدْقِ الْعَلَامَاتِ، بَادَرَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَاحْتَضَنَهُ، يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَانْكَبَبْتُ عَلَيْهِ أُقَبِّلُهُ وَأَبْكِي» [أحمد: ٢٣٧٣٧].

ثُمَّ أَعْلَنَ إِسْلَامَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا، لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ هَؤُلَاءِ» [البخاري: ٤٨٩٧، ومسلم: ٢٥٤٦/٢٣١].

وَفِي رِوَايَةٍ: «لَذَهَبَ بِهِ رَجُلٌ مِنْ أَبْنَاءِ فَارِسَ» [مسلم: ٢٥٤٦].

صُهَيْبٌ الرُّومِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَالْبَيْعُ الرَّابِحُ

عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، أَنَّ صُهَيْبًا الرُّومِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ أَرَادَ الْهِجْرَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، قَالَ لَهُ كُفَّارُ قُرَيْشٍ: أَتَيْتَنَا صُعْلُوكًا، فَكَثُرَ مَالُكَ عِنْدَنَا، وَبَلَغْتَ مَا بَلَغْتَ، ثُمَّ تُرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ بِنَفْسِكَ وَمَالِكَ، وَاللَّهِ لَا يَكُونُ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُمْ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَعْطَيْتُكُمْ مَالِي أَتُخَلُّونَ سَبِيلِي؟ فَقَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ: أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ لَهُمْ مَالِي، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «رَبِحَ صُهَيْبٌ، رَبِحَ صُهَيْبٌ» [ابن حبان: ٧٠٨٢]. «الصُّعْلُوكُ»: الْفَقِيرُ الَّذِي لَا يَمْلِكُ شَيْئًا.

الوفاء لمسجد قباء

هُوَ أَوَّلُ مَسْجِدٍ فِي الْإِسْلَامِ، أَسَّسَهُ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ وَصَلَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَصَلَّى فِيهِ أَيَّامًا. وَكَانَ ﷺ يَزُورُهُ وَيُصَلِّي فِيهِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَأْتِي مَسْجِدَ قُبَاءٍ كُلَّ سَبْتٍ، مَاشِيًا وَرَاكِبًا» [البخاري: ١١٩٣، ومسلم: ١٣٩٩]. وَقَالَ ﷺ: «الصَّلَاةُ فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ كَعُمْرَةٍ» [الترمذي: ٣٢٤، وابن ماجه: ١٤١١].

أعظم دولة عرفتها الدنيا

انطَلَقَتْ مَسِيرَةُ الدَّعْوَةِ وَالْحَقِّ وَالْخَيْرِ وَالْهُدَى، فَأَقَامَ ﷺ خَيْرَ دَوْلَةٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، أَسَاسُهَا تَوْحِيدُ اللَّهِ ﷻ وَعِبَادَتُهُ، وَنَبْذُ الشِّرْكِ وَأَسْبَابِهِ، دَوْلَةٌ تُقِيمُ الْعَدْلَ الرَّبَّانِيَّ، وَتُحَارِبُ الظُّلْمَ بِأَنْوَاعِهِ، وَتَرْعَى حُقُوقَ الْإِنْسَانِ، وَتَحْفَظُ كَرَامَتَهُ.

النبي ﷺ واليهود

كَانَ لِلْيَهُودِ وُجُودٌ فِي الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَلَقَدْ حَرَصَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى دَعْوَتِهِمْ إِلَى الْخَيْرِ، وَهِدَايَتِهِمْ لِلْإِسْلَامِ. وَعَقَدَ ﷺ مَعَهُمْ مُعَاهَدَاتٍ لِلتَّعَايُشِ السِّلْمِيِّ وَالْعَيْشِ الْمُشْتَرَكِ، إِلَّا أَنَّهُمْ نَكَثُوا الْعُهُودَ، وَخَالَفُوا الْمَوَاثِيقَ. [البخاري: ٤٠٢٨، ومسلم: ١٧٦٦].

الحَبْرُ الأعْظَمُ يُسْلِمُ:

كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ رضي الله عنه مِنْ كِبَارِ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ وَسَادَاتِهِمْ، فَلَمَّا هَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ أَتَى إِلَيْهِ فَقَالَ: «أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّكَ جِئْتَ بِحَقٍّ» [البخاري: ٣٩١١]. وَشَهِدَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. [البخاري: ٣٨١٢، ومسلم: ٢٤٨٣].

الخَادِمُ اليَهُودِيُّ يُسْلِمُ:

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمْ»، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ» [البخاري: ١٣٥٦].

جنازة اليهودي:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: مَرَّ بِنَا جِنَازَةٌ، فَقَامَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَقُمْنَا بِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهَا جِنَازَةُ يَهُودِيٍّ، قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الْجِنَازَةَ فَقُومُوا» [البخاري: ١٣١١، ومسلم: ٩٦٠].

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ وَقَيْسِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَا: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّتْ بِهِ جِنَازَةٌ فَقَامَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا جِنَازَةُ يَهُودِيٍّ، فَقَالَ: «أَلَيْسَتْ نَفْسًا؟!» [البخاري: ١٣١٢، ومسلم: ٩٦١].

أول مولود للمهاجرين رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّهَا حَمَلَتْ بِعَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَتْ: «فَخَرَجْتُ وَأَنَا مُتِمٌّ، فَأَتَيْتُ الْمَدِينَةَ، فَنَزَلْتُ بِقُبَاءٍ، فَوَلَدْتُهُ بِقُبَاءٍ، ثُمَّ أَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ، فَوَضَعْتُهُ فِي حَجْرِهِ، ثُمَّ دَعَا بِتَمْرَةٍ فَمَضَغَهَا، ثُمَّ تَفَلَ فِي فِيهِ، فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ دَخَلَ جَوْفَهُ رِيقُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ حَنَّكَهُ بِتَمْرَةٍ، ثُمَّ دَعَا لَهُ، وَبَرَّكَ عَلَيْهِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَوْلُودٍ وُلِدَ فِي الْإِسْلَامِ». [البخاري: ٣٩٠٩، ومسلم: ٢١٤٦/٢٦]. «مُتِمٌّ»: أَيْ أَتَمَّتْ مُدَّةَ الْحَمْلِ وَقَرُبَتْ وِلَادَتُهَا. «حَنَّكَهُ»: مَضَغَ تَمْرَةً وَجَعَلَهَا فِي فَمِ الْمَوْلُودِ. «بَرَّكَ»: دَعَا لَهُ بِالْبَرَكَةِ. «أَوَّلَ مَوْلُودٍ وُلِدَ فِي الْإِسْلَامِ»: يَعْنِي أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ وُلِدَ بِالْمَدِينَةِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

بِنَاءُ بُيُوتِ النَّبِيِّ ﷺ

بَدَأَ بِنَاءُ بُيُوتِ النَّبِيِّ ﷺ بِجِوَارِ مَسْجِدِهِ الشَّرِيفِ، وَيَا لَهَا مِنْ بُيُوتٍ! إِنَّهَا حُجُرَاتٌ صَغِيرَةٌ، وَبُيُوتَاتٌ مُتَوَاضِعَةٌ، مَبْنِيَّةٌ مِنْ جَرِيدٍ عَلَيْهِ طِينٌ.

تَقُولُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كُنْتُ أَنَامُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرِجْلَايَ فِي قِبْلَتِهِ، فَإِذَا سَجَدَ غَمَزَنِي، فَقَبَضْتُ رِجْلَيَّ، فَإِذَا قَامَ بَسَطْتُهُمَا، وَالْبُيُوتُ يَوْمَئِذٍ لَيْسَ فِيهَا مَصَابِيحُ» [البخاري: ٥١٣، ومسلم: ٢٧٢/٥١٢].

النَّبِيُّ ﷺ يَبْنِي بِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

فِي شَهْرِ شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ الْأُولَى مِنَ الْهِجْرَةِ، تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ ابْنَةَ أَحَبِّ الرِّجَالِ إِلَيْهِ، وَالَّتِي أَصْبَحَتْ أَحَبَّ النِّسَاءِ إِلَيْهِ، إِنَّهَا عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَكَانَتْ فَتَاةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، ذَكِيَّةَ الْفَهْمِ، وَقَدْ زَفَّتْهَا أُمُّهَا وَبَعْضُ نِسَاءِ الْأَنْصَارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ. [البخاري: ٣٨٩٤، ومسلم: ١٤٢٢].

وَحِينَ سُئِلَ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ» [البخاري: ٣٦٦٢، ومسلم: ٢٣٨٤].



وَقَالَ ﷺ لِزَوْجَتِهِ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «... وَاللَّهِ، مَا نَزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيُ وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنكُنَّ غَيْرِهَا» [البخاري: ٣٧٧٥].

وَقَدْ كَانَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ رِوَايَةً عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَفَهْمًا، وَأَجَلِّهِمْ فِقْهًا وَعِلْمًا.

النَّبِيُّ ﷺ يُلاطِفُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَيُرَاعِي سِنَّهَا

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا كَانَتْ تَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: وَكَانَتْ تَأْتِينِي صَوَاحِبِي، فَكُنَّ يَنْقَمِعْنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: «فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُسَرِّبُهُنَّ إِلَيَّ» [البخاري: ٦١٣٠، ومسلم: ٢٤٤٠]. «يَنْقَمِعْنَ»: يَفْرُرْنَ وَيَتَوَارَيْنَ. «يُسَرِّبُهُنَّ»: يُرْسِلُهُنَّ واحِدَةً بَعْدَ الأُخْرَى.

وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْحَبَشَةِ يَلْعَبُونَ فِي الْمَسْجِدِ، حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّتِي أَسْأَمُ، فَاقْدُرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْحَدِيثَةِ السِّنِّ، الْحَرِيصَةِ عَلَى اللَّهْوِ» [البخاري: ٥٢٣٦، ومسلم: ٨٩٢/١٧]. «أَسْأَمُ»: أَمَلُّ.

النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو لِلْمَدِينَةِ وَيُشِيدُ بِهَا

مَرِضَ بَعْضُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لَمَّا سَكَنُوا الْمَدِينَةَ، وَمِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَبِلَالٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ ﷺ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، وَصَحِّحْهَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا» [البخاري: ٣٩٢٦، ومسلم: ١٣٧٦].

وَكَانَ ﷺ يَدْعُو لَهَا قَائِلًا: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ بِالْمَدِينَةِ ضِعْفَيْ مَا جَعَلْتَ بِمَكَّةَ مِنَ الْبَرَكَةِ» [البخاري: ١٨٨٥، ومسلم: ١٣٦٩].

وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا» [البخاري: ١٨٧٦، ومسلم: ١٤٧] «لَيَأْرِزُ»: يَأْوِي وَيَلْتَجِئُ.

وَيَقُولُ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَمَّى الْمَدِينَةَ طَابَةَ» [مسلم: ١٣٨٥].

النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو لِلْأَنْصَارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَيُوصِي بِهِمْ

تَعَدَّدَتِ الْأَحَادِيثُ الَّتِي دَعَا فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ لِلْأَنْصَارِ، وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ، وَمِنْ ذَلِكَ:

قَوْلُهُ ﷺ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ، وَلِأَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءِ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ» [البخاري: ٤٩٠٦، ومسلم: ٢٥٠٦].

وَقَوْلُهُ ﷺ: «لَوْ سَلَكَتِ الأَنْصَارُ وَادِيًا -أَوْ: شِعْبًا-، لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ -أَوْ: شِعْبَهُمْ-» [البخاري: ٣٧٧٨، ومسلم: ١٠٥٩/١٣٦]. «الشِّعْبُ: الطَّرِيقُ بَيْنَ جَبَلَيْنِ.

وَيَقُولُ ﷺ: «أُوصِيكُمْ بِالأَنْصَارِ...، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ» [البخاري: ٣٧٩٩، ومسلم: ٢٥١٠].

أُمُّ سُلَيْمٍ تُقَدِّمُ ابْنَهَا رضي الله عنهما خَادِمًا لِلنَّبِيِّ ﷺ

جَاءَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ رضي الله عنها بِابْنِهَا أَنَسٍ رضي الله عنه إِلَى النَّبِيِّ ﷺ «وَكَانَ رضي الله عنه ابْنَ عَشْرِ سِنِينَ» [البخاري: ٣٢٨]. فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا أُنَيْسٌ ابْنِي، أَتَيْتُكَ بِهِ يَخْدُمُكَ فَادْعُ اللَّهَ لَهُ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ». قَالَ أَنَسٌ: «فَوَاللَّهِ، إِنَّ مَالِي لَكَثِيرٌ، وَإِنَّ وَلَدِي وَوَلَدَ وَلَدِي لَيَتَعَادُّونَ عَلَى نَحْوِ المِائَةِ اليَوْمَ» [البخاري: ١٩٨٢، ومسلم: ٢٤٨١/١٤٣].

وَفَازَ رضي الله عنه بِأَنْ كَانَ الخَادِمَ الخَاصَّ لِلنَّبِيِّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ فِي السَّفَرِ وَالحَضَرِ، وَمَا قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ أُفٍّ قَطُّ. [البخاري: ٦٠٣٨، ومسلم: ٢٣٠٩]. وَحَفِظَ لَنَا كَمًّا عَظِيمًا مِنْ دُرَرِ كَلِمَاتِهِ ﷺ، وَمَشَاهِدِ حَيَاتِهِ، وَدَقَائِقِ صِفَاتِهِ.

حُبُّ النَّبِيِّ ﷺ وحِرَاسَتُهُ

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ سَهِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ قَالَ: «لَيْتَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِي صَالِحًا يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ»، إِذْ سَمِعْنَا صَوْتَ سِلَاحٍ، فَقَالَ: «مَنْ هَذَا؟»، فَقَالَ: أَنَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ جِئْتُ لِأَحْرُسَكَ، وَنَامَ النَّبِيُّ ﷺ. [البخاري: ٢٨٨٥، ومسلم: ٢٤١٠].

وَفِي رِوَايَةٍ: «وَقَعَ فِي نَفْسِي خَوْفٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجِئْتُ أَحْرُسُهُ، فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ نَامَ» [مسلم: ٢٤١٠/٤٠].

صَوْتُ الإِيمَانِ الْخَاشِعُ

فِي السَّنَةِ الأُولَى مِنَ الْهِجْرَةِ شُرِعَ الأَذَانُ لِلْمُسْلِمِينَ، وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ لَا يُنَادُونَ لِلصَّلَاةِ؛ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: كَانَ الْمُسْلِمُونَ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ يَجْتَمِعُونَ، فَيَتَحَيَّنُونَ الصَّلَاةَ، لَيْسَ يُنَادَى لَهَا، فَتَكَلَّمُوا يَوْمًا فِي ذَلِكَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اتَّخِذُوا نَاقُوسًا مِثْلَ نَاقُوسِ النَّصَارَى، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ بُوقًا مِثْلَ قَرْنِ الْيَهُودِ، فَقَالَ عُمَرُ: أَوَلَا تَبْعَثُونَ رَجُلًا يُنَادِي بِالصَّلَاةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا بِلَالُ، قُمْ فَنَادِ بِالصَّلَاةِ» [البخاري: ٦٠٤، ومسلم: ٣٧٧].

فَأَكْرَمَ اللهُ ﷻ الْمُسْلِمِينَ بِالْأَذَانِ بِصِيغَتِهِ الْمَعْرُوفَةِ، وَقَدْ كَانَ رُؤْيَا حَقٌّ رَآهَا عَبْدُاللهِ بْنُ زَيْدٍ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنهما. فَأَقَرَّهُمَا النَّبِيُّ ﷺ. [أبوداود: ٤٩٩، والترمذي: ١٨٩، وابن ماجه: ٧٠٦].

طريق إلى نيل الشفاعة

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [البخاري: ٦١٤]. «النِّدَاءَ»: الأَذَانُ.

الإذن بالقتال

وَفِي تِلْكَ السَّنَةِ أَذِنَ اللهُ تَعَالَى لِلْمُسْلِمِينَ بِالْقِتَالِ، ﷻ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠]. [الترمذي: ٣١٧١، والنسائي: ٣٠٨٥].

وَبَدَأَتْ بَعْضُ السَّرَايَا ضِدَّ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ الَّذِينَ أَخْرَجُوا الْمُسْلِمِينَ مِنْ دِيَارِهِمْ، وَاسْتَوْلَوْا عَلَى مُمْتَلَكَاتِهِمْ.

يَوْمُ عَاشُورَاءَ وَنَجَاةُ مُوسَى ﷺ

كَانَ أَهْلُ مَكَّةَ يُعَظِّمُونَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَيَكْسُونَ فِيهِ الْكَعْبَةَ. [البخاري: ١٥٩٢].

وَ«كَانَ يَوْمُ عَاشُورَاءَ تَصُومُهُ قُرَيْشٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصُومُهُ، فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ صَامَهُ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ، فَلَمَّا فُرِضَ رَمَضَانُ تَرَكَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَمَنْ شَاءَ صَامَهُ، وَمَنْ شَاءَ تَرَكَهُ» [البخاري: ٢٠٠٢، ومسلم: ١١٢٥].

وَهُوَ يَوْمٌ يُعَظِّمُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى. [البخاري: ٣٣٩٧، ومسلم: ١١٣٦].

وَلَمَّا رَأَى ﷺ الْيَهُودَ يَصُومُونَهُ سَأَلَهُمْ عَنْ سَبَبِ صِيَامِهِمْ لَهُ، قَالُوا: «هَذَا يَوْمٌ عَظِيمٌ، أَنجَى اللَّهُ فِيهِ مُوسَى وَقَوْمَهُ، وَغَرَّقَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ، فَصَامَهُ مُوسَى شُكْرًا، فَنَحْنُ نَصُومُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَنَحْنُ أَحَقُّ وَأَوْلَى بِمُوسَى مِنكُمْ»، فَصَامَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ» [البخاري ٣٣٩٧، ومسلم: ١١٣٠/ ١٢٨].

وَقَدْ سُئِلَ ﷺ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ: «يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ» [مسلم: ١١٦٢/ ١٩٧]. «عَاشُورَاءُ»: الْيَوْمُ الْعَاشِرُ مِنْ شَهْرِ الْمُحَرَّمِ.

الجهاد يفرض على المسلمين

وَفِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ فُرِضَ الْقِتَالُ لِرَفْعِ كَلِمَةِ الْحَقِّ وَالدِّينِ، وَرَدْعِ الْمُعْتَدِينَ؛ قَالَ: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

وَكَانَتْ غَزْوَةُ الْأَبْوَاءِ أَوَّلَ غَزْوَةٍ يَغْزُوهَا النَّبِيُّ ﷺ بِنَفْسِهِ [البخاري معلقًا قبل حديث: ٣٩٤٩]. وَتُسَمَّى «وَدَّانَ»، وَلَمْ يَحْدُثْ فِيهَا قِتَالٌ. [أبو عوانة: ٦٩٦٥، ٦٩٦٨]. «الأَبْوَاءُ»: قَرْيَةٌ بِمُحَافَظَةِ رَابِغٍ، شَمَالَ غَرْبِ مَكَّةَ.

غزوة بواط وعجائب القصص

وَفِي تِلْكَ السَّنَةِ كَانَتْ «غَزْوَةُ بُوَاطٍ» لِاعْتِرَاضِ قَافِلَةٍ لِقُرَيْشٍ، وَلَمْ يَحْدُثْ فِيهَا قِتَالٌ. «بُوَاطُ»: جَبَلُ جُهَيْنَةَ قُرْبَ يَنْبُعَ.

وَقَدْ تَجَلَّتْ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ بَعْضُ الْقِصَصِ الْعَجِيبَةِ، وَالدُّرُوسِ الْمُبَارَكَةِ [مسلم: ٣٠٠٩، ٣٠١٠، ٣٠١٣]، وَمِنْهَا:

الْجُوعُ الشَّدِيدُ الَّذِي كَانَ يُعَانِيهِ الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم:

يَقُولُ جَابِرٌ رضي الله عنه: سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ قُوتُ كُلِّ رَجُلٍ مِنَّا فِي كُلِّ يَوْمٍ تَمْرَةً، فَكَانَ يَمَصُّهَا ثُمَّ يَصُرُّهَا فِي ثَوْبِهِ،

وَكُنَّا نَخْتَبِطُ بِقِسِيِّنَا وَنَأْكُلُ حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا. [مسلم: ٣٠٠٩].

«يَصُرُّهَا»: يَرْبُطُهَا. «نَخْتَبِطُ بِقِسِيِّنَا» أَيْ: نَضْرِبُ الشَّجَرَ بِأَقْوَاسِنَا، لِنَأْكُلَ الأَوْرَاقَ المُتَسَاقِطَةَ. «قَرِحَتْ»: جُرِحَتْ. وَ«الأَشْدَاقُ»: جَوَانِبُ الفَمِ.

المَاءُ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ النَّبِيِّ ﷺ:

اشْتَكَى أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ الظَّمَأَ، وَأَنَّهُ لَيْسَ مَعَهُمْ إِلَّا قَطْرَةُ مَاءٍ فِي قِرْبَةٍ بَالِيَةٍ، فَطَلَبَهَا النَّبِيُّ ﷺ، فَجَعَلَ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ وَيَغْمِزُهَا بِيَدَيْهِ، ثُمَّ نَادَى بِجَفْنَةٍ وَوُضِعَتْ فِيهَا، ثُمَّ قَالَ: «خُذْ يَا جَابِرُ، فَصُبَّ عَلَيَّ، وَقُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ»، قَالَ جَابِرٌ رضي الله عنه: فَصَبَبْتُ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ: بِاسْمِ اللَّهِ، فَرَأَيْتُ المَاءَ يَتَفَوَّرُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ فَارَتِ الجَفْنَةُ وَدَارَتْ حَتَّى امْتَلَأَتْ، فَقَالَ: «يَا جَابِرُ، نَادِ مَنْ كَانَ لَهُ حَاجَةٌ بِمَاءٍ»، فَأَتَى النَّاسُ فَاسْتَقَوْا حَتَّى رَوُوا، فَقُلْتُ: هَلْ بَقِيَ أَحَدٌ لَهُ حَاجَةٌ؟ فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ مِنَ الجَفْنَةِ وَهِيَ مَلْأَى. [مسلم: ٣٠٠٣]. «يَتَفَوَّرُ»: يَخْرُجُ مُتَدَفِّقًا، «الجَفْنَةُ»: إِنَاءٌ كَبِيرٌ مِنَ الخَشَبِ.

سرية أبي عبيدة رضي الله عنه

وَفِي تِلْكَ السَّنَةِ كَانَتْ سَرِيَّةُ أَبِي عُبَيْدَةَ عَامِرِ بْنِ الْجَرَّاحِ رضي الله عنه.

يَقُولُ جَابِرٌ رضي الله عنه: «بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَمِائَةِ رَاكِبٍ، أَمِيرُنَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، نَرْصُدُ عِيرَ قُرَيْشٍ، فَأَقَمْنَا بِالسَّاحِلِ نِصْفَ شَهْرٍ، فَأَصَابَنَا جُوعٌ شَدِيدٌ حَتَّى أَكَلْنَا الْخَبَطَ، فَسُمِّيَ ذَلِكَ الْجَيْشُ جَيْشَ الْخَبَطِ» [البخاري: ٤٣٦١، ومسلم: ١٩٣٥]. «الْخَبَطُ»: مَا يُخْبَطُ بِالْعَصَا مِنْ وَرَقِ الشَّجَرِ، فَيُؤْكَلُ مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ.

قصة عجيبة وحادثة غريبة:

يَقُولُ جَابِرٌ رضي الله عنه: فَجُعْنَا جُوعًا شَدِيدًا، فَأَلْقَى الْبَحْرُ حُوتًا مَيِّتًا لَمْ نَرَ مِثْلَهُ، يُقَالُ لَهُ: الْعَنْبَرُ، فَأَكَلْنَا مِنْهُ نِصْفَ شَهْرٍ، فَأَخَذَ أَبُو عُبَيْدَةَ عَظْمًا مِنْ عِظَامِهِ، فَمَرَّ الرَّاكِبُ تَحْتَهُ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: كُلُوا. فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ ذَكَرْنَا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «كُلُوا، رِزْقًا أَخْرَجَهُ اللَّهُ، أَطْعِمُونَا إِنْ كَانَ مَعَكُمْ»، فَأَتَاهُ بَعْضُهُمْ فَأَكَلَهُ. [البخاري: ٤٣٦٢، ومسلم: ١٩٣٥].

غَزْوَةُ الْعُشَيْرِ

كَانَتْ هَذِهِ الْغَزْوَةُ مِنْ أَوَائِلِ غَزَوَاتِ النَّبِيِّ ﷺ وَسَرَايَاهُ. [البخاري: ٣٩٤٩، ومسلم: ١٢٥٤/١٤٣ (٣/١٤٤٧)]. وَكَانَتْ لِطَلَبِ قَافِلَةٍ تِجَارِيَّةٍ لِقُرَيْشٍ، فَفَاتَتْهُمُ الْقَافِلَةُ. «الْعُشَيْرُ»: مَوْضِعٌ عِنْدَ يَنْبُعِ الْبَحْرِ.

سَرِيَّةُ نَخْلَةَ

وَفِي تِلْكَ السَّنَةِ كَانَتْ «سَرِيَّةُ نَخْلَةَ»، وَهِيَ سَرِيَّةُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَفِيهَا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢١٧]. [النسائي في الكبرى: ٨٧٥٢]. «نَخْلَةُ»: مَوْضِعٌ يَقَعُ شَمَالَ شَرْقِ مَكَّةَ، وَهِيَ مَزَارِعُ النَّخْلِ الْآنَ.

تَحْوِيلُ الْقِبْلَةِ

وَفِي رَجَبٍ مِنْ تِلْكَ السَّنَةِ أَمَرَ اللَّهُ ﷻ بِتَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، ﷻ: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ [البقرة: ١٤٤].

وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ. [البخاري: ٤٠، ومسلم: ٥٢٥].

سُرْعَةُ الامْتِثَالِ:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: بَيْنَمَا النَّاسُ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ بِقُبَاءٍ، إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ، فَقَالَ: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ، وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةَ، فَاسْتَقْبِلُوهَا، وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَى الشَّأْمِ، فَاسْتَدَارُوا إِلَى الْقِبْلَةِ» [البخاري: ٤٠٣، ومسلم: ٥٢٦].

حَنِينُ الْجَمَادِ إِلَيْهِ وَبُكَاؤُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ﷺ

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ جِذْعٌ يَقُومُ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمَّا وُضِعَ لَهُ الْمِنْبَرُ سَمِعْنَا لِلْجِذْعِ مِثْلَ أَصْوَاتِ الْعِشَارِ حَتَّى نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ. [البخاري: ٩١٨]. وَفِي رِوَايَةٍ: فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ الَّتِي كَانَ يَخْطُبُ عِنْدَهَا، حَتَّى كَادَتْ تَنْشَقُّ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى أَخَذَهَا، فَضَمَّهَا إِلَيْهِ. [البخاري: ٢٠٩٥]. (١) الْعِشَارُ: جَمْعُ عُشَرَاءَ، وَهِيَ النَّاقَةُ الَّتِي مَضَى عَلَى حَمْلِهَا عَشَرَةُ أَشْهُرٍ.

فرض الصيام

وَفِي تِلْكَ السَّنَةِ فُرِضَ صِيَامُ رَمَضَانَ وَهُوَ الرُّكْنُ الرَّابِعُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]. وَشَهْرُ رَمَضَانَ هُوَ الشَّهْرُ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وَكَانَ ﷺ يُسَرُّ بِقُدُومِهِ، وَيُحَدِّثُ عَنْ عَظِيمِ فَضْلِهِ، يَقُولُ ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» [البخاري: ١٩٠١، ومسلم: ٧٦٠].

وَفِيهِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ الَّتِي أَخْبَرَ اللَّهُ ﷻ عَنْهَا بِقَوْلِهِ: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣].

وَقَالَ عَنْهَا ﷺ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» [البخاري: ١٩٠١، ومسلم: ٧٦٠].

وَقَالَ ﷺ: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوِتْرِ، مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ» [البخاري: ٢٠١٧، ومسلم: ١١٦٩].

وَكَانَ ﷺ يَعْمُرُ شَهْرَ رَمَضَانَ بِالذِّكْرِ وَالْعِبَادَةِ وَالْقِيَامِ وَالصَّدَقَةِ، فَإِذَا دَخَلَتِ الْعَشْرُ الْأَخِيرَةُ «شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ» [البخاري: ٢٠٢٤، ومسلم: ١١٧٤]. «شَدَّ مِئْزَرَهُ»: أَيْ: اعْتَزَلَ أَهْلَهُ.

الصِّيَامُ يُزَكِّي النُّفُوسَ وَيُهَذِّبُ الأَخْلَاقَ :

قَالَ ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالْجَهْلَ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ» [البخاري: ١٩٠٣].

وَقَالَ ﷺ: «وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ» [البخاري: ١٩٠٤، ومسلم: ١١٥١/١٦٣]. «جُنَّةٌ»: وِقَايَةٌ، «يَرْفُثُ»: يَتَكَلَّمُ بِمَا لَا يَلِيقُ، «يَصْخَبُ»: يَصِيحُ وَيَضِجُّ.

جِبْرِيلُ عليه السلام يُدَارِسُ النَّبِيَّ ﷺ الْقُرْآنَ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَأَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ؛

لأَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ، يَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْقُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ كَانَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ» [البخاري: ١٩٩٧، ومسلم: ٢٣٠٨].

«يَنْسَلِخُ»: يَنْتَهِي، «يَعْرِضُ»: يَقْرَأُ.

أعظم سورة في القرآن

عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ، فَدَعَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ: «أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]؟!». ثُمَّ قَالَ لِي: «لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي الْقُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ». ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ قُلْتُ لَهُ: أَلَمْ تَقُلْ: لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ؟! قَالَ: «﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة] هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ» [البخاري: ٤٤٧٤].

كلمة "آمين":

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا قَالَ الْإِمَامُ:

«﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٧] فَقُولُوا: آمِينَ، فمن وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» [البخاري: ٧٨٠، ومسلم: ٤١٠]. «آمِينَ»: اللَّهُمَّ استَجِبْ.

أعظم آية في القرآن

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «وَاللَّهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ» [مسلم: ٨١٠]. «لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ»: أَيْ لِيَكُنِ الْعِلْمُ هَنِيئًا لَكَ.

(بدر) معركة المسلمين الكبرى

وَفِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ تِلْكَ السَّنَةِ كَانَ هَذَا الْيَوْمُ الْعَظِيمُ الَّذِي سَمَّاهُ اللَّهُ ﷻ: «يَوْمَ الْفُرْقَانِ»، فَأَذَلَّ فِيهِ الشِّرْكَ وَالْمُشْرِكِينَ، وَأَعَزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَفِيهِ قُتِلَ صَنَادِيدُ قُرَيْشٍ وَرُؤُوسُ الْكُفْرِ.

أهل بدر رضي الله عنهم بعدة أصحاب طالوت:

كَانَ عَدَدُ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ بَدْرٍ ثَلَاثِمِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا. [مسلم: ١٧٦٣]. عَنِ الْبَرَاءِ رضي الله عنه قَالَ: «كُنَّا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ نَتَحَدَّثُ: أَنَّ عِدَّةَ أَصْحَابِ بَدْرٍ عَلَى عِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهَرَ، وَلَمْ يُجَاوِزْ مَعَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ: بِضْعَةَ عَشَرَ وَثَلَاثُمِائَةٍ» [البخاري: ٣٩٥٨]. «طَالُوتُ»: أَحَدُ مُلُوكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَكَانَ دَاوُدُ عليه السلام فِي جَيْشِهِ.

وَفِي رِوَايَةٍ: «كَانَ الْمُهَاجِرُونَ يَوْمَ بَدْرٍ نَيِّفًا عَلَى سِتِّينَ، وَالْأَنْصَارُ نَيِّفًا وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ» [البخاري: ٣٩٥٦]. «نَيِّفًا»: أَيْ: زَائِدًا.

وَكَانَ عَدَدُ الْمُشْرِكِينَ نَحْوَ أَلْفِ مُقَاتِلٍ. [مسلم: ١٧٦٣].

ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد:

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٢]. «الْعُدْوَةُ»: جَانِبُ الْوَادِي.

لَمْ يَكُنْ خُرُوجُ النَّبِيِّ ﷺ لِغَرَضِ الْقِتَالِ، «إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ، حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ

وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ» [البخاري: ٣٩٥١، ومسلم: ٢٧٦٩].

وَقَدِ اسْتَطَاعَ أَبُو سُفْيَانَ أَنْ يَنْجُوَ بِالْقَافِلَةِ، وَلَكِنَّ زُعَمَاءَ قُرَيْشٍ فِي مَكَّةَ أَخَذَتْهُمُ الْحَمِيَّةُ وَالْكِبْرِيَاءُ، وَأَصَرُّوا عَلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ وَعَلَى اسْتِعْرَاضِ قُوَّتِهِمْ، ﷻ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [الأنفال: ٤٧].

النَّبِيُّ ﷺ يُشَاوِرُ أَصْحَابَهُ ﷺ:

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ شَاوَرَ حِينَ بَلَغَهُ إِقْبَالُ أَبِي سُفْيَانَ، فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ تَكَلَّمَ عُمَرُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فَقَالَ: إِيَّانَا تُرِيدُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نُخِيضَهَا الْبَحْرَ لَأَخَضْنَاهَا، وَلَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَضْرِبَ أَكْبَادَهَا إِلَى بَرْكِ الْغِمَادِ لَفَعَلْنَا. [مسلم: ١٧٧٩]. «نُخِيضَهَا الْبَحْرَ»: نُدْخِلُ الْخَيْلَ الْبَحْرَ. «نَضْرِبُ أَكْبَادَهَا»: هُوَ ضَرْبُ الدَّابَّةِ لِلسَّيْرِ بِأَبْلَغِ مَا يُمْكِنُ. «بَرْكُ الْغِمَادِ»: مَوْضِعٌ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ يُعْرَفُ الْآنَ بِـ«الْبِرْكِ»: إِحْدَى مُحَافَظَاتِ مِنْطَقَةِ عَسِيرٍ جَنُوبَ الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ.

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «شَهِدْتُ مِنَ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ مَشْهَدًا، لَأَنْ أَكُونَ صَاحِبَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عُدِلَ بِهِ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَدْعُو عَلَى الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: لَا نَقُولُ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا، وَلَكِنَّا نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ، وَعَنْ شِمَالِكَ، وَبَيْنَ يَدَيْكَ وَخَلْفَكَ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَشْرَقَ وَجْهُهُ وَسَرَّهُ» يَعْنِي قَوْلَهُ. [البخاري: ٣٩٥٢].

النَّبِيُّ ﷺ يَبْتَهِلُ إِلَى رَبِّهِ ﷻ :

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ بَعْدَ الْيَوْمِ»، فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَدْ أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ، وَهُوَ فِي الدِّرْعِ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٥-٤٦]. [البخاري: ٢٩١٥] «فِي الدِّرْعِ»: أي حَالَ لِبْسِهِ الدِّرْعَ عَلَى نِيَّةِ الْحَرْبِ.

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ... فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي

ما وعدتني، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تَهلِكْ هَذِهِ العصابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلَامِ لَا تُعبَدْ فِي الأَرْضِ»، فَمَا زَالَ يَهتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُستَقبِلَ القِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنكِبَيْهِ، ثُمَّ التَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتَكَ رَبَّكَ؛ فَإِنَّهُ سَيُنجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ. [مسلم: ١٧٦٣]. «مُنَاشَدَتُكَ»: دُعَاؤُكَ وَسُؤَالُكَ.

تحديدُ مَصارعِ القَومِ:

مِنْ دَلَائِلِ نُبُوَّتِهِ ﷺ: أَنَّهُ حَدَّدَ أَمَاكِنَ مَصَارِعِ زُعَمَاءِ المُشرِكِينَ قَبلَ المَعرَكَةِ، فَقُتِلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنهُمْ فِي المَكَانِ الَّذِي حَدَّدَهُ ﷺ. [مسلم: ١٧٧٩].

جنةٌ عرضُها السمواتُ والأرضُ:

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصحَابِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ: «قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ» [مسلم: ١٩٠١].

عميرُ بنُ الحُمامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ والشوقُ إلى الجنةِ:

لَمَّا سَمِعَ عُمَيْرُ بْنُ الحُمَامِ الأَنصَارِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ تَشجِيعَ النَّبِيِّ ﷺ

للصَّحَابَةِ رضي الله عنهم عَلَى الجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عز وجل، وَمَا أَعَدَّهُ اللَّهُ عز وجل مِنَ النَّعِيمِ، تَلَاشَتِ الدُّنْيَا لِنَاظِرِهِ حَتَّى أَصْبَحَ يَرَاهَا سِجْنًا، فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: «نَعَمْ»...» [مسلم: ١٩٠١]. وَبَشَّرَهُ صلى الله عليه وسلم قَائِلًا: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا»، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ. فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ. [مسلم: ١٩٠١].

دِقَّةُ التَّخْطِيطِ:

قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لأَصْحَابِهِ رضي الله عنهم يَوْمَ بَدْرٍ: «إِذَا أَكْثَبُوكُمْ فَارْمُوهُمْ، وَاسْتَبْقُوا نَبْلَكُمْ» [البخاري: ٣٩٨٤]. «أَكْثَبُوكُمْ»: دَنَوْا مِنْكُمْ. «اسْتَبْقُوا»: لَا تَرْمُوا بِهَا إِلَّا إِذَا اقْتَرَبُوا.

مُبَارَزَةُ الْأَبْطَالِ وَبِدَايَةُ الْمَعْرَكَةِ:

سَبَقَتِ الْمَعْرَكَةَ مُبَارَزَةٌ بُطُولِيَّةٌ بَيْنَ ثَلَاثَةٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، هُمْ: شَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَعُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ، وَثَلَاثَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، هُمْ: حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِالْمُطَّلِبِ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ،

وعُبَيْدَةُ بْنُ الحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَقَتَلَ أَبْطَالُ النَّبِيِّ ﷺ خُصُومَهُمْ، فَكَانَتْ تِلْكَ الْمُبَارَزَةُ بِدَايَةً لِبَشَائِرِ النَّصْرِ الْعَظِيمِ. [البخاري: ٣٩٦٦، ومسلم: ٣٠٣٣]. وَكَانَ ذَلِكَ فِي صَبِيحَةِ الْجُمُعَةِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ. [عبدالرزاق: ٩٧٢٧، أبوعوانة: ٦٦٢٦]. وَكَانَ يَوْمًا حَارًّا. [البخاري: ٣٩٦٠، ومسلم: ١٧٧٩/٨٣].

شجاعة النبي ﷺ:

قال ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ لأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: «لَا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إلى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ» [مسلم: ١٩٠١]. أَيْ: أَمَامَهُ.

وعن عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُوذُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأْسًا» [النسائي في الكبرى: ٨٥٨٥، وأحمد: ٦٥٤].

الفتيان الشجاعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

كان هُنَاكَ فَتَيَانِ شُجَاعَانِ مِنَ الأَنْصَارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَهُمَا مُعَاذُ ابنُ عَفْرَاءَ وَمُعَاذُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَقْسَمَا بالله تَعَالَى أَنْ يَقْتُلَا أَبَا جَهْلٍ إِنْ ظَفِرَا بِهِ؛ لأَنَّهُمَا سَمِعَا أَنَّهُ يسبُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَسَأَلَا عَنْهُ عَبْدَالرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

«يَا عَمِّ، هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟...» فَقَالَ: «أَلَا إِنَّ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي سَأَلْتُمَانِي، فَابْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا، فَضَرَبَاهُ حَتَّى قَتَلَاهُ» [البخاري: ٣١٤١، ومسلم: ١٧٥٢].

الملائكة عليهم السلام تشارك في المعركة:

قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]. وَقَالَ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ: «هَذَا جِبْرِيلُ، آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ، عَلَيْهِ أَدَاةُ الْحَرْبِ» [البخاري: ٣٩٩٥].

نعاس الأعين وماء السماء:

امْتَنَّ اللَّهُ ﷻ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ غَشَّاهُمُ النُّعَاسَ، وَنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مَاءً مُبَارَكًا، أَمَانًا لِقُلُوبِهِمْ، وَرَاحَةً لِأَجْسَادِهِمْ، وَتَثْبِيتًا لِأَقْدَامِهِمْ؛ قال تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١].

ولقد نصركم الله:

حُسِمَتِ الْمَعْرَكَةُ بِهَزِيمَةٍ سَاحِقَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

مكانة أهل بدر رضي الله عنهم:

قَالَ ﷺ عَنْ أَهْلِ بَدْرٍ: «لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ» [البخاري: ٣٠٠٧، ومسلم: ٢٤٩٤]. وَ«جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟ قَالَ: «مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ»... قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ» [البخاري: ٣٩٩٢].

الوسام البدري:

ظَلَّتْ مَعْرَكَةُ بَدْرٍ تَاجًا عَظِيمًا، وَوِسَامًا كَرِيمًا لِكُلِّ مَنْ شَهِدَهَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَمِنْ أَحْسَنِ مَا يُمْدَحُ بِهِ أَحَدُهُمْ رضي الله عنهم أَنْ يُقَالَ لَهُ: «الْبَدْرِيُّ»، أَوْ: «وَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا».

إنها جنان كثيرة:

اسْتُشْهِدَ مِنَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم ثَمَانِيَةَ عَشَرَ رَجُلًا [الطبراني: ١٠/(١٠٦٣٢)].

وممَّنِ اسْتُشْهِدَ حَارِثَةُ بْنُ سُرَاقَةَ رضي الله عنه «وَهُوَ غُلَامٌ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَرَفْتَ مَنْزِلَةَ حَارِثَةَ مِنِّي، فَإِنْ يَكُنْ فِي الْجَنَّةِ أَصْبِرْ وَأَحْتَسِبْ، وَإِنْ تَكُ

الأُخرَى تَرَى مَا أَصنَعُ، فَقَالَ: «وَيحَكِ، أَوَهَبِلتِ، أَوَجَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ، إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّهُ فِي جَنَّةِ الفِردَوسِ»»

[البخاري: ٣٩٨٢].

مصير الذين آذوا رسول الله ﷺ بمكة:

دَعَا النَّبِيُّ ﷺ عَلَى المُشرِكِينَ -حِينَ وَضَعُوا الأَذَى عَلَى ظَهرِهِ بِمَكَّةَ- قَائِلًا: «اللَّهُمَّ عَلَيكَ المَلَأَ مِن قُرَيشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيكَ أَبَا جَهلِ بنَ هِشَامٍ، وَعُتبَةَ بنَ رَبِيعَةَ، وَشَيبَةَ بنَ رَبِيعَةَ، وَعُقبَةَ بنَ أَبِي مُعَيطٍ، وَأُمَيَّةَ بنَ خَلَفٍ» ...، يَقُولُ ابنُ مَسعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: فَلَقَد رَأَيتُهُم قُتِلُوا يَومَ بَدرٍ، فَأُلقُوا فِي بِئرٍ.

[البخاري: ٣١٨٥، ومسلم: ١٧٩٤]. «المَلَأُ»: الجَمَاعَةُ.

خسائر المشركين:

عَنِ البَرَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصحَابُهُ أَصَابُوا مِنَ المُشرِكِينَ يَومَ بَدرٍ أَربَعِينَ وَمِائَةً: سَبعِينَ أَسِيرًا، وَسَبعِينَ قَتِيلًا»

[البخاري: ٣٩٨٦].

قصة الأسرى:

استَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ أَبَا بَكرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا فِي شَأنِ الأَسرَى

قائلًا: «مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الأَسْرَى؟» فَأَشَارَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِأَخْذِ فِدْيَةٍ مِنهُمْ، وَأَشَارَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَتْلِهِمْ؛ لأَنَّهُمْ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهُ، فَمَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَ قَوْلِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. [مسلم: ١٧٦٣].

وجاءَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مُوَافِقًا لِرَأْيِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَتَبَ فِيمَا اخْتَارَهُ النَّبِيُّ ﷺ الْخَيْرَ وَالْبَرَكَةَ.

التَّعْلِيمُ مُقَابِلَ الافْتِدَاءِ:

فَرَضَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الأَسْرَى فِدْيَةً مَالِيَّةً، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مالٌ جَعَلَ فِدْيَتَهُ تَعلِيمَ أَبْنَاءِ الْمُسْلِمِينَ الْكِتَابَةَ. [أحمد: ٢٢١٦]. وَذَلِكَ لاهْتِمَامِهِ ﷺ بِالْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ. وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى مَعْرِفَةِ قُرَيْشٍ بِالْقِرَاءَةِ وَالْكِتَابَةِ وَانْتِشَارِهِمَا فِيهِمْ.

قِلَادَةُ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

أَسَرَ أَبُو الْعَاصِ بْنُ الرَّبِيعِ بِبَدْرٍ، فَأَرْسَلَتْ زَوْجَتُهُ زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ تَفْتَدِيهِ بِقِلَادَةٍ كَانَتْ أُمُّهَا خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَدْ أَهْدَتْهَا إِيَّاهَا فِي زَوَاجِهَا، «فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَقَّ لَهَا رِقَّةً شَدِيدَةً، وَقَالَ: «إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِقُوا لَهَا أَسِيرَهَا،

وَتَـرُدُّوا عَلَيهَا الَّذِي لَهَا»، فَقَالُوا: نَعَمْ» [أبو داود: ٢٦٩٢]، وَوَعَدَ أَبُوالعَاصِ النَّبِيَّ ﷺ بِإِرْسَالِ زَيْنَب رَضِيَ اللهُ عَنْهَا إِلَى الْمَدِينَةِ فَوَفَى بِوَعْدِهِ. [البخاري: ٣٧٢٩، ومسلم: ٢٤٤٩/ ٩٥]. وَقَدْ أَسْلَمَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِزَمَنٍ، وَ«رَدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ ابْنَتَهُ زَيْنَب عَلَى أَبِي الْعَاصِ بِالنِّكَاحِ الأَوَّلِ» [أبو داود: ٢٢٤٠، والترمذي: ١١٤٣، وابن ماجه: ٢٠٠٩]، وَهُوَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَبُو أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَحْمِلُهَا مِرَارًا عَلَى عَاتِقِهِ فِي الصَّلَاةِ.
[البخاري: ٥٩٩٦، ومسلم: ٥٤٣].

وَفَاةُ رُقَيَّةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بِنْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ

لَمْ يَشْهَدْ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ غَزْوَةَ بَدْرٍ؛ لأَنَّ زَوْجَتَهُ رُقَيَّةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ابْنَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانَتْ مَرِيضَةً، فَظَلَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِجِوَارِهَا، فَقَالَ لَهُ ﷺ: «إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ» [البخاري: ٣١٣٠]. وَقَدْ تُوُفِّيَتْ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فِي تِلْكَ اللَّيَالِي.

وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ

بَعْدَ غَزْوَةِ بَدْرٍ أُنْزِلَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سُورَةُ الأَنْفَالِ. [البخاري: ٤٦٤٥، ومسلم: ٣٠٣١]. «الأَنفَال»: الغَنَائِمُ. وَاشْتَمَلَتْ أَوَّلُ آيَةٍ مِنْهَا عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ [الأنفال: ١].

فَإِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ مَبْدَأٌ عَظِيمٌ فِي حِفْظِ كِيَانِ الْأُمَمِ، ﷻ: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وَكَانَ ﷺ يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ بِنَفْسِهِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ. [البخاري: ٦٨٤، ومسلم: ٤٢١].

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ أَهْلَ قُبَاءٍ اقْتَتَلُوا حَتَّى تَرَامَوْا بِالْحِجَارَةِ، فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ، فَقَالَ: «اذْهَبُوا بِنَا نُصْلِحُ بَيْنَهُمْ» [البخاري: ٢٦٩٣، ومسلم: ٤٢١].

وَقَالَ ﷺ: «لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، فَيَنْمِي خَيْرًا، أَوْ يَقُولُ خَيْرًا» [البخاري: ٢٦٩٢، ومسلم: ٢٦٠٥].

وَأَخْبَرَ ﷺ أَنَّ إِصْلَاحَ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مَنْزِلَةً مِنَ التَّطَوُّعِ بِالصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ. [أبو داود: ٤٩١٩، والترمذي: ٢٥٠٩].

النَّبِيُّ ﷺ مُعْتَكِفًا

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ. [البخاري: ٢٠٢٦، ومسلم: ١١٧٢/٥].

تعبدٌ وتجمُّلٌ:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا كَانَتْ تُرَجِّلُ النَّبِيَّ ﷺ، وَهِيَ حَائِضٌ، وَهُوَ مُعْتَكِفٌ فِي الْمَسْجِدِ، وَهِيَ فِي حُجْرَتِهَا، يُنَاوِلُهَا رَأْسَهُ.

[البخاري: ٢٠٤٦، ومسلم: ٢٩٧]. « تُرَجِّلُ »: تُزَيِّنُ وَتُسَرِّحُ.

النبيُّ ﷺ وزكاةُ الفطر

مِنَ الْوَاجِبَاتِ الْعَظِيمَةِ فِي خِتَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُبَارَكِ: إِخْرَاجُ زَكَاةِ الْفِطْرِ قَبْلَ صَلَاةِ الْعِيدِ؛ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ: صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، عَلَى الْعَبْدِ وَالْحُرِّ، وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ»

[البخاري: ١٥٠٣، ومسلم: ٩٨٤].

أفراحُ العيد

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ وَلَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا، فَقَالَ: «مَا هَذَانِ الْيَوْمَانِ؟» قَالُوا: كُنَّا نَلْعَبُ فِيهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا: يَوْمَ الْأَضْحَى، وَيَوْمَ الْفِطْرِ» [أبو داود: ١١٣٤، والنسائي: ١٥٥٦].

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ مِنْ جَوَارِي الْأَنْصَارِ تُغَنِّيَانِ.. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمَزَامِيرُ الشَّيْطَانِ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟! وَذَلِكَ فِي يَوْمِ عِيدٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا، وَهَذَا عِيدُنَا» [البخاري: ٩٥٢، ومسلم: ٨٩٢].

وَفِي رِوَايَةٍ: جَاءَ حَبَشٌ يَزْفِنُونَ فِي يَوْمِ عِيدٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَدَعَانِي النَّبِيُّ ﷺ، فَوَضَعْتُ رَأْسِي عَلَى مَنْكِبِهِ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى لَعِبِهِمْ، حَتَّى كُنْتُ أَنَا الَّتِي أَنْصَرِفُ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهِمْ. [مسلم: ٨٩٢/٢٠].

(يزفنون): يرقصون بسلاحهم وحرابهم.

صلاة العيد وصدقات النساء

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَخْرُجُ يَوْمَ الْأَضْحَى وَيَوْمَ الْفِطْرِ، فَيَبْدَأُ بِالصَّلَاةِ، فَإِذَا صَلَّى صَلَاتَهُ وَسَلَّمَ، قَامَ فَأَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، وَهُمْ جُلُوسٌ فِي مُصَلَّاهُمْ، وَكَانَ يَقُولُ: «تَصَدَّقُوا، تَصَدَّقُوا، تَصَدَّقُوا»، وَكَانَ أَكْثَرَ مَنْ يَتَصَدَّقُ النِّسَاءُ. ثُمَّ يَنْصَرِفُ. [البخاري: ٩٥٦، ومسلم: ٨٨٩].

فرض الزكاة

وَفِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ فُرِضَتِ الزَّكَاةُ، وَهِيَ الرُّكْنُ الثَّالِثُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ. [البخاري: ٨، ومسلم: ١٦].

وَالزَّكَاةُ مِنْ أَرْقَى صُوَرِ التَّعَاوُنِ وَالتَّكَافُلِ الاجْتِمَاعِيِّ. ﷻ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]. وَغَالبًا مَا يَأْتِي الْأَمْرُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِالزَّكَاةِ مُقْتَرِنًا بِالْأَمْرِ بِالصَّلَاةِ، ﷻ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [المزمل: ٢٠].

وَهِيَ نِسْبَةٌ قَلِيلَةٌ تُؤْخَذُ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ لِلْفُقَرَاءِ. يَقُولُ ﷺ فِي وَصِيَّتِهِ لِمُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَمَا بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: «فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ، وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ» [البخاري: ١٣٩٥، ومسلم: ١٩].

عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يتزوج فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

وَفِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ، بَعْدَ مَعْرَكَةِ بَدْرٍ، تَزَوَّجَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَاطِمَةَ بِنْتَ سَيِّدِ الْخَلْقِ ﷺ وَرَيْحَانَتَهُ، فَنَالَ ذَلِكَ



الشَّرَفَ العَظِيمَ، وَكُتِبَ لِذِكْرِهِ وَشَرَفِهِ الخُلُودُ وَالمَوَدَّةُ الدَّائِمَةُ.

[البخاري: ٣٣٧٥، ومسلم: ٢٩٧٩] [أبو داود: ٢٩٥، والنسائي: ٢٣٧٦].

سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا

كَانَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مِنْ أَشْبَهِ النَّاسِ بِوَالِدِهَا ﷺ. تَقُولُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تَمْشِي، لَا وَاللهِ مَا تَخْفَى مِشْيَتُهَا مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ» [البخاري: ٣٦٢٥، ومسلم: ٢٤٥٠/٩٧].

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي» [البخاري: ٣٧١٤، ومسلم: ٢٤٤٩/٩٤]. «بَضْعَةٌ»: قِطْعَةٌ. وَقَالَ لَهَا ﷺ فِي مَرَضِ وَفَاتِهِ: «أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ؟!» أَوْ: «نِسَاءِ المُؤْمِنِينَ؟!» [البخاري: ٣٦٢٣، ٣٦٢٤، ومسلم: ٢٤٥٠/٩٨].

أَوَّلُ المُهَاجِرِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ مَوْتًا

عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنَ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ إِلَى الإِسْلَامِ، هَاجَرَ إِلَى الحَبَشَةِ، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى المَدِينَةِ، وَشَهِدَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ غَزْوَةَ بَدْرٍ، ثُمَّ تُوُفِّيَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. [البخاري: ٣٩٨٧]. وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ مَاتَ مِنَ المُهَاجِرِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ بِالمَدِينَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ دُفِنَ بِالبَقِيعِ.

بنو قينقاع

وَفِي تِلْكَ السَّنَةِ كَانَتْ «غَزْوَةُ بَنِي قَيْنُقَاعَ»، وَهُمُ الْيَهُودُ الَّذِينَ نَكَثُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْعُهُودِ، فَهَزَمَهُمْ ﷺ وَأَجْلَاهُمْ عَنِ الْمَدِينَةِ. [البخاري: ٤٠٢٨، ومسلم: ١٧٦٦].

رَجلٌ آذى الله ﷻ ورسولَه ﷺ

فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ قُتِلَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ، وَهُوَ مِنْ كِبَارِ رِجَالَاتِ الْيَهُودِ، وَكَانَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ إِيذَاءً لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَتَحْرِيضًا عَلَيْهِ، وَحَيْكًا لِلْمُؤَامَرَاتِ ضِدَّهُ، فَقَالَ ﷺ: «مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ؟ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ»، فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ رضي الله عنه، وَعَرَضَ اسْتِعْدَادَهُ لِتِلْكَ الْمُهِمَّةِ، وَأَعَدَّ خُطَّةً مُحْكَمَةً وَنَفَّذَهَا بِنَجَاحٍ. [البخاري: ٤٠٣٧، ومسلم: ١٨٠١].

غزوةُ بني النَّضير

وَفِي تِلْكَ السَّنَةِ كَانَتْ «غَزْوَةُ بَنِي النَّضِيرِ» ضِدَّ الْيَهُودِ الَّذِينَ نَكَثُوا عُهُودَهُمْ مَعَ الْمُسْلِمِينَ. قَالَ ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٤].

وَلَقَدْ أَعَدُّوا خُطَّةً لِقَتْلِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَكِنَّ اللهَ تَعَالَى رَدَّ كَيْدَهُمْ؛ حَيْثُ حَاصَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، وَأَخْرَجَهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ. [أبو داود: ٣٠٠٤]. وَفِيهِمْ نَزَلَتْ سُورَةُ الْحَشْرِ كَامِلَةً.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «حَارَبَتِ النَّضِيرُ وَقُرَيْظَةُ، فَأَجْلَى بَنِي النَّضِيرِ، وَأَقَرَّ قُرَيْظَةَ وَمَنَّ عَلَيْهِمْ، حَتَّى حَارَبَتْ قُرَيْظَةُ...» [البخاري: ٤٠٢٨، ومسلم: ١٧٦٦].

مَعْرَكَةُ أُحُدٍ، يَوْمٌ عَظِيمٌ وَمُصَابٌ أَلِيمٌ

فِي تِلْكَ السَّنَةِ كَانَتِ الْمَعْرَكَةُ الْعَظِيمَةُ، وَالْوَاقِعَةُ الْأَلِيمَةُ، الَّتِي ابْتُلِيَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ ابْتِلَاءً عَظِيمًا، وَاسْتُشْهِدَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ شَهِيدًا. [البخاري: ٤٠٤٣]، وَذَلِكَ حِينَ أَقْبَلَ الْمُشْرِكُونَ إِلَى الْمَدِينَةِ لِقِتَالِ الْمُسْلِمِينَ؛ طَلَبًا لِثَأْرِهِمْ فِي بَدْرٍ. «أُحُدٌ»: الْجَبَلُ الْمَشْهُورُ، وَيَقَعُ شَمَالَ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ عَلَى بُعْدِ حَوَالَيْ سِتَّةِ كِيلُومِتْرَاتٍ.

الْمُنَافِقُونَ يُحَاوِلُونَ شَقَّ الصَّفِّ:

كَشَفَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ أَمْرَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ امْتَنَعُوا عَنِ الْمُشَارَكَةِ فِي صَدِّ هَذَا الْعُدْوَانِ الْخَطِيرِ؛ بِحُجَّةِ أَنَّهُ لَنْ يَكُونَ هُنَاكَ قِتَالٌ. [البخاري: ٤٠٥٠، ومسلم: ٢٧٧٦]. قَالَ ﷻ: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا

﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

بِدَايَةُ الْمَعْرَكَةِ وَسَبَبُ الْهَزِيمَةِ:

كَانَتِ الْغَلَبَةُ لِلْمُسْلِمِينَ فِي بِدَايَةِ الْمَعْرَكَةِ، وَلَكِنْ دَارَتِ الدَّائِرَةُ عَلَيْهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ؛ بِسَبَبِ مُخَالَفَةِ بَعْضِ الرُّمَاةِ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ.

عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الرَّجَّالَةِ يَوْمَ أُحُدٍ -وَكَانُوا خَمْسِينَ رَجُلًا- عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جُبَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ ﷺ: «إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ فَلَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا، حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا الْقَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ، فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ» [البخاري: ٣٠٣٩]. «الرَّجَّالَةُ»: الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ عَلَى أَرْجُلِهِمْ. «لَا تَبْرَحُوا»: لَا تُفَارِقُوا. «أَوْطَأْنَاهُمْ»: غَلَبْنَاهُمْ وَقَهَرْنَاهُمْ.

وَحِينَ رَأَوُا انْهِزَامَ الْمُشْرِكِينَ تَرَكُوا أَمَاكِنَهُمْ، وَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَنَادَوْنَ: «الْغَنِيمَةَ الْغَنِيمَةَ» فَالْتَفَّ الْمُشْرِكُونَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَكَانَتِ الْهَزِيمَةُ. [البخاري: ٤٠٤٣]. قَالَ ﷻ: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ

أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

الله ﷻ ينزل النعاس على المؤمنين رضي الله عنهم:

مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﷻ بِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ذَلِكَ الْيَوْمَ أَنْ غَشِيَهُمُ النُّعَاسُ لِيَكُونَ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيْهِمْ، ﷻ: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وَعَنْ أَبِي طَلْحَةَ رضي الله عنه، قَالَ: «غَشِيَنَا النُّعَاسُ وَنَحْنُ فِي مَصَافِّنَا يَوْمَ أُحُدٍ، فَجَعَلَ سَيْفِي يَسْقُطُ مِنْ يَدِي وَآخُذُهُ، وَيَسْقُطُ وَآخُذُهُ» [البخاري: ٤٥٦٢].

أبو دجانة رضي الله عنه والسيف النبوي:

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ سَيْفًا يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ: «مَنْ يَأْخُذُ مِنِّي هَذَا؟» فَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ، كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يَقُولُ: أَنَا، أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ؟» فَأَحْجَمَ الْقَوْمُ. فَقَالَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ أَبُو دُجَانَةَ: أَنَا آخُذُهُ بِحَقِّهِ. فَأَخَذَهُ فَفَلَقَ بِهِ هَامَ الْمُشْرِكِينَ. [مسلم: ٢٤٧٠]. «فَفَلَقَ بِهِ هَامَ الْمُشْرِكِينَ»: أي شق رؤوسهم.

جبريل وميكائيل عليهما السلام يقاتلان عن النبي ﷺ:

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه، قَالَ: «رَأَيْتُ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَنْ شِمَالِهِ يَوْمَ أُحُدٍ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا ثِيَابُ بَيَاضٍ، مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ» يَعْنِي جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ عليهما السلام. [البخاري: ٤٠٥٤، ومسلم: ٢٣٠٦].

الصحابة رضي الله عنهم يفتدون النبي ﷺ بأرواحهم:

ظَهَرَ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ مِنْ بَسَالَةِ الْمُسْلِمِينَ وَتَضْحِيَاتِهِمْ، وَافْتِدَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مَا يَبْهَرُ النُّفُوسَ، وَيُورِثُ الْإِجْلَالَ وَالْإِكْبَارَ، فَهَذَا طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، قَاتَلَ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى شُلَّتْ يَدُهُ بِسَهْمٍ أَصَابَهَا، وَقَى بِهَا النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ. [البخاري: ٤٠٦٣].

وَذَاكَ أَبُو طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيُّ رضي الله عنه كَانَ رَامِيًا مَاهِرًا. وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ كُلَّمَا رَفَعَ رَأْسَهُ يَنْظُرُ إِلَى الْقَوْمِ قَالَ لَهُ أَبُو طَلْحَةَ رضي الله عنه: «يَا نَبِيَّ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، لَا تُشْرِفْ يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْقَوْمِ، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ» [البخاري: ٣٨١١، ومسلم: ١٨١١].

وَذَاكَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه، نَاضَلَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،

وَكَانَ يَرْمِي الْمُشْرِكِينَ بِسِهَامِهِ حَتَّى خَصَّهُ النَّبِيُّ ﷺ بِقَوْلِهِ: «ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي» [البخاري: ٢٩٠٥، ومسلم: ٢٤١١].

وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَفْتَخِرُ بِذَلِكَ وَيَقُولُ: «جَمَعَ لِي النَّبِيُّ ﷺ أَبَوَيْهِ يَوْمَ أُحُدٍ» [البخاري: ٣٧٢٥، ومسلم: ٢٤١٢].

وَأُولَئِكَ سَبْعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ الْعُظَمَاءِ مِنَ الْأَنْصَارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، يَنَالُونَ شَرَفَ الشَّهَادَةِ، وَاحِدًا تِلْوَ الْآخَرِ، يَفْتَدُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَيَجُودُونَ بِأَرْوَاحِهِمْ دُونَهُ، حِينَ أَحَاطَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ؟» [مسلم: ١٧٨٩].

فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تداوي إصابة أبيها ﷺ:

فِي هَذَا الْيَوْمِ الْعَصِيبِ حَاوَلَ الْمُشْرِكُونَ قَتْلَ النَّبِيِّ ﷺ، وَتَعَرَّضَ لِإِصَابَاتٍ بَالِغَةٍ.

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ جُرْحِ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ: «جُرِحَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، وَهُشِمَتِ الْبَيْضَةُ عَلَى رَأْسِهِ، فَكَانَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَغْسِلُ الدَّمَ، وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُمْسِكُ، فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّ الدَّمَ لَا يَزِيدُ إِلَّا كَثْرَةً،

أَخَذَتْ حَصِيرًا فَأَحْرَقَتْهُ حَتَّى صَارَ رَمَادًا، ثُمَّ أَلْزَقَتْهُ فَاسْتَمْسَكَ الدَّمُ» [البخاري: ٢٩١١، ومسلم: ١٧٩٠]. «رَبَاعِيَتُهُ»: السِّنُّ الَّتِي بَيْنَ الثَّنِيَّةِ وَالنَّابِ، «الْبَيْضَةُ»: مَا يُلْبَسُ مِنْ حَدِيدٍ عَلَى الرَّأْسِ لِوِقَايَتِهِ فِي الْقِتَالِ، «يُمْسِكُهُ» أَيْ: مَحَلَّ الدَّمِ، «حَصِيرًا»: بِسَاطٌ يُعْمَلُ مِنْ سَعَفِ النَّخْلِ وَغَيْرِهِ.

الْمُؤْمِنَاتُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ يُجَاهِدْنَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ:

بَذَلَتِ النِّسَاءُ الْمُؤْمِنَاتُ يَوْمَ أُحُدٍ دَوْرًا مُهِمًّا، فَكَانَتْ فَاطِمَةُ، وَعَائِشَةُ، وَأُمُّ سُلَيْمٍ، وَأُمُّ سُلَيْطٍ، وَغَيْرُهُنَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ، يُشَارِكْنَ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ فِي سِقَايَةِ الْجَيْشِ، وَمُدَاوَاةِ الْجَرْحَى. [البخاري: ٤٠٦٤، ٢٨٨٠، ومسلم: ١٨١١].

وَلَقَدْ كَانَتِ الْمُؤْمِنَاتُ يُجَاهِدْنَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزَوَاتِهِ، وَيُقَدِّمْنَ إِسْهَامَاتٍ عَظِيمَةً، وَتَضْحِيَاتٍ مُبَارَكَةً فِي سِقَايَةِ الْجَيْشِ، وَصُنْعِ الطَّعَامِ، وَمُدَاوَاةِ الْجَرْحَى، وَتَطْبِيبِ الْمَرْضَى. [البخاري: ٢٨٨٣، ومسلم: ١٨١٢/١٤٢].

مِنْ عُظَمَاءِ الشُّهَدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ:

فَقَدَ الْمُسْلِمُونَ ثُلَّةً مِنْ خِيَارِهِمْ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ، وَمِنْهُمْ:

- سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. [البخاري: ٤٠٧٢].

- وَمُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. [البخاري: ٤٠٤٧، ومسلم: ٩٤٠].

- وَأَنَسُ بْنُ النَّضْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي قَالَ: «إِنِّي أَجِدُ رِيحَ الْجَنَّةِ دُونَ أُحُدٍ»، فَمَضَى فَقُتِلَ، فَمَا عُرِفَ حَتَّى عَرَفَتْهُ أُخْتُهُ بِشَامَةٍ أَوْ بِبَنَانِهِ، وَبِهِ بِضْعٌ وَثَمَانُونَ مِنْ طَعْنَةٍ وَضَرْبَةٍ وَرَمْيَةٍ بِسَهْمٍ. [البخاري: ٤٠٤٨، ومسلم: ١٩٠٣].

- وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي جَعَلَتْ أُخْتُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَبْكِيهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَبْكِيهِ، أَوْ لَا تَبْكِيهِ، مَا زَالَتِ الْمَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا، حَتَّى رَفَعْتُمُوهُ» [البخاري: ١٢٤٤، ومسلم: ٢٤٧١/١٣٠].

تمحيص وابتلاء:

كَانَتْ غَزْوَةُ أُحُدٍ تَمْحِيصًا لِلْمُؤْمِنِينَ، وَابْتِلَاءً لِلْمُسْلِمِينَ، وَدَرْسًا لَهُمْ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ. قَالَ ﷻ: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ

ﵟٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤١ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَﵞ [آل عمران: ١٤٠-١٤٢].

أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة:

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَقُولُ: «أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ؟»، فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدٍ قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ، وَقَالَ: «أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وَأَمَرَ بِدَفْنِهِمْ بِدِمَائِهِمْ، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِمْ عِنْدَ الدَّفْنِ، وَلَمْ يُغَسَّلُوا. [البخاري: ٤٠٧٩]. «اللَّحْدُ» الشَّقُّ يَكُونُ فِي جَانِبِ الْقَبْرِ.

وَزَارَ النَّبِيُّ ﷺ شُهَدَاءَ أُحُدٍ رضي الله عنهم، وَدَعَا لَهُمْ، وَاسْتَغْفَرَ. [البخاري: ٤٠٤٢، ومسلم: ٢٢٩٦].

منزلة الشهداء:

قال تعالى: ﵟوَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٧٠ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَﵞ [آل عمران: ١٦٩-١٧١]. وَقَالَ ﷺ: «أَرْوَاحُهُمْ فِي

جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ» [مسلم: ١٨٨٧].

الْهَزِيمَةُ فِي الْمَيْدَانِ كَانَتْ نَصْرًا فِي الإِيمَانِ:

إِنَّ هَزِيمَةَ الْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ زَادَتْهُمْ قُوَّةً وَصَلَابَةً وَثَبَاتًا، وَنَجَحُوا نَجَاحًا بَاهِرًا فِي التَّمْحِيصِ وَالامْتِحَانِ. قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

مُوَاصَلَةُ الْكِفَاحِ رَغْمَ الْجِرَاحِ:

خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ رضي الله عنهم ثَانِيَ يَوْمٍ مِنْ مَعْرَكَةِ أُحُدٍ -وَدِمَاؤُهُمْ تَسِيلُ، وَجِرَاحُهُمْ تَنْزِفُ- إِلَى حَمْرَاءِ الأَسَدِ، إِذْ أُشِيعَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ سَيَعُودُونَ لِلْهُجُومِ عَلَى الْمَدِينَةِ. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٢-١٧٤]. «حَمْرَاءُ الأَسَدِ» مَوْضِعٌ عَلَى بُعْدِ عِدَّةِ كِيلُومِتْرَاتٍ جَنُوبَ الْمَدِينَةِ.

تَقُولُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لَمَّا أَصَابَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا أَصَابَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَانصَرَفَ عَنهُ الْمُشْرِكُونَ، خَافَ أَنْ يَرْجِعُوا، قَالَ: «مَنْ يَذْهَبُ فِي إِثْرِهِمْ؟» فَانتَدَبَ مِنهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا، كَانَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ، وَالزُّبَيْرُ. [البخاري: ٤٠٧٧، وأصله عند مسلم: ٢٤١٨]. «انْتَدَبَ»: لَـبَّى واستجاب.

النَّبِيُّ ﷺ يَتَزَوَّجُ حَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

وَفِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ حَفْصَةَ بِنتَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وكَانَتْ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ السَّابِقَاتِ.

وَقَدْ تُوُفِّيَ زَوْجُها الصَّحَابِيُّ خُنَيْسُ بْنُ حُذَافَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْمَدِينَةِ، وَكَانَ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا. يَقُولُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ثُمَّ خَطَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَنكَحْتُهَا إِيَّاهُ» [البخاري: ٥١٢٢].

عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَتَزَوَّجُ أُمَّ كُلْثُومٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

وَفِي تِلْكَ السَّنَةِ زَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابْنَتَهُ أُمَّ كُلْثُومٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا خَلَفًا لِرُقَيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. [الآحاد والمثاني: ٢٩٨]. فَنَالَ هَذَا الشَّرَفَ الْمُتَفَرِّدَ، وَتِلْكَ الْمَنقَبَةَ الْكَبِيرَةَ: أَنْ تَزَوَّجَ ابْنَتَيِ النَّبِيِّ ﷺ، وَسُمِّيَ: «ذَا النُّورَيْنِ» [ابن أبي شيبة: ٣٢٥٣].

الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الْمُصْلِحُ الْعَظِيمُ

وفي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ وُلِدَ سِبْطُ النَّبِيِّ ﷺ، ابْنُ ابْنَتِهِ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، السَّيِّدُ الْمُصْلِحُ الْعَظِيمُ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. سَمَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ. [أحمد: ٧٦٩، ٩٥٣]. وَعَقَّ عَنْهُ. [أبوداود: ٢٨٤١، والنسائي: ٤٢١٩]. تعَقَّ عَنْهُ: مِنَ الْعَقِيقَةِ، وهي الذبيحة عَنِ الْمَوْلُودِ. وَكَانَ الْحَسَنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَشْبَهَ النَّاسِ بِالنَّبِيِّ ﷺ. [البخاري: ٣٧٥٢، ومسلم: ٢٣٤٣]. وَقَالَ ﷺ عَنْهُ وَعَنِ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «هُمَا رَيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا» [البخاري: ٣٧٥٣]. وَالْتَزَمَهُ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا وَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ، وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ» [البخاري: ٥٨٨٤، ومسلم: ٢٤٢١]. وقالَ عَنْهُ ﷺ مُمْتَدِحًا: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ» [البخاري: ٢٧٠٤].

اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ

هذا دُعَاءٌ عَظِيمٌ عَلَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَهُوَ غُلامٌ. يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي الوِتْرِ: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وتولَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ ما قَضَيْتَ، إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ

مَنْ وَالَيْتَ، وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ»
[أبو داود: ١٤٢٥، والترمذي: ٤٦٤، والنسائي: ١٧٤٥، وابن ماجه: ١١٧٨].

أُمُّ المساكين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

وَفِي تِلْكَ السَّنَةِ فِي رَمَضَانَ، تَزَوَّجَ ﷺ زَيْنَبَ بِنْتَ خُزَيْمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَكَانَتْ تُلَقَّبُ: أُمَّ الْمَسَاكِينِ، لِكَثْرَةِ إِنْفَاقِهَا وَصَدَقَاتِهَا وَحُبِّهَا لِلْمَسَاكِينِ. وَلَمْ يَطُلْ بَقَاؤُهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، إِذْ مَاتَتْ بَعْدَ الزَّوَاجِ بِعِدَّةِ أَشْهُرٍ، وَقَدْ حَظِيَتْ بِأَنْ صَلَّى عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَدَفَنَهَا بِالْبَقِيعِ. [ابن سعد في الطبقات: ٨/١١٥].

مأساة الرجيع

وَفِي تِلْكَ السَّنَةِ حَدَثَتْ مَأْسَاةُ «الرَّجِيعِ»، لِسَرِيَّةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ الْأَجِلَّاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، بَعَثَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ لِاسْتِطْلَاعِ أَخْبَارِ قُرَيْشٍ وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَعَلِمَ بِهِمْ قَوْمٌ مِنْ هُذَيْلٍ فَحَاصَرُوهُمْ وَأَعْطَوْهُمُ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ أَلَّا يَقْتُلُوهُمْ، فَغَدَرُوا بِهِمْ وَقَتَلُوهُمْ وَأَسَرُوا مِنْهُمْ زَيْدَ بْنَ الدَّثِنَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَخُبَيْبَ بْنَ عَدِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَبَاعُوهُمَا لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ. [البخاري: ٤٠٨٦]. وَقَتَلُوهُمَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

«الرَّجِيعُ» مَوْضِعٌ شَمَالَ مَكَّةَ «هُذَيْلٌ» قَبِيلَةٌ مِنْ قَبَائِلِ الْحِجَازِ الْكَبِيرَةِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا.

ولستُ أبالي حين أُقتل مسلمًا:

لَمَّا أَرَادَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ قَتلَ خُبَيْبِ بْنِ عَدِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَهُمْ: دَعُونِي أُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ، فَتَرَكُوهُ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ، لَوْلَا أَنْ تَحْسِبُوا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ لَزِدتُ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا، وَاقْتُلْهُمْ بَدَدًا، وَلَا تُبْقِ مِنْهُمْ أَحَدًا، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

فَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا ... عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ لِلَّهِ مَصْرَعِي

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ ... يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

[البخاري: ٣٩٨٩]. «بَدَدًا»: أَجزاءً مُتفرِّقةً مُتقطِّعةً. «شِلْوٍ»: جَسَدٌ. «مُمَزَّعٍ»: مُقَطَّعٌ.

مأساة بئر معونة

وَفِي السَّنَةِ نَفْسِهَا وَقَعَتْ مَأْسَاةٌ أُخْرَى، وَهِيَ حَادِثَةُ «بِئْرِ مَعُونَةَ» الَّتِي أَحْزَنَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَآلَمَتْهُ؛ وَذَلِكَ أَنَّ سَبْعِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ -كَانُوا يُعْرَفُونَ بِـ(الْقُرَّاءِ)- بَعَثَهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَعْضِ الْقَبَائِلِ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ مِنْهُمْ أَنْ يُعَلِّمُوهُمُ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ، وَأَنْ يَكُونُوا مَدَدًا عَلَى عَدُوٍّ لَهُمْ؛ وَلَكِنَّهُمْ غَدَرُوا بِهِمْ وَقَتَلُوهُمْ، يَقُولُ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

«قَنَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَهْرًا حِينَ قُتِلَ الْقُرَّاءُ، فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَزِنَ حُزْنًا قَطُّ أَشَدَّ مِنْهُ» [البخاري: ١٣٠٠، ومسلم: ٦٧٧].

وَيَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِمْ ثَلَاثِينَ صَبَاحًا، عَلَى رِعْلٍ وَذَكْوَانَ وَبَنِي لِحْيَانَ وَعُصَيَّةَ الَّذِينَ عَصَوُا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ» [البخاري: ١٠٠١، ومسلم: ٦٧٧]. «قَنَتَ»: دَعَا قَائِمًا فِي الصَّلَاةِ. «بِئْرُ مَعُونَةَ»: مَوْضِعٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فِي ضَاحِيَةِ مَهْدِ الذَّهَبِ حَالِيًّا، «رِعْلٌ وَذَكْوَانُ وَبَنُو لِحْيَانَ وَعُصَيَّةُ»: أَسْمَاءُ أَحْيَاءٍ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ وَقَبَائِلِهَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ.

فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ:

اسْتُشْهِدَ حَرَامُ بْنُ مِلْحَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، خَالُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْحَادِثَةِ، فَلَمَّا طُعِنَ هَتَفَ قَائِلًا: «فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ» [البخاري: ٤٠٩٢، ومسلم: ٦٧٧ (١٥١١/٣)]. أَيْ: بِالشَّهَادَةِ.

اسْتِشْهَادُ رَفِيقِ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

كَانَ مِمَّنْ قُتِلَ فِي هَذِهِ الْحَادِثَةِ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رَفِيقُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْهِجْرَةِ الشَّرِيفَةِ، وَكَانَتْ لَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ قِصَّةٌ عَظِيمَةٌ؛ قَالَ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ: «لَقَدْ رَأَيْتُهُ بَعْدَمَا قُتِلَ رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ ...، ثُمَّ وُضِعَ» [البخاري: ٤٠٩٣].

وفاة أبي سلمة رضي الله عنه

وَفِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ لِلْهِجْرَةِ تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ رضي الله عنه؛ مُتَأَثِّرًا بِجِرَاحٍ أُصِيبَ بِهَا يَوْمَ أُحُدٍ، وَهُوَ أَخُو النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَابْنُ عَمَّتِهِ، وَقَدْ دَعَا لَهُ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ وَفَاتِهِ قَائِلًا: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ» [مسلم: ٩٢٠]. «الغابرون»: الباقون.

تحريم الخمر

بَعْدَ تَدَرُّجٍ تَشْرِيعِيٍّ حَكِيمٍ نَزَلَ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ، قَالَ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]. فَبَادَرَ الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم لِامْتِثَالِ أَمْرِ اللَّهِ ﷻ وَأَمْرِ رَسُولِهِ ﷺ. [البخاري: ٤٦١٦، ومسلم: ١٩٨٠].

وَقَالَ ﷺ: «كُلُّ شَرَابٍ أَسْكَرَ فَهُوَ حَرَامٌ» [البخاري: ٢٤٢، ومسلم: ٢٠٠١].

وَقَالَ ﷺ: «مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا، حُرِمَهَا فِي الْآخِرَةِ» [البخاري: ٥٥٧٥، ومسلم: ٢٠٠٣/٧٧].

قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم

جَاءَتْ رِسَالَةُ النَّبِيِّ ﷺ بِكُلِّ مَا يُحَافِظُ عَلَى نَقَاءِ الْقُلُوبِ، وَطَهَارَةِ النُّفُوسِ، وَرُقِيِّ الْمُجْتَمَعَاتِ، وَصِيَانَةِ الْعَفَافِ، وَحِمَايَةِ الْفَضِيلَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ الأَمْرُ بِغَضِّ الْبَصَرِ، وَحِفْظِ الْفَرْجِ، قَالَ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣٠، ٣١]. وَجَاءَ الدِّينُ بِتَحْرِيمِ الزِّنَا وَدَوَاعِيهِ، وَهُوَ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ الْمُحَرَّمَةِ فِي كُلِّ الشَّرَائِعِ؛ لِمَا يُحْدِثُهُ مِنْ آثَارٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ وَأَخْلَاقِيَّةٍ وَصِحِّيَّةٍ خَطِيرَةٍ. قَالَ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]. وَقَدْ قَرَنَهُ اللَّهُ ﷻ بِالشِّرْكِ وَقَتْلِ النَّفْسِ، فَقَالَ تَعَالَى فِي صِفَاتِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨]، وَامْتَدَحَ ﷻ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٥].

وَحَذَّرَ مِنهُ ﷺ أَشَدَّ التَّحذِيرِ فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ، وَمِن ذَلِكَ قَولُهُ ﷺ: «لَا يَزنِي الزَّانِي حِينَ يَزنِي وَهُوَ مُؤمِنٌ» [البخاري: ٢٤٧٥، ومسلم: ٥٧].

الزَّوَاجُ سَكَنٌ وَمَوَدَّةٌ

أَمَرَ اللهُ ﷻ بِالنِّكَاحِ وَعَدَّهُ مِن آيَاتِهِ وَنِعَمِهِ، ﷻ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

وَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ مِن سُنَّتِهِ الشَّرِيفَةِ، وَهَديِهِ الكَرِيمِ فَقَالَ: «لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَن رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيسَ مِنِّي» [البخاري: ٥٠٦٣، ومسلم: ١٤٠١].

وَحَثَّ ﷺ الشَّبَابَ عَلَى الزَّوَاجِ فَقَالَ: «يَا مَعشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ استَطَاعَ البَاءَةَ فَليَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلبَصَرِ، وَأَحصَنُ لِلفَرجِ، وَمَن لَم يَستَطِعْ فَعَلَيهِ بِالصَّومِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ» [البخاري: ٥٠٦٦، ومسلم: ١٤٠٠]. «البَاءَةُ»: القُدرَةُ، «وِجَاءٌ»: قَاطِعٌ لِلشَّهوَةِ.

فاظفر بذات الدين:

قَالَ ﷺ: «تُنكَحُ المَرأَةُ لِأَربَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا،

فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ» [البخاري: ٥٠٩٠، ومسلم: ١٤٦٦]. «تَرِبَتْ»: كَلِمَةٌ تُقَالُ عِنْدَ اسْتِعْظَامِ الأَمْرِ أَوِ الحَثِّ عَلَيْهِ أَوِ التَّعَجُّبِ.

أَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ

آخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ رضي الله عنه وَبَيْنَ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، فَرَأَى سَلْمَانُ رضي الله عنه أُمَّ الدَّرْدَاءِ رضي الله عنها فِي حَالَةٍ رَثَّةٍ، وَعَلِمَ مِنْهَا أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه يُدِيمُ الصِّيَامَ وَالقِيَامَ، فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ. فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ سَلْمَانُ» [البخاري: ١٩٦٨].

وَيَقُولُ عَبْدُاللهِ بْنُ عَمْرٍو رضي الله عنهما: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ؟!» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «فَلَا تَفْعَلْ، قُمْ وَنَمْ، وَصُمْ وَأَفْطِرْ، فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا» [البخاري: ١٩٧٥، ومسلم: ١١٥٩/١٨٣]. «زَوْرُكَ»: ضَيْفُكَ.

الحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .. السَّيِّدُ الشَّهِيدُ

وَفِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ فِي شَهْرِ شَعْبَانَ وُلِدَ سِبْطُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ابْنُ ابْنَتِهِ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، السَّيِّدُ الشَّهِيدُ الحُسَيْنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، سَمَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ. [أحمد: ٧٦٩، ٩٥٣]. وَعَقَّ عَنْهُ. [أبو داود: ٢٨٤١، والنسائي: ٤٢١٩].

وَكَانَ الحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ أَشْبَهِ النَّاسِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. [البخاري: ٣٧٤٨].

يَقُولُ ﷺ عَنِ الحَسَنِ وَالحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «هُمَا رَيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا» [البخاري: ٣٧٥٣]. وَيَقُولُ ﷺ: «الحَسَنُ وَالحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ» [الترمذي: ٣٧٦٨، والنسائي في الكبرى: ٨١١٣].

وَيَقُولُ ﷺ: «حُسَيْنٌ مِنِّي، وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ، أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا، حُسَيْنٌ سِبْطٌ مِنَ الأَسْبَاطِ» [الترمذي: ٣٧٧٥، وابن ماجه: ١٤٤]. «السِّبْطُ»: وَلَدُ البِنْتِ أَوِ الابْنِ، وَمِنْ مَعَانِيهِ: أَنَّهُ أُمَّةٌ وَحْدَهُ فِي الخَيْرِ، وَهُوَ المُرَادُ هُنَا.

النَّبِيُّ ﷺ يُرْدِفُ الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَقَدْ قُدْتُ بِنَبِيِّ اللَّهِ ﷺ وَالحَسَنِ وَالحُسَيْنِ بَغْلَتَهُ الشَّهْبَاءَ، حَتَّى أَدْخَلْتُهُمْ حُجْرَةَ النَّبِيِّ ﷺ، هَذَا قُدَّامَهُ وَهَذَا خَلْفَهُ» [مسلم: ٢٤٢٣].

يطهركم تطهيرا

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ، مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ، فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب٣٣]. [مسلم]. مِرْطٌ مُرَحَّلٌ: كِسَاءٌ مَنْقُوشٌ.

أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تفوز بخير خلف

وَفِي تِلْكَ السَّنَةِ تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، بَعْدَ انْقِضَاءِ عِدَّتِهَا، وَهِيَ هِنْدُ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ السَّابِقَاتِ وَالْمُهَاجِرَاتِ الصَّابِرَاتِ، هَاجَرَتْ إِلَى الْحَبَشَةِ، ثُمَّ إِلَى الْمَدِينَةِ.

قَالَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة١٥٦]، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا»، قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ

قلتُ: أيُّ المسلمين خيرٌ من أبي سلمةَ؟! أوَّلُ بيتٍ هاجرَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ، ثمَّ إنِّي قلتُها، فأخلفَ اللهُ لي رسولَ اللهِ ﷺ. [مسلم: ٩١٨].

النبيُّ ﷺ يعلِّمُ أصحابَه رضي الله عنهم الاستخارةَ

عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رضي الله عنهما، قال: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يعلِّمُنا الاستخارةَ في الأمورِ كلِّها، كما يعلِّمُنا السورةَ من القرآنِ يقولُ: «إذا همَّ أحدُكم بالأمرِ، فليركعْ ركعتينِ من غيرِ الفريضةِ، ثمَّ ليقلْ: اللهمَّ إنِّي أستخيرُكَ بعلمِكَ وأستقدرُكَ بقدرتِكَ، وأسألُكَ من فضلِكَ العظيمِ، فإنَّكَ تقدرُ ولا أقدرُ، وتعلمُ ولا أعلمُ، وأنتَ علَّامُ الغيوبِ، اللهمَّ إن كنتَ تعلمُ أنَّ هذا الأمرَ خيرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبةِ أمري فاقدرْهُ لي ويسِّرْهُ لي، ثمَّ باركْ لي فيه، وإن كنتَ تعلمُ أنَّ هذا الأمرَ شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبةِ أمري فاصرفْهُ عنِّي واصرفني عنه، واقدرْ لي الخيرَ حيثُ كانَ، ثمَّ أرضِني» ويسمِّي حاجتَهُ. [البخاري: ٦٣٨٢].

وشاورهم في الأمر

قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران:١٥٩]، مَعَ أَنَّهُ ﷺ رَسُولُ اللهِ ﷺ، الْمُؤَيَّدُ بِالْوَحْيِ، الْمَعْصُومُ مِنَ الزَّلَلِ، فَقَدْ أَسَّسَ ﷺ لِمَبْدَأِ الشُّورَى بِقَوْلِهِ وَفِعْلِهِ مَعَ أَصْحَابِهِ رضي الله عنهم، حَيْثُ كَانَ يَسْتَمِعُ لِأَقْوَالِهِمْ وَيَأْخُذُ بِالسَّدِيدِ مِنْ آرَائِهِمْ. فَقَدْ شَاوَرَهُمْ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ فِي الْحَرْبِ [مسلم: ١٧٧٩]، وَشَاوَرَهُمْ فِي شَأْنِ الْأَسْرَى [مسلم: ١٧٦٣]، وَشَاوَرَهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ فِي التَّحَصُّنِ بِالْمَدِينَةِ [البخاري معلقا قبل حديث: ٧٣٦٩]، وَشَاوَرَهُمْ فِي أَمْرِ الْمُنَافِقِينَ فِي حَادِثَةِ الْإِفْكِ. [البخاري: ١٧٥٧، معلقًا، ومسلم: ٢٧٧٠/٥٨]. وَشَاوَرَ عَلِيًّا وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رضي الله عنهم فِي شَأْنِ عَائِشَةَ رضي الله عنها فِي تِلْكَ الْحَادِثَةِ. [البخاري: ٢٦٣٧، ومسلم: ٢٧٧٠]. وَشَاوَرَهُمْ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ فِي مُحَارَبَةِ الْمُشْرِكِينَ. [البخاري: ١٧٧٨، ١٧٧٩]. وَشَاوَرَ أُمَّ سَلَمَةَ رضي الله عنها يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ أَيْضًا [البخاري: ٢٧٣١، ٢٧٣٢]؛ مُحَقِّقًا ﷺ بِذَلِكَ كُلِّهِ قَوْلَهُ ﷻ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى:٣٨].

إن من الشعر لحكمة

يَقُولُ ﷺ: «إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمَةً» [البخاري: ٦١٤٥]. وَيَقُولُ ﷺ: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا» [البخاري: ٥١٤٦، ومسلم: ٨٦٩].

وَحِينَ قَامَ شُعَرَاءُ قُرَيْشٍ يَهْجُونَ النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَيُوَجِّهُونَ شِعْرَهُمْ فِي مُحَارَبَةِ الْحَقِّ وَالتَّرْوِيجِ لِلْبَاطِلِ، أَذِنَ النَّبِيُّ ﷺ لِحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَغَيْرِهِ مِنْ شُعَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِالرَّدِّ عَلَيْهِمْ، يَقُولُ ﷺ: «يَا حَسَّانُ، أَجِبْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ» [البخاري: ٤٥٣، ومسلم: ٢٤٨٥/١٥١].

وَقَالَ ﷺ: «اهْجُهُمْ وَجِبْرِيلُ مَعَكَ» [البخاري: ٣٢١٣، ومسلم: ٢٤٨٦].

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اهْجُوا قُرَيْشًا، فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقٍ بِالنَّبْلِ»... «الرَّشْقُ: الرَّمْيُ السَّرِيعُ»، وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «هَجَاهُمْ حَسَّانُ فَشَفَى وَاشْتَفَى»، قَالَ حَسَّانُ:

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ ... وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ
هَجَوْتَ مُحَمَّدًا بَرًّا حَنِيفًا ... رَسُولَ اللَّهِ شِيمَتُهُ الْوَفَاءُ
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي ... لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ

... [مسلم: ٢٤٩٠]. الوِقَاءُ: حِمَايَةٌ.

هل أنت إلا إصبع دميت؟

دَمِيَتْ إِصْبَعُ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ المَشَاهِدِ فَقَالَ:

«هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيتِ وَفِي سَبِيلِ اللهِ مَا لَقِيتِ؟»

[البخاري: ٢٨٠٢، ومسلم: ١٧٩٦].

المنشدون في الأسفار

كَانَ بَعْضُ ذَوِي الأَصْوَاتِ الحَسَنَةِ يُنْشِدُونَ فِي الأَسْفَارِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ.

اللهم لولا أنت ما اهتدينا:

وَمِنْ أُولَئِكَ: عَامِرُ بْنُ الأَكْوَعِ رضي الله عنه الَّذِي كَانَ يُنْشِدُ فِي المَسِيرِ إِلَى خَيْبَرٍ، «وَكَانَ عَامِرٌ رَجُلًا شَاعِرًا، فَنَزَلَ يَحْدُو بِالقَوْمِ يَقُولُ:

اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا»

[البخاري: ٤١٩٦، ومسلم: ١٨٠٢].

لا تكسر القوارير:

وَمِنْهُمْ: أَنْجَشَةُ رضي الله عنه؛ فَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ حَادٍ يُقَالُ لَهُ: أَنْجَشَةُ، وَكَانَ حَسَنَ الصَّوْتِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «رُوَيْدَكَ يَا أَنْجَشَةُ؛ لَا تَكْسِرِ القَوَارِيرَ» [البخاري: [illegible]، ومسلم: ٢٣٢٣/٧٣].

وَفِي رِوَايَةٍ: «ارْفُقْ يَا أَنْجَشَةُ - وَيْحَكَ - بِالْقَوَارِيرِ» [البخاري: ٦٢٠٩].
«الْحَادِي»: الْمُنْشِدُ. وَهَذَا مِنْ بَدِيعِ كَلَامِهِ ﷺ، إِذْ شَبَّهَ الْمَرْأَةَ فِي رِقَّتِهَا وَلَطَافَتِهَا بِالْقَارُورَةِ.

النَّبِيُّ ﷺ يَتَزَوَّجُ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

وَفِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ لِلْهِجْرَةِ تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَرْأَةَ الْعَابِدَةَ، وَالسَّيِّدَةَ الْمَاجِدَةَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ابْنَةَ عَمَّتِهِ أُمَيْمَةَ بِنْتِ عَبْدِالْمُطَّلِبِ. وَهِيَ الَّتِي قَالَ تَعَالَى عَنْهَا: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

فَكَانَتْ تَقُولُ مُفْتَخِرَةً: «زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ، وَزَوَّجَنِي اللَّهُ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ» [البخاري: ٧٤٢٠]. وَكَانَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَوَّلَ مَنْ تُوُفِّيَ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ نِسَائِهِ، وَقَدْ قَالَ ﷺ: «أَسْرَعُكُنَّ لَحَاقًا بِي أَطْوَلُكُنَّ يَدًا» [البخاري: ١٤٢٠، ومسلم: ٢٤٥٢].
فَتَبَيَّنَ أَنَّهَا الْمَقْصُودَةُ بِقَوْلِهِ ﷺ: «أَطْوَلُكُنَّ يَدًا» أَيْ: أَكْثَرُكُنَّ صَدَقَةً.

تَقُولُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «وَلَمْ أَرَ امْرَأَةً قَطُّ خَيْرًا فِي الدِّينِ مِنْ زَيْنَبَ، وَأَتْقَى لِلَّهِ، وَأَصْدَقَ حَدِيثًا، وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ، وَأَعْظَمَ صَدَقَةً، وَأَشَدَّ ابْتِذَالًا لِنَفْسِهَا فِي الْعَمَلِ الَّذِي تَصَدَّقُ بِهِ، وَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى» [مسلم: ٢٤٤٢]. «ابْتِذَالًا»: إِجْهَادًا.

وَلِيمَةُ الْعُرْسِ النَّبَوِيِّ:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: مَا أَوْلَمَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى شَيْءٍ مِنْ نِسَائِهِ مَا أَوْلَمَ عَلَى زَيْنَبَ؛ أَوْلَمَ بِشَاةٍ. [البخاري: ٥١٦٨، ومسلم: ١٤٢٨/٩٠]. وَفِي رِوَايَةٍ: فَأَشْبَعَ النَّاسَ خُبْزًا وَلَحْمًا. [البخاري: ٤٧٩٤].

طَعَامٌ مُبَارَكٌ:

قَدَّمَ النَّبِيُّ ﷺ -لَيْلَةَ زَوَاجِهِ بِزَيْنَبَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قِدْرًا فِيهَا شَيْءٌ مِنْ تَمْرٍ وَسَمْنٍ وَدَقِيقٍ، جَاءَهُ هَدِيَّةً مِنْ أُمِّ سُلَيْمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَوَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ عَلَى الطَّعَامِ وَدَعَا فِيهِ، وَقَرَأَ بِمَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ جَعَلَ يَدْعُو النَّاسَ عَشَرَةً عَشَرَةً يَأْكُلُونَ مِنْهَا، وَيَقُولُ لَهُمْ ﷺ: «اذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَلْيَأْكُلْ كُلُّ رَجُلٍ مِمَّا يَلِيهِ» [البخاري: ٥١٦٣ معلقًا، ومسلم: ١٤٢٨/٩٤].

فَأَكَلُوا مِنْهَا جَمِيعًا وَانْصَرَفُوا وَهِيَ مَلْأَى، وَكَانُوا زُهَاءَ ثَلَاثِمِائَةٍ. [مسلم: ١٤٢٨/٩٤].

النبي ﷺ مضيفا

كَانَ ﷺ يَحُثُّ أَصحَابَهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ عَلَى إِكْرَامِ الضَّيفِ وَيَقُولُ لَهُمْ: «مَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ» [البخاري: ٦٠١٨، ومسلم: ٤٧]. وَضَرَبَ الأُسْوَةَ الْحَسَنَةَ بِنَفْسِهِ ﷺ، فَكَانَ أَكْرَمَ النَّاسِ وَأَجْوَدَ الْخَلْقِ.

جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في ضيافة النبي ﷺ:

يَقُولُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فَأَخَذَ بِيَدِي، فَانطَلَقنَا حَتَّى أَتَى بَعضَ حُجَرِ نِسَائِهِ...، فَقَالَ: «هَلْ مِنْ غَدَاءٍ؟» فَقَالُوا: نَعَمْ، فَأُتِيَ بِثَلَاثَةِ أَقْرِصَةٍ...، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُرْصًا، فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَخَذَ قُرْصًا آخَرَ، فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيَّ، ثُمَّ أَخَذَ الثَّالِثَ، فَكَسَرَهُ بِاثْنَيْنِ، فَجَعَلَ نِصْفَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَنِصْفَهُ بَيْنَ يَدَيَّ، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ مِنْ أُدُمٍ؟» قَالُوا: لَا، إِلَّا شَيْءٌ مِنْ خَلٍّ، قَالَ: «هَاتُوهُ، فَنِعْمَ الأُدُمُ هُوَ» [مسلم: ٢٠٥٢/١٦٧].

المقداد وصاحباه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ في ضيافة النبي ﷺ:

عَنِ الْمِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: أَقْبَلْتُ أَنَا وَصَاحِبَانِ لِي، وَقَدْ ذَهَبَتْ أَسْمَاعُنَا وَأَبْصَارُنَا مِنَ الْجَهْدِ، فَأَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ، فَانْطَلَقَ بِنَا إِلَى أَهْلِهِ، فَإِذَا ثَلَاثَةُ أَعْنُزٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«احتلبوا هذا اللَّبَنَ بيننا»، فكُنَّا نحتلب، فيشرب كُلُّ إنسانٍ مِنَّا نصيبَهُ، ونَرفعُ لِلنَّبيِّ ﷺ نصيبَهُ. [مسلم: ٢٠٥٥].

المغيرة بن شعبة رضي الله عنه في ضيافة النبي ﷺ:

يقول رضي الله عنه: ضِفتُ النَّبيَّ ﷺ ذاتَ ليلةٍ، فأمر بجنبٍ فشوِيَ، وأخذَ الشَّفرةَ فجعلَ يحزُّ لِي بها مِنهُ. [أبو داود: ١٨٨، والنسائي في الكبرى: ٦٦٨١].

«الجنبُ»: جنبُ الشاة. «يحزُّ»: يقطع.

بيوت النبي ﷺ ليس فيها إلا الماء:

كانت تمرُّ به ﷺ أيامٌ يأتيه الضَّيفُ فلا يجدُ ما يُطعمُهُ بِهِ، إذ يبعثُ إلى نسائِهِ رضي الله عنهن فتقولُ كُلُّ واحدةٍ مِنهُنَّ: «ما معنا إلَّا الماءُ»، فيقولُ ﷺ: «مَن يُضيفُ هذا؟» فيتسابقُ الصَّحابةُ رضي الله عنهم لإكرامِهِ. [البخاري: ٣٧٩٨، ومسلم: ٢٠٥٤].

كما فعلَ أحدُ الأنصارِ مع زوجتِهِ رضي الله عنهما إذ قالَ لها: «أكرِمي ضيفَ رسولِ اللهِ ﷺ، فقالت: ما عندنا إلَّا قوتُ صِبياني، فقال: هيِّئي طعامَكِ، وأصبحي سِراجَكِ، ونوِّمي صِبيانَكِ إذا أرادوا عشاءً، فهيَّأت طعامَها، وأصبحت سِراجَها، ونوَّمت صبيانَها، ثُمَّ قامت كأنَّها تُصلِحُ سِراجَها فأطفأتهُ، فجعلا يُريانِهِ أنَّهما يأكُلانِ، فباتا طاويَينِ، فلمَّا أصبحَ غدا إلى رسولِ اللهِ ﷺ،

فَقَالَ: «ضَحِكَ اللهُ اللَّيْلَةَ مِنْ فَعَالِكُمَا» [البخاري: ٣٧٩٨، ومسلم: ٢٠٥٤].

«أصبحي»: أوقدي. «طاويين»: جائعين.

ضيافة في السفر من يد خير البشر ﷺ

وَهَذِهِ قِصَّةٌ بَدِيعَةٌ تُجَلِّي مَشَاهِدَ مِنْ رَوَائِعِ تَوَاضُعِهِ ﷺ، وَحُسْنِ أَخْلَاقِهِ، وَكَرِيمِ ضِيَافَتِهِ، وَدَلَائِلِ نُبُوَّتِهِ الْبَاهِرَةِ، وَمُعْجِزَاتِهِ الظَّاهِرَةِ؛ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثَلَاثِينَ وَمِائَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلْ مَعَ أَحَدٍ مِنْكُمْ طَعَامٌ؟»، فَإِذَا مَعَ رَجُلٍ صَاعٌ مِنْ طَعَامٍ أَوْ نَحْوُهُ، فَعُجِنَ، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ مُشْرِكٌ، مُشْعَانٌّ طَوِيلٌ، بِغَنَمٍ يَسُوقُهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَيْعًا أَمْ عَطِيَّةً؟»، أَوْ قَالَ: «أَمْ هِبَةً؟»، قَالَ: لَا بَلْ بَيْعٌ، فَاشْتَرَى مِنْهُ شَاةً، فَصُنِعَتْ، وَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِسَوَادِ الْبَطْنِ أَنْ يُشْوَى. وَايْمُ اللهِ، مَا فِي الثَّلَاثِينَ وَالْمِائَةِ إِلَّا قَدْ حَزَّ النَّبِيُّ ﷺ لَهُ حُزَّةً مِنْ سَوَادِ بَطْنِهَا، إِنْ كَانَ شَاهِدًا أَعْطَاهَا إِيَّاهُ، وَإِنْ كَانَ غَائِبًا خَبَأَ لَهُ، فَجَعَلَ مِنْهَا قَصْعَتَيْنِ، فَأَكَلُوا أَجْمَعُونَ وَشَبِعْنَا، فَفَضَلَتِ الْقَصْعَتَانِ، فَحَمَلْنَاهُ عَلَى الْبَعِيرِ. [البخاري: ٢٦١٨، ومسلم: ٢٠٥٦]. «مُشْعَانٌّ»: ثَائِرُ الرَّأْسِ. «سَوَادُ الْبَطْنِ»: كُلُّ مَا فِي الْبَطْنِ مِنْ كَبِدٍ وَغَيْرِهِ. «الْقَصْعَةُ»: إِنَاءٌ يُوضَعُ فِيهِ الطَّعَامُ.

النبيُّ ﷺ ضيفًا

مِنْ أَجْمَلِ مَا كَانَ يَسْعَدُ بِهِ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ دُخُولُهُ ﷺ مَنَازِلَهُمْ، وَالتَّشَرُّفُ بِخِدْمَتِهِ، وَالْقِيَامُ بِوَاجِبِ ضِيَافَتِهِ، وَقَدْ عَمَرَتْ سِيرَتُهُ الشَّرِيفَةُ ﷺ بِكَثِيرٍ مِنْ تِلْكَ الاسْتِضَافَاتِ الْكَرِيمَةِ، وَالدَّعَوَاتِ الْعَظِيمَةِ.

النبيُّ ﷺ في ضيافة أبي طلحة وأم سليم رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا:

حَظِيَ هَذَا الْبَيْتُ الْمُبَارَكُ بِمَوَاقِفَ جَمِيلَةٍ وَزِيَارَاتٍ مُبَارَكَةٍ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، يَقُولُ أَنَسٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «فَدَخَلَ عَلَيْنَا دَارَنَا، فَحَلَبْنَا لَهُ مِنْ شَاةٍ دَاجِنٍ، وَشِيبَ لَهُ مِنْ بِئْرٍ فِي الدَّارِ، فَشَرِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ» [البخاري: ٢٣٥٢، ومسلم: ٢٠٢٩/١٢٥]. «دَاجِنٍ»: الَّتِي تُرَبَّى فِي الْبُيُوتِ، «شِيبَ»: خُلِطَ. وَعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «دَخَلَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ عِنْدَنَا، فَعَرِقَ، وَجَاءَتْ أُمِّي بِقَارُورَةٍ، فَجَعَلَتْ تَسْلِتُ الْعَرَقَ فِيهَا، فَاسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ؟!» قَالَتْ: هَذَا عَرَقُكَ نَجْعَلُهُ فِي طِيبِنَا، وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطِّيبِ» [البخاري: ٦٢٨١، ومسلم: ٢٣٣١].

«فَقَالَ عِنْدَنَا»: أَيْ: نَامَ نَوْمَةَ الْقَيْلُولَةِ. «تَسْلِتُ الْعَرَقَ»: أَيْ تَأْخُذُهُ وَتَجْمَعُهُ.

النبيُّ ﷺ في ضيافة عتبان بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

طَلَبَ عِتْبَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَأْتِيَهُ لِيُصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ

فَيَتَّخِذَهُ مُصَلًّى، فَأَتَاهُ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ؟» فَصَلَّى بِأَصْحَابِهِ رضي الله عنهم فِي بَيْتِ عِتْبَانَ رضي الله عنه، ثُمَّ قَدَّمَ لَهُمْ طَعَامًا، فَأَكَلَ النَّبِيُّ ﷺ، وَأَكَلَ أَصْحَابُهُ رضي الله عنهم. [البخاري: ٥٤٠١، ومسلم: ٣٣ (١/٤٥٥)].

النبي ﷺ في ضيافة خياط:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: إِنَّ خَيَّاطًا دَعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِطَعَامٍ صَنَعَهُ، فَذَهَبْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى ذَلِكَ الطَّعَامِ، فَقَرَّبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خُبْزًا وَمَرَقًا، فِيهِ دُبَّاءٌ وَقَدِيدٌ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَتَتَبَّعُ الدُّبَّاءَ مِنْ حَوَالَيِ الْقَصْعَةِ، فَلَمْ أَزَلْ أُحِبُّ الدُّبَّاءَ مِنْ يَوْمِئِذٍ. [البخاري: ٢٠٩٢، ومسلم: ٢٠٤١]. «الدُّبَّاءُ»: الْقَرْعُ، «الْقَدِيدُ»: اللَّحْمُ الْمُمَلَّحُ الْمُجَفَّفُ.

النبي ﷺ في ضيافة أبي شعيب رضي الله عنه:

كَانَ لِأَبِي شُعَيْبٍ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه غُلَامٌ لَحَّامٌ، فَقَالَ لَهُ: «اصْنَعْ لِي طَعَامَ خَمْسَةٍ لَعَلِّي أَدْعُو النَّبِيَّ ﷺ خَامِسَ خَمْسَةٍ، وَأَبْصَرَ فِي وَجْهِ النَّبِيِّ ﷺ الْجُوعَ، فَدَعَاهُ فَتَبِعَهُمْ رَجُلٌ لَمْ يُدْعَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ هَذَا قَدِ اتَّبَعَنَا، أَتَأْذَنُ لَهُ؟»، قَالَ: نَعَمْ» [البخاري: ٢٤٥٦، مسلم ٢٠٣٦]. «اللَّحَّامُ»: بَائِعُ اللَّحْمِ.

غَزْوَةُ بَنِي الْـمُصْطَلِقِ (الْـمُرَيْسِيعِ)

كَانَتْ هَذِهِ الْغَزْوَةُ فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ، وَذَلِكَ حِينَمَا عَلِمَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ بَنِي الْمُصْطَلِقِ يُعِدُّونَ الْعُدَّةَ، وَيُؤَلِّبُونَ مَنْ حَوْلَهُمْ لِحَرْبِهِ ﷺ، فَبَادَرَ بِالزَّحْفِ عَلَيْهِمْ، وَأَلْحَقَ بِهِمْ هَزِيمَةً كَبِيرَةً، فَرَّقَتْ جُمُوعَهُمْ، وَبَثَّتِ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ. وَكَانَ مِمَّنْ وَقَعَ فِي السَّبْيِ «ابْنَةُ سَيِّدِهِمْ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ» [البخاري: ٢٥٤١، ومسلم: ١٧٣٠].

«بَنُو الْمُصْطَلِقِ»: إِحْدَى قَبَائِلِ خُزَاعَةَ يَسْكُنُونَ فِي مَوْطِنٍ يُسَمَّى «قُدَيْدًا» بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ يَتْبَعُ مُحَافَظَةَ خُلَيْصٍ حَالِيًّا، وَ«الْمُرَيْسِيعُ»: مَوْضِعٌ بَيْنَ قُدَيْدٍ وَالسَّاحِلِ، «السَّبْيُ»: الْأَسْرُ.

الْمُنَافِقُونَ وَإِثَارَةُ الْفِتَنِ:

حَدَثَ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ عِدَّةُ أَحْدَاثٍ، مِنْهَا: مُحَاوَلَةُ الْمُنَافِقِينَ إِثَارَةَ الْفِتْنَةِ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتَتِلُونَ، فَقَالَ ﷺ: «دَعُوهَا؛ فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ» [البخاري: ٤٩٠٥، ومسلم: ٦٣/٢٥٨٤].

أَيْ: الْعَصَبِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ.

النَّبِيُّ ﷺ وَمُرَاعَاةُ الرَّأْيِ الْعَامِّ:

كَانَ عَبْدُاللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ رَأْسًا فِي هَذِهِ الْفِتْنَةِ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ،

فَقالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعْهُ، لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ» [البخاري: ٤٩٠٥، ومسلم: ٢٥٨٤/٦٣].

وَهَذَا مِنْ بَدِيعِ حِكْمَتِهِ ﷺ، وَجَمِيلِ صَبْرِهِ، وَكَرِيمِ عَفْوِهِ، وَحِرْصِهِ عَلَى مُرَاعَاةِ الرَّأْيِ العَامِّ العَالَمِيِّ.

أعظم النساء بركة على قومها:

لَمَّا وَقَعَتْ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الحَارِثِ رضي الله عنها فِي السَّبْيِ عَرَضَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا فَقَبِلَتْ، فَلَمَّا رَأَى المُسْلِمُونَ ذَلِكَ أَعْتَقُوا كُلَّ مَنْ كَانَ بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الأَسْرَى؛ إِجْلَالًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، بَعْدَ أَنْ أَضْحَى القَوْمُ أَصْهَارَهُ ﷺ. تَقُولُ عَائِشَةُ رضي الله عنها: «مَا رَأَيْنَا امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً عَلَى قَوْمِهَا مِنْهَا، أُعْتِقَ فِي سَبَبِهَا مِائَةُ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي المُصْطَلِقِ» [أبو داود: ٣٩٣١].

الإفك المبين على أم المؤمنين رضي الله عنها

مِنْ شَنَائِعِ المُنَافِقِينَ الدَّنِيئَةِ: إِشَاعَةُ الفِرْيَةِ العَظِيمَةِ عَلَى أُمِّ المُؤْمِنِينَ الطَّاهِرَةِ عَائِشَةَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنهما، وَهِيَ جَرِيمَةُ الإِفْكِ الَّتِي سَعَوْا فِي افْتِرَائِهَا وَالتَّرْوِيجِ لَهَا؛ لِلنَّيْلِ مِنْ شَرَفِهَا رضي الله عنها، وَكَانَتْ تِلْكَ الحَادِثَةُ مِنْ أَشَدِّ المَصَائِبِ

الَّتِي مَرَّتْ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَزَوْجَتِهِ الطَّاهِرَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، الَّتِي بَكَتْ حَتَّى ظَنَّتْ أَنَّ الْبُكَاءَ صَادِعٌ كَبِدَهَا. [البخاري: ٤١٤١، ومسلم: ٢٧٧٠].

وَقَدْ جَسَّدَتْ لَنَا رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مَشَاهِدَ تِلْكَ الْمُعَانَاةِ فِي رِوَايَةٍ أَلِيمَةٍ وَقِصَّةٍ حَزِينَةٍ. [البخاري: ٤٦٩٠، ومسلم: ٢٧٧٠].

وَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فِي النَّاسِ خَطِيبًا يَشْكُو إِلَى الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَذَى الْمُنَافِقِينَ وَكَيْدَهُمْ، وَيُثْنِي عَلَى زَوْجَتِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَائِلًا: «مَا تُشِيرُونَ عَلَيَّ فِي قَوْمٍ يَسُبُّونَ أَهْلِي؟ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُوءٍ قَطُّ» [البخاري: ٧٣٧٠، ومسلم: ٢٧٧٠/٥٧].

وَقَدْ تَنَزَّلَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ يَرُدُّ ذَلِكَ الْإِفْكَ الْمُبِينَ، وَيُبَرِّئُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وَيُخَلِّدُ طُهْرَهَا، وَيُؤَكِّدُ بَرَاءَتَهَا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: ١١، ١٢]. وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مُبَشِّرًا وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، أَمَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ بَرَّأَكِ» [البخاري: ٤٧٥٠، ومسلم: ٢٧٧٠].

غزوة الأحزاب (الخندق)

فِي السَّنَةِ الخَامِسَةِ كَانَتْ هَذِهِ الغَزْوَةُ، وَهِيَ مِنْ أَشَقِّ الغَزَوَاتِ عَلَى المُسْلِمِينَ، إِذْ تَآمَرَتْ جُمُوعُ الأَعْدَاءِ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَتَعَاهَدَ اليَهُودُ وَالمُشْرِكُونَ وَبَعْضُ الأَعْرَابِ عَلَى اسْتِئْصَالِ دَوْلَةِ المُسْلِمِينَ، وَمُهَاجَمَتِهِمْ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ، وَاجْتَمَعَ لِذَلِكَ آلَافُ المُقَاتِلِينَ. عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: ١٠]، قَالَتْ: كَانَ ذَاكَ يَوْمَ الخَنْدَقِ. [البخاري: ٤١٠٣، ومسلم: ٣٠٢٠].

النبيُّ ﷺ يحفر الخندق مع أصحابه رضي الله عنهم:

كَانَ حَفْرُ الخَنْدَقِ - بِفَضْلِ اللهِ تَعَالَى - الخُطَّةَ المُحْكَمَةَ لِحِمَايَةِ المَدِينَةِ، الَّتِي أَبْطَلُوا بِهَا تَآمُرَ الأَعْدَاءِ.

وَقَدْ شَارَكَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ رضي الله عنهم حَفْرَ الخَنْدَقِ، فَحَمَلَ التُّرَابَ وَالحِجَارَةَ وَاللَّبِنَ مَعَهُمْ، وَكَانَ ﷺ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ يَرْبِطُ عَلَى بَطْنِهِ الشَّرِيفِ الحَجَرَ مِنَ الجُوعِ. [البخاري: ٤١٠١].

وَكَانَ ﷺ يَرْتَجِزُ بِرَجَزِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ رضي الله عنه:

«اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا ... وَثَبِّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا

إِنَّ الْأَعْدَاءَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا ... إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا»

يَرْفَعُ بِهَا صَوْتَهُ. [البخاري: ٣٠٣٤، ومسلم: ١٨٠٣]. «يَرْتَجِزُ»: يُنْشِدُ.

وَكَانَ الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم يَعْمَلُونَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي صَبْرٍ وَجِدٍّ وَاجْتِهَادٍ «فَلَمَّا رَأَى مَا بِهِمْ مِنَ النَّصَبِ وَالْجُوعِ، قَالَ:

«اللَّهُمَّ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَهْ ... فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَهْ»

فَقَالُوا مُجِيبِينَ لَهُ:

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدَا ... عَلَى الْجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدَا»

[البخاري: ٢٨٣٤، ومسلم: ١٨٠٥].

مِنْ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ فِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ:

فِي أَثْنَاءِ حَفْرِ الْخَنْدَقِ عَرَضَتْ لِلصَّحَابَةِ رضي الله عنهم صَخْرَةٌ شَدِيدَةٌ لَمْ تُؤَثِّرْ فِيهَا الْمَعَاوِلُ، فَأَخْبَرُوا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «أَنَا نَازِلٌ» ... فَأَخَذَ ﷺ الْمِعْوَلَ فَضَرَبَ الصَّخْرَةَ، فَعَادَتْ كَثِيبًا أَهْيَلَ. [البخاري: ٤١٠١].

«كَثِيبٌ أَهْيَلُ»: رَمْلٌ غَيْرُ مُتَمَاسِكٍ.

النبيُّ ﷺ وأصحابُهُ رضي الله عنهم في ضيافة جابر رضي الله عنه:

لَمْ يَصبِرْ جَابِرُ بنُ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما عَلَى مَا رَآهُ مِنْ جُوعِ النَّبِيِّ ﷺ أيَّامَ حَفرِ الخَندَقِ، فَذَهَبَ إِلَى امرَأتِهِ وَأمَرَهَا أنْ تُهَيِّئَ طَعَامًا، وَدَعَا النَّبِيَّ ﷺ وَنَفرًا مِنْ أصحَابِهِ رضي الله عنهم، لَكِنَّهُ فُوجِئَ بِالنَّبِيِّ ﷺ يَدْعُو أهْلَ الخَندَقِ كُلَّهُمْ عَلَى ذَلِكَ الطَّعَامِ القَلِيلِ؛ لِتَظهَرَ مُعجِزَةٌ مِنْ مُعجِزَاتِهِ ﷺ، وَآيَةٌ مِنْ آيَاتِ نُبُوَّتِهِ؛ حَيْثُ أكَلَ مِنهُ أكثَرُ مِنْ ألفِ صَحَابِيٍّ، وَبَقِيَ كَمَا هُوَ لَمْ يَنقُصْ.

[البخاري: ٤١٠١، ومسلم: ٢٠٣٩].

رفيقي في الجنة:

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَومَ الأحزَابِ فِي لَيلَةٍ شَدِيدَةِ الرِّيحِ وَالبَردِ: «ألَا رَجُلٌ يَأتِينَا بِخَبَرِ القَومِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَومَ القِيَامَةِ؟» وَرَدَّدَ ذَلِكَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «قُمْ يَا حُذَيفَةُ». فَبَادَرَ رضي الله عنه بِالامتِثَالِ وَأدَّى المُهِمَّةَ بِدِقَّةٍ وَنَجَاحٍ، فَلَمَّا عَادَ ألبَسَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَضْلَ عَبَاءَتِهِ، وَنَامَ فِيهَا حَتَّى الصَّبَاحِ. [مسلم: ١٧٨٨]. «فَضْلُ عَبَاءَتِهِ»: مَا زَادَ مِنهَا.

النبيُّ ﷺ يدعو على الأحزاب:

دَعَا النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الأحزَابِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ مُنزِلَ الكِتَابِ،

سَرِيعَ الْحِسَابِ، اللَّهُمَّ اهْزِمِ الأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ» [البخاري: ٢٩٣٣، ومسلم: ١٧٤٢/٢٠]. وَفِي رِوَايَةٍ: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ» [البخاري: ٢٩٣٣، ومسلم: ١٧٤٢/٢١]. فَاسْتَجَابَ اللهُ ﷻ دُعَاءَهُ ﷺ.

هزيمة الأحزاب:

أَعَزَّ اللهُ تَعَالَى جُنْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ، وَكَفَى الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ؛ وَهَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ أَنْهَكَتْ عَزَائِمَهُمْ، وَفَرَّقَتْ جُمُوعَهُمْ، وَقَالَ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٩]، وَقَالَ ﷻ: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥].

توحيد وثناء:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، أَعَزَّ جُنْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَغَلَبَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ، فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ» [البخاري: ٤١١٤، ومسلم: ٢٧٢٤].

بنو قريظة ينكثون العهد

نَكَثَ يَهُودُ بَنِي قُرَيْظَةَ عَهْدَهُمْ مَعَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَحْلَكِ الظُّرُوفِ يَومَ الْخَنْدَقِ، وَزَادَ ذَلِكَ مِنْ تَفَاقُمِ الْخَطَرِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ.

لكل نبيٍّ حواريٌّ:

فِي خِضَمِّ مَخَاطِرِ الْأَحْزَابِ وَتَرَبُّصِهِمْ كَانَ ﷺ يَتَحَسَّسُ أَخْبَارَ بَنِي قُرَيْظَةَ وَيُتَابِعُ تَحَرُّكَاتِهِمْ، عَنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ يَأْتِ بَنِي قُرَيْظَةَ فَيَأْتِينِي بِخَبَرِهِمْ؟» فَانْطَلَقْتُ، فَلَمَّا رَجَعْتُ جَمَعَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَوَيْهِ فَقَالَ: «فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي»

[البخاري: ٣٧٢٠، ومسلم: ٢٤١٦].

وَقَالَ ﷺ يَومَ الْأَحْزَابِ: «مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟» فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا ...، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيَّ، وَإِنَّ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ»

[البخاري: ٢٨٤٦، ومسلم: ٢٤١٥]. «الْحَوَارِيُّ»: الْخَاصَّةُ مِنَ الْمُنَاصِرِينَ.

الملائكة عليهم السلام لم يضعوا أسلحتهم:

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْخَنْدَقِ، وَوَضَعَ السِّلَاحَ وَاغْتَسَلَ، أَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام فَقَالَ: قَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ؟ وَاللهِ، مَا وَضَعْنَاهُ، فَاخْرُجْ إِلَيْهِمْ، قَالَ: «فَإِلَى أَيْنَ؟»

قَالَ: هَا هُنَا، وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ» [البخاري: ٤١١٧، ومسلم: ١٧٦٩].

حصار وانتصار:

بَعْدَ أَنْ هَزَمَ اللَّهُ ﷻ الأَحْزَابَ كَانَ لَابُدَّ مِنْ وَضْعِ حَدٍّ لِخَطَرِ بَنِي قُرَيْظَةَ، فَحَاصَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ لَيْلَةً حَتَّى اسْتَسْلَمُوا، وَحَكَّمَ فِيهِمْ ﷺ حَلِيفَهُمْ قَبْلَ الإِسْلَامِ: الصَّحَابِيَّ الجَلِيلَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ رضي الله عنه، الَّذِي قَالَ: فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ المُقَاتِلَةُ، وَأَنْ تُسْبَى النِّسَاءُ وَالذُّرِّيَّةُ، وَأَنْ تُقْسَمَ أَمْوَالُهُمْ. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ المَلِكِ» [البخاري: ٣٠٤٣، ومسلم: ١٧٦٨].

أَيْ: بِحُكْمِ اللَّهِ ﷻ، وَهُوَ حُكْمٌ لِخِيَانَتِهِمْ لَا لِدِيَانَتِهِمْ.

رجل اهتز لموته عرش الرحمن

أُصِيبَ سَعْدٌ رضي الله عنه يَوْمَ الخَنْدَقِ، رَمَاهُ رَجُلٌ مِنَ المُشْرِكِينَ فِي الأَكْحَلِ، فَضَرَبَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ خَيْمَةً فِي المَسْجِدِ؛ لِيَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ، ثُمَّ انْفَجَرَ جُرْحُهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَمَاتَ رضي الله عنه.

[البخاري: ٤١٢٢، ومسلم: ١٧٦٩/٦٧].

وَقَدْ حَزِنَ النَّبِيُّ ﷺ لِمَوْتِهِ رضي الله عنه، وقَالَ عَنْهُ ﷺ: «اهْتَزَّ الْعَرْشُ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ» [البخاري: ٣٨٠٣، ومسلم: ٢٤٦٦/١٢٤].

«الأَكْحَلُ»: شِرْيَانٌ فِي ذِرَاعِ الإِنْسَانِ إِذَا قُطِعَ نَزَفَ حَتَّى الْمَوْتِ.

النَّبِيُّ ﷺ يُرَحِّبُ بِوَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ

بَادَرَ وَفْدُ عَبْدِ الْقَيْسِ بِالْقُدُومِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي شَوْقٍ وَاهْتِمَامٍ، فَفَازُوا بِالتَّرْحِيبِ وَالإِكْرَامِ، وَعَلَّمَهُمْ ﷺ حَقِيقَةَ الإِيمَانِ، وَرَكَائِزَ الإِسْلَامِ، وَقَالَ ﷺ: «مَرْحَبًا بِالْوَفْدِ الَّذِينَ جَاؤُوا غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَدَامَى» [البخاري: ٥٣ و٦١٧٦، ومسلم: ١٧/٢٤].

«عَبْدُ الْقَيْسِ»: قَبِيلَةٌ تَسْتَوْطِنُ شَرْقَ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ، «خَزَايَا»: أَذِلَّاءُ.

الحِلْمُ وَالأَنَاةُ:

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِسَيِّدِ عَبْدِ الْقَيْسِ رضي الله عنه: «إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ» [مسلم: ١٨]. «الأَنَاةُ»: الْوَقَارُ وَالصَّبْرُ.

أَوَّلُ جُمُعَةٍ بَعْدَ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: «أَوَّلُ جُمُعَةٍ جُمِّعَتْ، بَعْدَ جُمُعَةٍ جُمِّعَتْ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فِي مَسْجِدِ عَبْدِ الْقَيْسِ بِجُوَاثَى» [البخاري: ٤٣٧١]. «جُوَاثَى»: بَلْدَةٌ بِمُحَافَظَةِ الأَحْسَاءِ شَرْقَ الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ.

خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ

يَوْمُ الجُمُعَةِ سَيِّدُ الأَيَّامِ، وَهُوَ يَوْمٌ عَظِيمٌ هَدَى اللهُ ﷻ المُسْلِمِينَ إِلَيْهِ بَعْدَ اخْتِلَافِ الأُمَمِ فِيهِ. [البخاري: ٨٧٦، ومسلم: ٨٥].

قال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩].

وَقَالَ ﷺ: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الجُمُعَةِ» [مسلم: ٨٥٤]. وَفِي رِوَايَةٍ: «فِيهِ سَاعَةٌ، لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى شَيْئًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ» [البخاري: ٩٣٥، ومسلم: ٨٥٢].

آدَابٌ نَبَوِيَّةٌ لِيَوْمِ الجُمُعَةِ :

كَانَ ﷺ يَأْمُرُ بِالاغْتِسَالِ وَالتَّطَيُّبِ وَالتَّزَيُّنِ لِيَوْمِ الجُمُعَةِ، وَحُسْنِ الاسْتِمَاعِ وَالإِنْصَاتِ لِلْخَطِيبِ، وَكَانَتْ خُطَبُهُ ﷺ مَوَاعِظَ مُوجَزَةً، وَتَوْجِيهَاتٍ مُخْتَصَرَةً، تَشْتَمِلُ عَلَى التَّذْكِيرِ بِاللهِ ﷻ وَتَعْلِيمِ النَّاسِ أُمُورَ دِينِهِمْ. [البخاري: ٨٨٣، ٩٢٦، ومسلم: ٨٥].

أكثروا عليَّ من الصلاة فيه :

قَالَ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ» [أبو داود: ١٠٤٧، والنسائي: ١٣٧٤، وابن ماجه: ١٠٨٥].

سيدُ بني حَنيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُسلمُ

كَانَتِ السَّنَةُ السَّادِسَةُ مَيْدَانًا لِبَعْضِ السَّرَايَا وَالْغَزَوَاتِ، مِنهَا: «سَرِيَّةُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ»، الَّتِي أَسَرُوا فِيهَا ثُمَامَةَ بْنَ أُثَالٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سَيِّدَ بَنِي حَنِيفَةَ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ أَسْلَمَ بِفَضْلِ اللَّهِ ﷻ، ثُمَّ بِمَا رَآهُ مِنْ جَمِيلِ أَخْلَاقِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَعِبَادَتِهِمْ لِرَبِّهِمْ ﷻ، وَتَآلُفِ قُلُوبِهِمْ، وَبَعْدَ مُضِيِّ ثَلَاثِ لَيَالٍ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ». فَانْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ» [البخاري: ٤٣٧٢، ومسلم: ١٧٦٤]. «بَنُو حَنِيفَةَ»: قَبِيلَةٌ كَبِيرَةٌ تَسْتَوْطِنُ الْيَمَامَةَ وَسَطَ نَجْدٍ.

«النَّخْلُ»: الْمَاءُ السَّائِلُ.

مِن الكراهية والبغضاء إلى المحبة والولاء:

لَمَّا أَسْلَمَ ثُمَامَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «يَا مُحَمَّدُ، وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ البِلَادِ إِلَيَّ...»

[البخاري: ٤٣٧٢، ومسلم: ١٧٦٤].

عبدالله بن عتيك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مهمة خاصة

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ أَبُو رَافِعٍ اليَهُودِيُّ، وَهُوَ مِنْ كِبَارِ اليَهُودِ، الَّذِينَ سَخَّرُوا جُهُودَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ فِي إِيذَاءِ النَّبِيِّ ﷺ وَالتَّأْلِيبِ عَلَيْهِ. وَقَد قَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِتِلْكَ المُهِمَّةِ بِنَجَاحٍ، عَبْرَ خُطَّةٍ مُحْكَمَةٍ، ثُمَّ عَادَ مُبَشِّرًا بِنَجَاحِهَا.

[البخاري: ٤٠٣٨ و ٤٠٣٩].

أنهار الهداية

ثُمَّ تَتَابَعَتِ السَّرَايَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ لِبَثِّ رِسَالَةِ الحَقِّ، وَنَشْرِ هِدَايَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَنْحَاءِ الجَزِيرَةِ العَرَبِيَّةِ، فَازْدَهَرَت بِهَا النُّفُوسُ، وَاسْتَنَارَت بِهَا العُقُولُ، وزَكَتْ بِهَا الأَرْوَاحُ.

قِصَّةُ الْحُدَيْبِيَةِ

وَفِي تِلْكَ السَّنَةِ، فِي يَوْمِ الاِثْنَيْنِ، غُرَّةِ ذِي الْقَعْدَةِ، كَانَتِ انْطِلَاقَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي شَوْقٍ كَبِيرٍ لِلظَّفَرِ بِرُؤْيَةِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَالطَّوَافِ بِهِ، بَعْدَ طُولِ فِرَاقٍ، وَمَعَهُ أَلْفٌ وَأَرْبَعمِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ رضي الله عنهم. [البخاري: ٤١٨٠، ومسلم: ١٨٥٦].

وَفِي رِوَايَةٍ: «خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً» [البخاري: ٣٥٧٦، ومسلم: ١٨٥٦/٧٢]. وَلَكِنَّ قُرَيْشًا أَصَرَّتْ عَلَى مَنْعِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ دُخُولِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ. وَقَدْ حَاوَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِفْهَامَهُمْ أَنَّهُ مَا جَاءَ لِحَرْبٍ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ زِيَارَةَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ.

يَقُولُ ﷺ: «إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ» [البخاري: ٢٧٣١، ٢٧٣٢]. وَلَمْ تُفْلِحْ تِلْكَ الْمُحَاوَلَاتُ فِي إِقْنَاعِ الْمُشْرِكِينَ بِالسَّمَاحِ لِلْمُسْلِمِينَ بِأَدَاءِ الْعُمْرَةِ، فَخَيَّمَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ رضي الله عنهم بِالْحُدَيْبِيَةِ. «الحُدَيْبِيَةُ» مَوْضِعٌ قَرِيبٌ مِنْ مَكَّةَ، يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِالشُّمَيْسِيِّ.

تَعْظِيمُ حُرُمَاتِ اللهِ ﷻ:

قَالَ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً

يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا» [البخاري: ٢٧٣١، ٢٧٣٢].

«خُطَّةً»: طَرِيقَةً. «حُرُمَاتِ اللهِ»: البَيْتُ الحَرَامُ وَالشَّهْرُ الحَرَامُ.

ما خلأت القصواء:

القَصْوَاءُ نَاقَةُ النَّبِيِّ ﷺ، تَصَدَّرَتْ قَائِمَةَ الرَّوَاحِلِ النَّبَوِيَّةِ، وَارْتَبَطَ اسْمُهَا بِمَوَاقِفَ إِيمَانِيَّةٍ، وَمَشَاهِدَ تَارِيخِيَّةٍ، وَمِنْ ذَلِكَ: أَنَّهَا كَانَتْ رَاحِلَةَ النَّبِيِّ ﷺ فِي قِصَّةِ الحُدَيْبِيَةِ، وَكَانَ لَهَا شَأْنٌ عَجِيبٌ؛ إِذْ بَرَكَتْ عَنْ دُخُولِ الحَرَمِ، فَقَالَ النَّاسُ: خَلَأَتِ القَصْوَاءُ، خَلَأَتِ القَصْوَاءُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا خَلَأَتِ القَصْوَاءُ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الفِيلِ» [البخاري: ٢٧٣١، ٢٧٣٢]. «خَلَأَتْ»: سَتَعْصَتْ عَلَى صَاحِبِهَا. «حَبَسَهَا حَابِسُ الفِيلِ» أَيْ: مُنِعَتْ مِنَ الدُّخُولِ كَمَا مُنِعَ فِيلُ أَبْرَهَةَ.

عُثْمَانُ رضي الله عنه وَرِسَالَةُ الأَمَانِ:

أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رضي الله عنه إِلَى قُرَيْشٍ «يُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ لِحَرْبٍ، وَأَنَّهُ جَاءَ زَائِرًا لِهَذَا البَيْتِ، مُعَظِّمًا لِحُرْمَتِهِ» [أحمد: ١٨٩١١]. فَذَهَبَ إِلَيْهِمْ رضي الله عنه وَأَبْلَغَهُمْ رِسَالَةَ النَّبِيِّ ﷺ. يَقُولُ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما: «لَوْ كَانَ أَحَدٌ أَعَزَّ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ عُثْمَانَ

لَبَعَثَهُ مَكَانَهُ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُثْمَانَ، وَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ بَعْدَمَا ذَهَبَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ» [البخاري: ٣٦٩٨].

بيعة الرضوان:

دَعَا النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ رضي الله عنهم، وَبَايَعَهُمْ عَلَى الْمَوْتِ، فَبَايَعُوهُ جَمِيعًا. [البخاري: ٤١٦٩، ومسلم: ١٨٦٠]. وَسُمِّيَتْ هَذِهِ الْبَيْعَةُ: «بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ» [البخاري: ٤١٥٠].

النبي ﷺ يبايع عن عثمان رضي الله عنه:

لَمَّا لَمْ يَشْهَدْ عُثْمَانُ رضي الله عنه الْبَيْعَةَ وَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى يَدِهِ الْيُسْرَى، وَقَالَ: «هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ» [البخاري: ٣٦٩٨].

خير أهل الأرض:

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ رضي الله عنهم يَوْمَ «بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ»: «أَنْتُمُ الْيَوْمَ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ» [البخاري: ٤١٥٤، ومسلم: ١٨٥٦/٧١].

يد الله ﷻ فوق أيديهم:

تَنَزَّلَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ يَصِفُ أُولَئِكَ الْعُظَمَاءَ، وَيُبَشِّرُ بِرِضْوَانِ اللَّهِ ﷻ عَلَيْهِمْ، وَثَنَائِهِ عَلَى بَيْعَتِهِمْ، قَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]،

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

مُفَاوَضَاتُ السَّلامِ وَإِبْرَامُ الصُّلْحِ:

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ حَرِيصًا عَلَى حُرْمَةِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَتَجَنُّبِ الْقِتَالِ فِيهِ، وَبَعْدَ رِسَالَتِهِ ﷺ إِلَى قُرَيْشٍ نَصَحَهُمْ عُقَلَاؤُهُمْ بِالتَّفَاوُضِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ. [البخاري: ٢٧٣١، ٢٧٣٢].

فَجَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ: هَاتِ، اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا، فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ الْكَاتِبَ. [البخاري: ٢٧٣١، ٢٧٣٢].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ مُعْتَمِرًا، فَحَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ، فَنَحَرَ هَدْيَهُ، وَحَلَقَ رَأْسَهُ بِالْحُدَيْبِيَةِ، وَقَاضَاهُمْ عَلَى أَنْ يَعْتَمِرَ الْعَامَ الْمُقْبِلَ، وَلَا يَحْمِلَ سِلَاحًا عَلَيْهِمْ إِلَّا سُيُوفًا، وَلَا يُقِيمَ بِهَا إِلَّا مَا أَحَبُّوا. [البخاري: ٢٧٠١]. وَكَانَ مِنْ بُنُودِ الصُّلْحِ: «وَعَلَى أَنَّهُ لَا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا» [البخاري: ٢٧٣١، ٢٧٣٢]. وَ«أَنَّ مَنْ جَاءَ مِنْكُمْ لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكُمْ» [مسلم: ١٧٨٤]. فَقَاضَاهُمْ وَعَاهَدَهُمْ وَاتَّفَقَ مَعَهُمْ.

عليٌ رضي الله عنه يكتب الوثيقة:

عَنِ الْبَرَاءِ رضي الله عنه قَالَ: كَتَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الصُّلْحَ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ، فَكَتَبَ: «هَذَا مَا كَاتَبَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ»، فَقَالُوا: لَا تَكْتُبْ: «رَسُولُ اللَّهِ»، فَلَوْ نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ لَمْ نُقَاتِلْكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَلِيٍّ: «امْحُهُ»، فَقَالَ: مَا أَنَا بِالَّذِي أَمْحَاهُ، فَمَحَاهُ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ. [البخاري: ٢٦٩٨، ومسلم: ١٧٨٣].

انبهار بالمحبة:

بُهِرَ مُفَاوِضُو الْمُشْرِكِينَ مِمَّا رَأَوْهُ مِنْ مَحَبَّةِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَمِنْ إِجْلَالِهِمْ لَهُ. يَقُولُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ - مَنْدُوبُ قُرَيْشٍ - بَعْدَ أَنْ رَجَعَ إِلَيْهِمْ: أَيْ قَوْمِ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا....، إِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ. [البخاري: ٢٧٣١، ٢٧٣٢]. «إِنْ رَأَيْتُ»: مَا رَأَيْتُ، «ابْتَدَرُوا»: تَسَارَعُوا، «يُحِدُّونَ»: يُدَقِّقُونَ.

يا رسول الله، ألسنا على الحق؟!

حَزِنَ الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم بَعْدَ أَنْ مُنِعُوا مِنْ دُخُولِ مَكَّةَ، وَغَضِبُوا مِنْ عِنَادِ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ وَتَعَنُّتِهِمْ، وَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ: «أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ؟!... فَعَلَامَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا؟!» فَقَالَ ﷺ: «يَابْنَ الْخَطَّابِ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا...» [البخاري: ٣١٨٢، ومسلم: ١٧٨٥].

النبي ﷺ يشاور أم سلمة رضي الله عنها:

تَأَلَّمَ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ حُرِمُوا مِنْ دُخُولِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَلِمَا كَانَ مِنْ بُنُودٍ فِي صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ رَأَوْا فِي ظَاهِرِهَا ظُلْمًا وَجَوْرًا، وَلِذَلِكَ لَمَّا أَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِقَوْلِهِ: «قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا» تَبَاطَؤُوا فِي تَنْفِيذِ أَمْرِهِ، وَدَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها وَأَخْبَرَهَا، وَكَانَ لَهَا رَأْيُهَا الصَّائِبُ، إِذْ أَشَارَتْ عَلَيْهِ ﷺ أَنْ يَخْرُجَ وَأَنْ يَنْحَرَ وَيَحْلِقَ، فَلَمَّا فَعَلَ ﷺ ذَلِكَ تَسَابَقَ الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم لِلِاقْتِدَاءِ بِهِ، فَنَحَرُوا وَحَلَقُوا. [البخاري: ٢٧٣١، ٢٧٣٢].

مِنْ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ فِي الْحُدَيْبِيَةِ:

عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ رضي الله عنهما، قَالَ:

«عَطِشَ النَّاسُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ، فَتَوَضَّأَ، فَجَهَشَ النَّاسُ نَحْوَهُ، فَقَالَ: «مَا لَكُمْ؟» قَالُوا: لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ وَلَا نَشْرَبُ، إِلَّا مَا بَيْنَ يَدَيْكَ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الرَّكْوَةِ، فَجَعَلَ الْمَاءُ يَثُورُ بَيْنَ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعُيُونِ، فَشَرِبْنَا، وَتَوَضَّأْنَا، قُلْتُ: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: لَوْ كُنَّا مِائَةَ أَلْفٍ لَكَفَانَا، كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً» [البخاري: ٣٥٧٦، ومسلم: ١٨٥٦/٧٣ مختصرًا]. «الرَّكْوَةُ»: إِنَاءٌ صَغِيرٌ مِنْ جِلْدٍ. «جَهَشَ النَّاسُ نَحْوَهُ» أي: فَزِعُوا وَلَجَؤُوا إِلَيْهِ. «يَثُورُ»: يَنْبُعُ بِقُوَّةٍ.

الصُّلْحُ وَالْفَتْحُ:

فِي طَرِيقِ الْعَوْدَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ أُنْزِلَتْ سُورَةُ الْفَتْحِ، فَقَالَ ﷺ: «لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةٌ، لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١]. [البخاري: ٤١٧٧]. وَفِي لَفْظٍ: «هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا» [مسلم: ١٧٨٦].

لَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ ﷻ هَذَا الصُّلْحَ فَتْحًا، إِذْ كَانَ مُقَدِّمَةً لِلْفَتْحِ الْأَعْظَمِ لِمَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ.

هَنِيئًا مَرِيئًا يَا رَسُولَ اللَّهِ:

لَمَّا تَلَا النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ رضي الله عنهم آيَاتِ سُورَةِ الْفَتْحِ قَالُوا:

«هَنِيئًا مَرِيئًا، فَمَا لَنَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [الفتح: ٥]». [البخاري: ٤١٧٢، وأصله متفق عليه].

مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ ﷻ

قَالَ ﷻ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [الشورى: ٢٨]. أَصَابَ النَّاسَ مَطَرٌ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِي، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَبِرِزْقِ اللَّهِ وَبِفَضْلِ اللَّهِ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِي، كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَجْمِ كَذَا، فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ كَافِرٌ بِي» [البخاري: ٤١٤٧، ومسلم: ٧١].

النَّبِيُّ ﷺ يَسْتَسْقِي

صَلَاةُ الِاسْتِسْقَاءِ سُنَّةٌ مِنْ سُنَنِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا احْتُبِسَتِ الْأَمْطَارُ، وَأَجْدَبَتِ الْأَرْضُ، وَمَاتَ الزَّرْعُ، بَادَرَ إِلَى الصَّلَاةِ وَالدُّعَاءِ، وَكَانَ يَخْرُجُ ﷺ إِلَى الْمُصَلَّى فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ رَكْعَتَيْنِ، وَيَدْعُو رَبَّهُ ﷻ. [البخاري: ١٠٢٤، ومسلم: ٢/٨٩٤]. وَكَانَ ﷺ أَحْيَانًا يَسْتَسْقِي وَيَدْعُو رَبَّهُ وَهُوَ عَلَى مِنْبَرِ مَسْجِدِهِ الشَّرِيفِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ. [البخاري: ٩٣٣، ومسلم: ٨٩٧].

اللهم أغثنا

دَخَلَ رَجُلٌ وَالنَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُغِيثُنَا، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا» [البخاري: ١٠١٤، ومسلم: ٨٩٧]. وَفِي رِوَايَةٍ: «فَثَارَ سَحَابٌ أَمْثَالُ الْجِبَالِ، ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ عَنْ مِنْبَرِهِ ﷺ حَتَّى رَأَيْتُ الْمَطَرَ يَتَحَادَرُ عَلَى لِحْيَتِهِ» [البخاري: ١٠٣٣]. «يَتَحَادَرُ»: يَسِيلُ.

بر الوالدين وإن كانا مشركين

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ إِذْ عَاهَدَهُمْ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: «نَعَمْ، صِلِي أُمَّكِ» [البخاري: ٢٦٢٠، ومسلم: ١٠٠٣/٥٠]. «فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ» أَيْ: فِي هُدْنَةِ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ قُرَيْشٍ. «وَهِيَ رَاغِبَةٌ»: أَيْ: طَالِبَةٌ بِرَّ ابْنَتِهَا. وَهَذَا التَّوْجِيهُ مِنْهُ ﷺ تَطْبِيقٌ لِمَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّيْنَا

ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٤، ١٥].

وَقَدْ كَانَ ﷺ يَغرِسُ فِي قُلُوبِ أَصحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِرَّ الْوَالِدَيْنِ، وَيَأْمُرُ بِطَاعَتِهِمَا، وَيُقَدِّمُ ذَلِكَ عَلَى الْجِهَادِ؛ فَقَدْ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَاستَأْذَنَهُ فِي الجِهَادِ، فَقَالَ: «أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟»، قَالَ: نَعَم، قَالَ: «فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ» [البخاري: ٣٠٠٤، ومسلم: ٢٥٤٩]. وَسُئِلَ ﷺ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَى وَقتِهَا»، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «بِرُّ الْوَالِدَيْنِ»، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» [البخاري: ٥٩٧٠، ومسلم: ٨٥].

أُمُّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تُزَفُّ لِلنَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْحَبَشَةِ

وَفِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّ حَبِيبَةَ؛ رَمْلَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَسْلَمَتْ قَدِيمًا، وَهَاجَرَتْ إِلَى الْحَبَشَةِ مَعَ زَوْجِهَا عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ، فَمَاتَ هُنَاكَ، ثُمَّ خَطَبَهَا النَّبِيُّ ﷺ فَزَوَّجَهَا لَهُ النَّجَاشِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَزَوَّجَهَا وَهِيَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، زَوَّجَهَا النَّجَاشِيُّ، وَأَمْهَرَهَا أَرْبَعَةَ

الآلافِ، وجهَّزها مِن عِندِهِ، وبعث بِها مع شرحبِيل ابنِ حسنة، ولَم يبعث إِلَيها رسولُ اللهِ ﷺ بِشيءٍ» [أبو داود: ٢١٠٧، والنسائي: ٣٣٥٠].

غزوة ذي قرد.. وبطولة سلمة بن الأكوع رضي الله عنه

كَانَ سَلَمَةُ بنُ الأَكوعِ رضي الله عنه لا يُسبَقُ فِي ركضِهِ وسرعتِهِ، كَما كَانَ يَتَمَتَّعُ بِشجاعةٍ نادِرةٍ، وفوقَ ذلِكَ هوَ مِن أَمهرِ الرُّماةِ، فَها هوَ ذا فِي غزوةِ ذِي قردٍ فِي السَّنةِ السَّابِعةِ مِنَ الهِجرةِ، وكَانت بِسببِ رِجالٍ مِن غطفانَ، أَغاروا علَى نِياقٍ لِلرَّسولِ ﷺ فأَخذوها، وقتلوا راعِيها، فلَحِقَ بِهِم، واستَطاعَ بِشجاعتِهِ أَن يَستخلِصَ النوقَ مِنهُم. وقد أَعطاهُ النَّبِيُّ ﷺ سهمينِ، وأَردفَهُ خلفَهُ، ومدحَهُ بِقولِهِ: «خَيرُ رجالَتِنا سلَمةُ» [مسلم: ١٨٠٧]. *ذو قرد: موضعٌ يبعدُ حوالَي أربعةٍ وعشرِين كِيلومِترًا شمالَ المدِينةِ.

بلال رضي الله عنه يشوي للنبي ﷺ:

يَقولُ سلَمةُ رضي الله عنه: «ثُمَّ أَتيتُ رسولَ اللهِ ﷺ وهوَ علَى الماءِ الَّذي حلأْتُهم عنهُ، فإِذا رسولُ اللهِ ﷺ قد أَخذَ تِلكَ الإِبِلَ وكُلَّ شيءٍ استنقذتُهُ مِنَ المشرِكِينَ، وكُلَّ رُمحٍ وبُردةٍ، وإِذا بِلالٌ نحرَ ناقةً مِنَ الإِبِلِ الَّذي استنقذتُ مِنَ القومِ،

وَإِذَا هُوَ يَشْوِي لِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ كَبِدِهَا وَسَنَامِهَا»
[مسلم: ١٨٠٧]. «حَلَّأْتُهُمْ»: أَبْعَدْتُهُمْ عَنْهُ «السَّنَامُ»: الجُزْءُ الأَعْلَى فِي ظَهْرِ البَعِيرِ.

غزوة خيبر

أَصْبَحَتْ خَيْبَرُ مَيْدَانًا لِلتَّآمُرِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَخُصُوصًا بَعْدَ أَنْ تَحَوَّلَ إِلَيْهَا كَثِيرٌ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَلَحِقُوا بِيَهُودِ خَيْبَرَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى رَأْسِ جَيْشٍ مِنْ أَصْحَابِهِ رضي الله عنهم فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ مِنْ ذِي قَرَدٍ. [مسلم: ١٨٠٧]. وَحَاصَرُوهَا حِصَارًا شَدِيدًا، وَقَامَتْ مَعَارِكُ عَنِيفَةٌ، أَبْلَى الْمُؤْمِنُونَ فِيهَا بَلَاءً حَسَنًا.

مُحَمَّدٌ ﷺ وَالْخَمِيسُ :

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَى خَيْبَرَ لَيْلًا...، فَلَمَّا أَصْبَحَ خَرَجَتِ الْيَهُودُ بِمَسَاحِيهِمْ وَمَكَاتِلِهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا: مُحَمَّدٌ وَاللهِ، مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ ﴿فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [الصافات: ١٧٧]».
[البخاري: ٤١٩٧، ومسلم: ١٣٦٥/ ٨٧ (٢/ ١٤٥)]. «الخَمِيسُ»: الجَيْشُ الجَرَّارُ. «خَيْبَرُ»: بَلْدَةٌ تَقَعُ شَمَالَ شَرْقِ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ، عَلَى نَحْوِ مِائَةٍ وَسَبْعِينَ كِيلُومِتْرًا، وَهِيَ إِحْدَى مُحَافَظَاتِهَا.

رجلٌ يحبُّهُ اللهُ ورسولُهُ:

قَالَ ﷺ يومَ خيبرَ: «لأُعطِيَنَّ هذهِ الرَّايةَ غدًا رجُلًا يفتحُ اللَّهُ علَى يدَيهِ، يُحبُّ اللَّهَ ورسولَهُ، ويُحبُّهُ اللَّهُ ورسولُهُ»، فباتَ النَّاسُ يدُوكُونَ ليلَتَهُم أيُّهُم يُعطاهَا، فلمَّا أصبحَ النَّاسُ غدَوا علَى رسُولِ اللَّهِ ﷺ كُلُّهُم يرجُو أن يُعطاهَا، فقَالَ: «أينَ عليُّ بنُ أبِي طالِبٍ؟». فقِيلَ: هُوَ يَا رسُولَ اللَّهِ يشتَكِي عينَيهِ، فأرسَلُوا إلَيهِ. فأُتِيَ بهِ فبصَقَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي عينَيهِ ودعَا لَهُ، فبرَأَ حتَّى كأنْ لَم يكُن بهِ وجَعٌ، فأعطَاهُ الرَّايةَ. [البخاري: ٣٠٠٩، ومسلم: ٢٤٠٦]. «يدُوكُونَ»: يمُوجُونَ ويخُوضُونَ.

هدايةُ الإنسانِ هدفٌ أسمى :

لمَّا أخذَ عليٌّ رضي الله عنه الرَّايةَ مِنَ النَّبيِّ ﷺ قالَ: نُقاتِلُهُم حتَّى يكُونُوا مِثلَنَا؟ فقَالَ ﷺ: «علَى رِسْلِكَ، حتَّى تنزِلَ بِساحَتِهِم، ثُمَّ ادعُهُم إلَى الإسْلَامِ، وأخبِرْهُم بِمَا يجِبُ علَيهِم، فواللَّهِ، لأَنْ يُهدَى بِكَ رجُلٌ واحِدٌ خيرٌ لَكَ مِن حُمْرِ النَّعَمِ» [البخاري: ٢٩٤٢، ومسلم: ٢٤٠٦].

سمَّتنِي أمِّي حيدَرَه:

خرَجَ زعِيمُ اليهُودِ مرحَبٌ، فقَالَ:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ ... شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ

إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

فَقَالَ عَلِيٌّ:

أَنَا الَّذِي سَمَّتْنِي أُمِّي حَيْدَرَهْ ... كَلَيْثِ غَابَاتٍ كَرِيهِ الْمَنْظَرَهْ

أُوفِيهِمُ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ

فَضَرَبَ رَأْسَ مَرْحَبٍ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ كَانَ الْفَتْحُ عَلَى يَدَيْهِ.

[مسلم: ١٨٠٧، وأصله متفق عليه]. «شَاكِي السِّلَاحِ» أي: تَامُّ السِّلَاحِ مُتَحَجِّجٌ بِهِ. «حَيْدَرَةُ»: اسْمٌ لِلْأَسَدِ. «أُوفِيهِم بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَةِ»: الصَّاعُ: مِكْيَالٌ مَعْرُوفٌ، وَالسَّنْدَرَةُ: الْمِكْيَالُ الْوَاسِعُ، وَالْمُرَادُ: شِدَّةُ الْبَطْشِ بِالْخُصُومِ.

النَّفَثَاتُ الْمُبَارَكَاتُ:

أُصِيبَتْ سَاقُ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَوْمَ خَيْبَرَ، يَقُولُ: «فَقَالَ النَّاسُ: أُصِيبَ سَلَمَةُ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَنَفَثَ فِيهِ ثَلَاثَ نَفَثَاتٍ، فَمَا اشْتَكَيْتُهَا حَتَّى السَّاعَةِ» [البخاري: ٤٢٠٦]. «النَّفَثُ»: النَّفْثُ: نَفْخٌ لَطِيفٌ بِلَا رِيقٍ.

قُدُومُ الْمُهَاجِرِينَ مِنَ الْحَبَشَةِ:

وَمِنْ بَشَائِرِ السَّنَةِ السَّابِعَةِ، وَفِي ظِلِّ الْفَرْحَةِ الْكَبِيرَةِ بِفَتْحِ خَيْبَرَ، كَانَ قُدُومُ الْمُهَاجِرِينَ مِنَ الْحَبَشَةِ، وَعَلَى رَأْسِهِمْ جَعْفَرُ

ابنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ابنُ عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ، وَسَفِيرُ الْإِسْلَامِ هُنَاكَ [البخاري: ٣٨٧٦، ومسلم: ٢٥٠٢].

يَقُولُ ﷺ: «مَا أَدْرِي بِأَيِّهِمَا أَنَا أُسَرُّ: بِفَتْحِ خَيْبَرَ، أَوْ بِقُدُومِ جَعْفَرَ!» [الطبراني: ٢/(١٤٧٠)].

وَفْدُ دَوْسٍ يُسَافِرُونَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ:

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ وَالْمُسْلِمُونَ بِخَيْبَرَ، جَاءَ وَفْدُ دَوْسٍ مُسْلِمِينَ مَعَ سَيِّدِهِمُ الطُّفَيْلِ بْنِ عَمْرٍو، إِذِ اهْتَدَوْا بِفَضْلِ اللَّهِ ﷻ عَلَى يَدَيْهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ دَعَا لَهُمْ بِقَوْلِهِ: «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ» [البخاري: ٢٩٣٧، ومسلم: ٢٥٢٤]. «دَوْسٌ»: قَبِيلَةٌ مِنْ زَهْرَانَ إِحْدَى قَبَائِلِ الْأَزْدِ الْمَشْهُورَةِ، جَنُوبَ الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ.

رَاوِيَةُ الْإِسْلَامِ:

كَانَ مِنْ وَفْدِ دَوْسٍ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَكْثَرُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ رِوَايَةً عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

يَقُولُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لَمَّا قَدِمْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ قُلْتُ فِي الطَّرِيقِ:

يَا لَيْلَةً مِنْ طُولِهَا وَعَنَائِهَا ... عَلَى أَنَّهَا مِنْ دَارَةِ الْكُفْرِ نَجَّتِ

[البخاري: ٢٥٣١].

وَيَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «... شَهِدْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، وَقَالَ: «مَنْ يَبْسُطْ رِدَاءَهُ حَتَّى أَقْضِيَ مَقَالَتِي، ثُمَّ يَقْبِضْهُ، فَلَنْ يَنْسَى شَيْئًا سَمِعَهُ مِنِّي»، فَبَسَطْتُ بُرْدَةً كَانَتْ عَلَيَّ، فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ، مَا نَسِيتُ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْهُ. [البخاري: ٧٣٥٤، ومسلم:٢٤٩٢].

الشَّاةُ الْمَسْمُومَةُ:

كَانَتْ هَذِهِ إِحْدَى مُحَاوَلَاتِ الْيَهُودِ لِلتَّخَلُّصِ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ طَرِيقِ امْرَأَةٍ مِنْهُمْ، قَدَّمَتْ لَهُ شَاةً مَسْمُومَةً، وَحِينَ عَرَفَتْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يُحِبُّ الذِّرَاعَ أَكْثَرَتْ فِيهَا مِنَ السُّمِّ، فَأَكَلَ مِنْهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَأَكَلَ مِنْهَا بَعْضُ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَلَمَّا وَضَعَهَا ﷺ فِي فِيهِ عَلِمَ أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ. [البخاري: ٢٦١٧، ومسلم: ٢١٩٠].

وَقَدْ جَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ الْيَهُودَ، ثُمَّ قَالَ: «... هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟»، فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، قَالَ: «هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُمًّا؟»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟»، قَالُوا: أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا نَسْتَرِيحُ، وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ. [البخاري: ٣١٦٩].

وَمَعَ أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَمُتْ بِذَلِكَ السُّمِّ، وَعَاشَ ﷺ بَعْدَهُ عِدَّةَ سَنَوَاتٍ، لكِنَّ أَثَرَهُ بَقِيَ فِي جِسْمِهِ، إِذْ قَالَ ﷺ فِي بِدَايَاتِ مَرَضِ وَفَاتِهِ: «يَا عَائِشَةُ، مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ، فَهَذَا أَوَانُ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذَلِكَ السُّمِّ» [البخاري: ٤٤٢٨ معلقًا]. «أَبْهَرِي»: الأَبْهَرُ: عِرْقٌ فِي الظَّهْرِ مُتَّصِلٌ بِالقَلْبِ، إِذَا انْقَطَعَ مَاتَ صَاحِبُهُ.

ابنةُ سيِّدِ اليهودِ تُصبِحُ أُمًّا للمؤمنين

صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، كَانَ أَبُوهَا أَحَدَ سَادَاتِ يَهُودِ خَيْبَرَ، وَكَانَتْ مِمَّنْ وَقَعَ فِي الأَسْرِ، فَقِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ، سَيِّدَةُ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ، لَا تَصْلُحُ إِلَّا لَكَ». فَعَرَضَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ الإِسْلَامَ، فَأَسْلَمَتْ، فَأَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا حِينَ عَوْدَتِهِ مِنْ خَيْبَرَ. [البخاري: ٣٧١، ومسلم: ١٣٦٥ (٢/١٠٤٣)].

وَأَصْبَحَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَدْ أَحَبَّهَا ﷺ وَأَحَبَّتْهُ، وَنَالَتْ مِنْهُ الْعَطْفَ وَالإِكْرَامَ وَالْمَوَدَّةَ.

وَمِنْ جَمِيلِ لُطْفِهِ وَكَرِيمِ أَخْلَاقِهِ ﷺ مَعَهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّهُ كَانَ «يَجْلِسُ عِنْدَ بَعِيرِهِ، فَيَضَعُ رُكْبَتَهُ، فَتَضَعُ صَفِيَّةُ رِجْلَهَا عَلَى رُكْبَتِهِ حَتَّى تَرْكَبَ» [البخاري: ٤٢١١].

وَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ لِصَفِيَّةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مُسَلِّيًا وَمُطَمْئِنًا وَمَادِحًا: «إِنَّكِ لَابْنَةُ نَبِيٍّ، وَإِنَّ عَمَّكِ لَنَبِيٌّ، وَإِنَّكِ لَتَحْتَ نَبِيٍّ» [الترمذي: ٣٨٩٤، والنسائي في الكبرى: ٨٨٧٠]. وَذَلِكَ أَنَّهَا مِنْ نَسْلِ هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَعَمُّهَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهِيَ زَوْجَتُهُ ﷺ.

إنها صفية:

أَتَى أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ يَزُرْنَهُ لَيْلَةً وَهُوَ مُعْتَكِفٌ فِي مَسْجِدِهِ فِي رَمَضَانَ، فَقُمْنَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ لِيَرْجِعْنَ، «فَقَالَ ﷺ لِصَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ: «لَا تَعْجَلِي حَتَّى أَنْصَرِفَ مَعَكِ»... فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَهَا، فَلَقِيَهُ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ فَنَظَرَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ أَجَازَا، فَقَالَ لَهُمَا النَّبِيُّ ﷺ: «تَعَالَيَا، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ»، قَالَا: سُبْحَانَ اللهِ يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يُلْقِيَ فِي أَنْفُسِكُمَا شَيْئًا» [البخاري: ٢٠٣٨، ومسلم: ٢١٧٥].

«أَجَازَا»: مَضَيَا.

وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: شَهِدْنَا خَيْبَرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِرَجُلٍ مِمَّنْ مَعَهُ يَدَّعِي الْإِسْلَامَ: «هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ». فَلَمَّا

حضَرَ الْقِتَالُ قَاتَلَ الرَّجُلُ أَشَدَّ الْقِتَالِ، حَتَّى كَثُرَتْ بِهِ الْجِرَاحَةُ، فَكَادَ بَعْضُ النَّاسِ يَرْتَابُ، فَوَجَدَ الرَّجُلُ أَلَمَ الْجِرَاحَةِ، فَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى كِنَانَتِهِ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهَا أَسْهُمًا فَنَحَرَ بِهَا نَفْسَهُ، فَاشْتَدَّ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صَدَّقَ اللَّهُ حَدِيثَكَ، انْتَحَرَ فُلَانٌ فَقَتَلَ نَفْسَهُ. [البخاري: ٤٢٠٣، ومسلم: ١١٢]. «الْكِنَانَةُ: وِعَاءٌ مِن جِلْدٍ يَحْمِلُهُ الْمُقَاتِلُ يُوضَعُ فِيهِ سِهَامُ النَّبْلِ.

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى شَنَاعَةِ الِانْتِحَارِ وَفَظَاعَةِ قَتْلِ النَّفْسِ، وَأَنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ، وَهُوَ مَا جَاءَ الْإِسْلَامُ بِتَحْرِيمِهِ وَتَجْرِيمِهِ، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، وَقَالَ تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وَقَالَ ﷺ: «مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا» [البخاري: ٥٧٧٨، ومسلم: ١٠٩]. «تَرَدَّى»: سَقَطَ، «تَحَسَّى»: شَرِبَ، «يَجَأُ بِهَا»: يَطْعَنُ.

وَقَالَ ﷺ: «وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [البخاري: ٦٠٤٧، ومسلم: ١١٠].

وَعَنْ جُنْدَبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَانَ بِرَجُلٍ جِرَاحٌ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ اللهُ: بَدَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ، حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» [البخاري: ١٣٦٤، ومسلم: ١١٣]. «بَدَرَنِي» أي: استعجل الموت.

وَكُلُّ هَذَا الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ فِيمَنْ يَقْتُلُ نَفْسَهُ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَقْتُلُ نَفْسَهُ لِيُزْهِقَ أَرْوَاحَ الْأَبْرِيَاءِ؟!.

غَزْوَةُ ذَاتِ الرِّقَاعِ

وَفِي تِلْكَ السَّنَةِ كَانَتْ «غَزْوَةُ ذَاتِ الرِّقَاعِ»، قَصَدَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ بَعْضَ الْأَعْرَابِ مِنْ أَهْلِ النَّهْبِ وَالسَّلْبِ، وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ كَانُوا يَلُفُّونَ الْخِرَقَ عَلَى أَرْجُلِهِمْ؛ لِشِدَّةِ الْحَاجَةِ وَلِقِلَّةِ الرَّوَاحِلِ الَّتِي تَحْمِلُهُمْ. [البخاري: ٤١٢٨، ومسلم: ١٨١٦].

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى ذَاتِ الرِّقَاعِ مِنْ نَخْلٍ، فَلَقِيَ جَمْعًا مِنْ غَطَفَانَ، فَلَمْ يَكُنْ قِتَالٌ، وَأَخَافَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَصَلَّى النَّبِيُّ ﷺ رَكْعَتَيِ الْخَوْفِ» [البخاري: ٤١٢٧، معلقا].

وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى بِأَصْحَابِهِ فِي الخَوْفِ فِي غَزْوَةِ السَّابِعَةِ، غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ. [البخاري: ٤١٢٥، ومسلم: ٨٤٣]. «نَخْلٌ»: مَوْضِعٌ بِنَجْدٍ. «غَطَفَانُ»: قَبِيلَةٌ عَرَبِيَّةٌ كَبِيرَةٌ بِنَجْدٍ. «رَكْعَتَا الخَوْفِ» أَيْ: صَلَاةُ الخَوْفِ.

مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟

وَفِي غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ حَدَثَتْ قِصَّةٌ عَجِيبَةٌ، وَهِيَ مِنْ دَلَائِلِ نُبُوَّتِهِ ﷺ، وَرَوَائِعِ أَخْلَاقِهِ، وَحُسْنِ عَفْوِهِ: إِذْ تَسَلَّلَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى سَيْفِ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ مُعَلَّقٌ بِشَجَرَةٍ، وَالنَّبِيُّ ﷺ نَائِمٌ تَحْتَهَا، يَقُولُ ﷺ: «فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا، فَقَالَ لِي: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: اللهُ، فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ»، ثُمَّ لَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ. [البخاري: ٤١٣٥، ومسلم: ٨٤٣]. «صَلْتًا»: مُشْهَرًا.

خُلُقٌ عَظِيمٌ وَتَعَامُلٌ كَرِيمٌ

فِي طَرِيقِ عَوْدَةِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ تِلْكَ الْغَزْوَةِ، كَانَتْ لَهُ مُلَاطَفَاتٌ جَمِيلَةٌ مَعَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، ذَلِكَ الشَّابِّ الْأَنْصَارِيِّ، الَّذِي كَانَ يَنَالُ كَثِيرًا مِنْ حُبِّ النَّبِيِّ ﷺ وَاهْتِمَامِهِ. وَمِنْ تِلْكَ الْمُلَاطَفَاتِ النَّبَوِيَّةِ: أَنَّ بَعِيرَ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَدْ أَعْيَا، وَلَا يَكَادُ يَسِيرُ، فَقَالَ لَهُ ﷺ: «مَا لِبَعِيرِكَ؟» قُلْتُ: عَلِيلٌ، فَتَخَلَّفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ،

فَزَجَرَهُ وَدَعَا لَهُ، فَمَا زَالَ بَيْنَ يَدَيِ الْإِبِلِ قُدَّامَهَا يَسِيرُ، فَقَالَ لِي: «كَيْفَ تَرَى بَعِيرَكَ؟» قُلْتُ: بِخَيْرٍ، قَدْ أَصَابَتْهُ بَرَكَتُكَ، قَالَ: «أَفَتَبِيعُنِيهِ؟» فَاسْتَحْيَيْتُ، وَلَمْ يَكُنْ لَنَا نَاضِحٌ غَيْرُهُ، فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَبِعْتُهُ إِيَّاهُ عَلَى أَنَّ لِي فَقَارَ ظَهْرِهِ حَتَّى أَبْلُغَ الْمَدِينَةَ...، فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ غَدَوْتُ إِلَيْهِ بِالْبَعِيرِ، فَأَعْطَانِي ثَمَنَهُ وَرَدَّهُ عَلَيَّ. [البخاري: ٢٩٦٧، ومسلم: ٣/١٢٢١ (٧١٥)]. «نَاضِحٌ»: الْبَعِيرُ الَّذِي يُسْتَقَى عَلَيْهِ الْمَاءُ «لِي فَقَارَ ظَهْرِهِ»: لِي حَقُّ اسْتِعْمَالِهِ لِيُوصِلَنِي.

وَهَذَا مِنْ رَوَائِعِ الْأَخْلَاقِ النَّبَوِيَّةِ، وَبَدَائِعِ السَّمَاحَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ؛ إِذْ أَعْطَاهُ ﷺ الثَّمَنَ وَرَدَّ إِلَيْهِ الْبَعِيرَ.

سماحة البيع والشراء

تِلْكَ الْمَشَاهِدُ السَّامِيَةُ الْكَرِيمَةُ كَثِيرَةٌ فِي تَعَامُلَاتِهِ ﷺ، وَكَانَ يَقُولُ: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى» [البخاري: ٢٠٧٦]. «اقْتَضَى»: طَلَبَ قَضَاءَ حَقِّهِ.

النبي ﷺ يأمر بالكسب الحلال

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة: ١٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ

﴿ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

وَقَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِالسَّعْيِ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ، فَقَالَ ﷺ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عليه السلام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ» [البخاري: ٢٠٧٢]، وَقَالَ ﷺ: «لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا، فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ» [البخاري: ٢٠٧٤، ومسلم: ١٠٤٢]، وَيَقُولُ ﷺ: «الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَالْيَدُ الْعُلْيَا الْمُنْفِقَةُ، وَالسُّفْلَى السَّائِلَةُ» [البخاري: ١٤٢٩، ومسلم: ١٠٣٣].

النَّبِيُّ ﷺ يَأْمُرُ بِالصِّدْقِ فِي التَّعَامُلِ

أَخْبَرَ ﷺ أَنَّ الْبَيِّعَانِ «إِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا» [البخاري: ٢٠٧٩، ومسلم: ١٥٣٢].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا، فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟» قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ؟! مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي» [مسلم: ١٠٢].

«صُبْرَة»: كَوْمَة.

خِيارُ النَّاسِ أَحْسَنُهُمْ قَضاءً

حَذَّرَ ﷺ مِنَ التَّهَاوُنِ بِالدَّيْنِ وَالمُمَاطَلَةِ فِي أَدَاءِ الحُقُوقِ. [البخاري: ٢٣٨٧، ومسلم: ١٥٦٤]. وَأَمَرَ ﷺ بِالْوَفَاءِ وَحُسْنِ الْقَضَاءِ، وَكَانَ ﷺ الأُسْوَةَ الحَسَنَةَ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّهُ لَمَّا اسْتَسْلَفَ مِنْ رَجُلٍ جَمَلًا بَكْرًا قَضَاهُ بِأَحْسَنَ مِنْهُ، وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ أَحْسَنَهُمْ قَضَاءً» [البخاري: ٢٣٩٢، ومسلم: ١٦٠١]. «البَكْرُ»: الفَتِيُّ مِنَ الإِبِلِ.

الحَلالُ بَيِّنٌ وَالحَرامُ بَيِّنٌ

وَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ قَوَاعِدَ عَظِيمَةً، وَمَبَادِئَ شَامِلَةً يَعْمَلُ بِهَا الإِنْسَانُ فِي حَيَاتِهِ، وَيَزِنُ بِهَا تَعَامُلَاتِهِ، وَهِيَ مِنْ جَوَامِعِ كَلَامِهِ، وَدُرَرِ أَحْكَامِهِ، يَقُولُ ﷺ: «إِنَّ الحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ» [البخاري: ٥٢، ومسلم: ١٥٩٩]. «يَرْتَعُ فِيهِ»: يَدَعُ مَاشِيَتَهُ تَرْعَى فِيهِ.

وَعَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ» [الترمذي: ٢٥١٨، والنسائي: ٥٧١١].

حديثُ عهدٍ بعرسٍ

كَانَ جَابِرُ بنُ عَبْدِاللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي مُقْتَبَلِ شَبَابِهِ، وَقَدِ اسْتُشْهِدَ وَالِدُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ، وَتَرَكَ لَهُ تِسْعَ أَخَوَاتٍ، وَأَوْصَاهُ بِهِنَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ خَيْرًا، [البخاري: ١٣٥١، ومسلم: ٧١٥/٥٦ (٢/١٠٨٧)]، وَفِي طَرِيقِ عَوْدَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ ذَاتِ الرِّقَاعِ اسْتَأْذَنَهُ فِي التَّعَجُّلِ، لَمَّا دَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ ﷺ: «مَا يُعَجِّلُكَ؟» فَقَالَ: «إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِعُرْسٍ» [البخاري: ٥٢٤٥، ومسلم: ٧١٥/٥٧ (٢/١٠٨٧)]، يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ لِي...: «هَلْ تَزَوَّجْتَ بِكْرًا أَمْ ثَيِّبًا؟»، فَقُلْتُ: تَزَوَّجْتُ ثَيِّبًا، فَقَالَ: «هَلَّا تَزَوَّجْتَ بِكْرًا تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تُوُفِّيَ وَالِدِي -أَوِ: اسْتُشْهِدَ- وَلِي أَخَوَاتٌ صِغَارٌ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَزَوَّجَ مِثْلَهُنَّ، فَلَا تُؤَدِّبُهُنَّ، وَلَا تَقُومُ عَلَيْهِنَّ، فَتَزَوَّجْتُ ثَيِّبًا لِتَقُومَ عَلَيْهِنَّ وَتُؤَدِّبَهُنَّ. [البخاري: ٤٠٥٢، ومسلم: ٧١٥/٥٥ (٢/١٠٨٧)].

النبي ﷺ يزوج شابًا بما معه من القرآن

جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جِئْتُ أَهَبُ لَكَ نَفْسِي...، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ بِهَا حَاجَةٌ فَزَوِّجْنِيهَا، فَقَالَ: «وَهَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ، يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَلَمَّا لَمْ يَجِدْ شَيْئًا قَالَ لَهُ ﷺ: «مَاذَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ؟» قَالَ: مَعِي سُورَةُ كَذَا وَسُورَةُ كَذَا، عَدَّدَهَا...، قَالَ: «اذْهَبْ، فَقَدْ مَلَّكْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ» [البخاري: ٥٠٨٧، ومسلم: ١٤٢٥].

«مَلَّكْتُكَهَا»: زَوَّجْتُكَ إِيَّاهَا.

عروس تضيف النبي ﷺ

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه، قَالَ: دَعَا أَبُو أُسَيْدٍ السَّاعِدِيُّ رضي الله عنه رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي عُرْسِهِ، وَكَانَتِ امْرَأَتُهُ يَوْمَئِذٍ خَادِمَهُمْ، وَهِيَ الْعَرُوسُ، قَالَ سَهْلٌ: «تَدْرُونَ مَا سَقَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ أَنْقَعَتْ لَهُ تَمَرَاتٍ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا أَكَلَ، سَقَتْهُ إِيَّاهُ» [البخاري: ٥١٧٦، ومسلم: ٢٠٠٦]. وَفِي رِوَايَةٍ: «تُتْحِفُهُ ﷺ بِذَلِكَ» [البخاري: ٥١٨٢]. «أَنْقَعَتْ»: وَضَعَتِ التَّمْرَ فِي الْمَاءِ. «تُتْحِفُهُ»: تَخُصُّهُ بِهِ.

عائشة رضي الله عنها تزف عروسا إلى زوجها

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا زَفَّتِ امْرَأَةً إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «يَا عَائِشَةُ، مَا كَانَ مَعَكُمْ لَهْوٌ؟ فَإِنَّ الْأَنْصَارَ يُعْجِبُهُمُ اللَّهْوُ» [البخاري: ٥١٦٢]. «لَهْوٌ»: إِعْلَانُ مَظَاهِرِ الْفَرَحِ بِالْإِنْشَادِ وَغَيْرِهِ.

مُحاولةٌ خاسرةٌ لسحر النبيِّ ﷺ

قَضَى اللَّهُ ﷻ أَنْ يَتَعَرَّضَ النَّبِيُّ ﷺ لِلِابْتِلَاءِ بِنَوْعٍ مِنَ السِّحْرِ، فَكَانَ ﷺ «يَرَى أَنَّهُ يَأْتِي النِّسَاءَ وَلَا يَأْتِيهِنَّ»، وَقَدْ تَوَلَّى كِبْرَ ذَلِكَ رَجُلٌ اسْمُهُ لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ ﷻ حَفِظَ نَبِيَّهُ ﷺ، لِتَتَجَلَّى حِكْمَتُهُ ﷻ فِي عِصْمَةِ نَبِيِّهِ ﷺ وَمَعِيَّتِهِ لَهُ، وَإِبْطَالِ كَيْدِ الْكَائِدِينَ؛ حَيْثُ بَعَثَ ﷻ مَلَكَيْنِ كَرِيمَيْنِ لِتَطْبِيبِهِ ﷺ، فَأَخْبَرَاهُ بِالسَّاحِرِ وَمَكَانِ السِّحْرِ فِي بِئْرٍ، فَأَتَى النَّبِيُّ ﷺ الْبِئْرَ فَاسْتَخْرَجَهُ. وَعَافَاهُ اللَّهُ ﷻ مِنْهُ. [البخاري: ٥٧٦٥، ومسلم: ٢١٨٩].

جبريلُ عليه السلام يرقي النبيَّ ﷺ

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ إِذَا اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَقَاهُ جِبْرِيلُ، قَالَ: «بِاسْمِ اللَّهِ يُبْرِيكَ، وَمِنْ كُلِّ دَاءٍ يَشْفِيكَ، وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ، وَشَرِّ كُلِّ ذِي عَيْنٍ» [مسلم: ٢١٨٥].



النبيُّ ﷺ يحثُّ على الطِّبِّ والتَّداوي

لكلِّ داءٍ دواءٌ:

قَالَ ﷺ: «مَا أَنزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنزَلَ لَهُ شِفَاءً» [البخاري: ٥٦٧٨].
وَقَالَ ﷺ: «لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﷻ» [مسلم: ٢٢٠٤]. «أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ» أي: وُجِدَ الدَّوَاءُ.

وَعَمَرَتْ سُنَّتُهُ الشَّرِيفَةُ ﷺ بِكَثِيرٍ مِنْ فُنُونِ الْقَوَاعِدِ الطِّبِّيَّةِ، وَأَنْوَاعِ الْوِقَايَةِ الصِّحِّيَّةِ.

الرُّقْيَةُ النَّبَوِيَّةُ:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا أَتَى مَرِيضًا أَوْ أُتِيَ بِهِ، قَالَ: «أَذْهِبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ، اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا» [البخاري: ٥٦٧٥، ومسلم: ٢١٩١].
«لَا يُغَادِرُ سَقَمًا»: لَا يَتْرُكُ مَرَضًا.

وَفِي رِوَايَةٍ: إِذَا اشْتَكَى مِنَّا إِنْسَانٌ، مَسَحَهُ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَذْهِبِ الْبَاسَ...» [مسلم: ٢١٩١]. وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي الرُّقْيَةِ: «تُرْبَةُ أَرْضِنَا، وَرِيقَةُ بَعْضِنَا، يُشْفَى سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا» [البخاري: ٥٧٤٦، ومسلم: ٢١٩٤].

وعَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ رضي الله عنه، أَنَّهُ شَكَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَعًا يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ مُنْذُ أَسْلَمَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ، ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ» [مسلم: ٢٢٠٢]. وَقَالَ ﷺ لِمَنْ كَانَ يَنْفُثُ وَيَقْرَأُ سُورَةَ الْفَاتِحَةِ يَرْقِي بِهَا مَرِيضًا: «وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟! قَدْ أَصَبْتُمْ»

[البخاري: ٥٧٣٦، ومسلم: ٢٢٠١]. «الرُّقْيَةُ»: مَا يُعَوَّذُ بِهِ الْمَرِيضُ مِنْ قِرَاءَةٍ وَدُعَاءٍ.

النَّبِيُّ ﷺ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ رضي الله عنهما

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، وَيَقُولُ: «إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ» [البخاري: ٣٣٧١]. «أَبَاكُمَا» أَيْ: إِبْرَاهِيمَ عليه السلام، «هَامَّةٍ» أَيْ: كُلُّ حَشَرَةٍ مُؤْذِيَةٍ، «لَامَّةٍ»: حَاسِدَةٍ.

النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُ الْمَرْضَى

كَانَ ﷺ يَعُودُ الْمَرْضَى، وَيَدْعُو لَهُمْ، وَيُسَلِّيهِمْ، وَيَرْقِيهِمْ، وَيَأْمُرُ بِزِيَارَتِهِمْ، يَقُولُ ﷺ: «أَطْعِمُوا الْجَائِعَ، وَعُودُوا الْمَرِيضَ،

وَفُكُّوا الْعَانِيَ» [البخاري: ٣٠٤٦]. «العَانِي»: الأسير. وَيَقُولُ ﷺ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ» [مسلم: ٢٥٦٨/٤٠]. «خُرْفَةُ الجنَّةِ»: جناها وثمارها. وَعِيَادَاتُهُ ﷺ لِلْمَرْضَى كَثِيرَةٌ، وَمِنْ ذَلِكَ:

عِيادَتُهُ ﷺ لسعد بن عُبادة رضي الله عنه:

اشتَكَى سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ رضي الله عنه مِنْ مَرَضٍ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ مَعَ عَدَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ رضي الله عنهم، «فَبَكَى النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمُ بُكَاءَ النَّبِيِّ ﷺ بَكَوْا» [البخاري: ١٣٠٤، ومسلم: ٩٢٤].

عيادته ﷺ لجابر رضي الله عنه:

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: مَرِضْتُ مَرَضًا، فَأَتَانِي النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُنِي وَأَبُو بَكْرٍ وَهُمَا مَاشِيَانِ، فَوَجَدَانِي أُغْمِيَ عَلَيَّ، فَتَوَضَّأَ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ صَبَّ وَضُوءَهُ عَلَيَّ، فَأَفَقْتُ. [البخاري: ٥٦٥١، ومسلم: ١٦١٦].

عيادته ﷺ لأم السائب رضي الله عنها:

دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهَا فَقَالَ: «مَا لَكِ - يَا أُمَّ السَّائِبِ - تُزَفْزِفِينَ؟» قَالَتْ: الْحُمَّى، لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا، فَقَالَ: «لَا تَسُبِّي الْحُمَّى؛ فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ» [مسلم: ٢٥٧٥]. «تُزفزفين»: ترعُدين.

عيادته ﷺ لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:

يَقُولُ رضي الله عنه: تَشَكَّيْتُ بِمَكَّةَ شَكْوًا شَدِيدًا، فَجَاءَنِي النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُنِي...، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى جَبْهَتِي، ثُمَّ مَسَحَ يَدَهُ عَلَى وَجْهِي وَبَطْنِي، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا، وَأَتْمِمْ لَهُ هِجْرَتَهُ»، فَمَا زِلْتُ أَجِدُ بَرْدَهُ عَلَى كَبِدِي - فِيمَا يُخَالُ إِلَيَّ - حَتَّى السَّاعَةِ.

[البخاري: ٥٦٥٩ ، ومسلم: ١٦٢٨/٨]. «بِمَكَّةَ» أَيْ: فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ.

والثلث كثير

عِنْدَمَا زَارَ النَّبِيُّ ﷺ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه قَالَ لَهُ سَعْدٌ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنِّي أَتْرُكُ مَالًا، وَإِنِّي لَمْ أَتْرُكْ إِلَّا ابْنَةً وَاحِدَةً، فَأُوصِي بِثُلُثَيْ مَالِي وَأَتْرُكُ الثُّلُثَ؟ فَقَالَ: «لَا»، قَالَ: فَأُوصِي بِالنِّصْفِ وَأَتْرُكُ النِّصْفَ؟ قَالَ: «لَا»، قَالَ: فَأُوصِي بِالثُّلُثِ وَأَتْرُكُ لَهَا الثُّلُثَيْنِ؟ قَالَ: «الثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ». [البخاري: ٥٦٥٩، ومسلم: ١٦٢٨].

وَفِي رِوَايَةٍ: «إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ، وَلَسْتَ تُنْفِقُ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ، إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا، حَتَّى اللُّقْمَةُ تَجْعَلُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ»

[مسلم: ١٦٢٨]. «فِي فِي» أَيْ: فِي فَمِ.



(لا إله إلا الله) عصمة لقائلها

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْحُرَقَةِ، فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ، فَهَزَمْنَاهُمْ، وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِينَاهُ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَكَفَّ الأَنْصَارِيُّ، فَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي، حَتَّى قَتَلْتُهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «يَا أُسَامَةُ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟!» قُلْتُ: كَانَ مُتَعَوِّذًا، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا، حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ. [البخاري: ٤٢٦٩، ومسلم: ٩٦].

«الْحُرَقَةُ»: اسْمُ قَبِيلَةٍ مِنْ جُهَيْنَةَ، «غَشِينَاهُ»: أَحَطْنَا بِهِ، «مُتَعَوِّذًا»: مُسْتَجِيرٌ مِنَ الْقَتْلِ.

عمرة القضاء

فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنَ السَّنَةِ السَّابِعَةِ لِلْهِجْرَةِ خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَأَحْرَمُوا بِالْعُمْرَةِ. [البخاري: ٤٢٥٢].

وَدَخَلَ ﷺ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَأَدَّى عُمْرَتَهُ، وَرَأَى الْمُشْرِكُونَ مِنْ قُوَّتِهِ وَقُوَّةِ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ مَا أَثَارَ حَفِيظَتَهُمْ، وَخَيَّبَ ظُنُونَهُمْ. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: إِنَّهُ يَقْدَمُ عَلَيْكُمْ وَفْدٌ وَهَنَهُمْ

حَتَّى يَثْرِبَ، وَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَرْمُلُوا الأَشْوَاطَ الثَّلَاثَةَ، وَأَنْ يَمْشُوا مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ، وَلَمْ يَمْنَعْهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ أَنْ يَرْمُلُوا الأَشْوَاطَ كُلَّهَا إِلَّا الإِبْقَاءُ عَلَيْهِمْ» [البخاري: ١٦٠٢، ومسلم: ١٢٦٦].

وَفِي رِوَايَةٍ: «إِنَّمَا سَعَى النَّبِيُّ ﷺ بِالْبَيْتِ، وَبَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ؛ لِيُرِيَ الْمُشْرِكِينَ قُوَّتَهُ» [البخاري: ٤٢٥٧]. «وَهَنَتْهُمْ»: أَضْعَفَتْهُمْ، «الإِبْقَاءُ عَلَيْهِمْ»: الْمُحَافَظَةُ عَلَى قُوَّتِهِمْ، «الرَّمَلُ»: إِسْرَاعُ الْمَشْيِ مَعَ تَقَارُبِ الْخُطَا.

الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم يَحْرُسُونَ النَّبِيَّ ﷺ:

عَنِ ابْنِ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنهما، قَالَ: «لَمَّا اعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَتَرْنَاهُ مِنْ غِلْمَانِ الْمُشْرِكِينَ وَمِنْهُمْ؛ أَنْ يُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ» [البخاري: ١٦٠٠].

النَّبِيُّ ﷺ يَلْتَزِمُ بِالْعَهْدِ:

أَقَامَ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ بِمَكَّةَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا وَفَاءً مِنْهُ بِبُنُودِ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ. [البخاري: ٢٦٩٩ ومسلم: ١٧٨٣/٩٢].

ابْنَةُ حَمْزَةَ رضي الله عنهما تُنَادِي النَّبِيَّ ﷺ:

عِنْدَ مُغَادَرَةِ النَّبِيِّ ﷺ الْبَلَدَ الْحَرَامَ؛ تَبِعَتْهُ ابْنَةُ عَمِّهِ حَمْزَةَ رضي الله عنهما تُنَادِي: يَا عَمِّ، يَا عَمِّ، فَاخْتَصَمَ فِيهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ،

وَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ﵃، كُلٌّ يُرِيدُ كَفَالَتَهَا ﵂، «فَقَالَ عَلِيٌّ: أَنَا أَخَذْتُهَا وَهِيَ بِنْتُ عَمِّي، وَقَالَ جَعْفَرٌ: ابْنَةُ عَمِّي وَخَالَتُهَا تَحْتِي، وَقَالَ زَيْدٌ: ابْنَةُ أَخِي، فَقَضَى بِهَا النَّبِيُّ ﷺ لِخَالَتِهَا، وَقَالَ: «الْخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الأُمِّ»» [البخاري: ٤٢٥١]. وَقَوْلُ زَيْدٍ ﵁: ابْنَةُ أَخِي، قَصَدَ أُخُوَّةَ الإِسْلَامِ؛ لأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ آخَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَمْزَةَ ﵄.

مِنْ أَوْسِمَةِ الأَحِبَّةِ:

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ عَلَى وَقَفَاتٍ مِنْ رَوَائِعِ كَلِمِهِ، وَبَدِيعِ تَلَطُّفِهِ ﷺ مَعَ أَحِبَّتِهِ وَقَرَابَتِهِ؛ حَيْثُ قَالَ لِعَلِيٍّ ﵁: «أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ»، وَقَالَ لِجَعْفَرٍ ﵁: «أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي»، وَقَالَ لِزَيْدٍ ﵁: «أَنْتَ أَخُونَا وَمَوْلَانَا» [البخاري: ٢٦٩٩].

النَّبِيُّ ﷺ يَتَزَوَّجُ مَيْمُونَةَ ﵂:

وَفِي هَذِهِ الْعُمْرَةِ «تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ مَيْمُونَةَ وَهُوَ مُحْرِمٌ، وَبَنَى بِهَا وَهُوَ حَلَالٌ ...» [البخاري: ٤٢٥٨، ومسلم: ١٤١٠]. بِمَكَانٍ يُسَمَّى «سَرِفَ». [أبو داود: ١٨٤٣، والنسائي في الكبرى: ٥٣٨٣]. «سَرِفُ» مَوْضِعٌ بَعْدَ التَّنْعِيمِ، يُعْرَفُ حَالِيًّا بِالنَّوَارِيَّةِ.

وَهِيَ آخِرُ مَنْ تَزَوَّجَ ﷺ مِنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ﵅. وَأَسْهَمَتْ هَذِهِ الْبَرَّةُ الطَّاهِرَةُ فِي نَقْلِ كَثِيرٍ مِنْ هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ لِلنَّاسِ.

ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في منزل سيد الناس ﷺ

مَيْمُونَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا هِيَ خَالَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَكَانَ غُلَامًا ذَكِيًّا، وَكَثِيرًا مَا كَانَ يَسْعَدُ بِالْمَبِيتِ عِنْدَهَا؛ لِيَظْفَرَ بِرُؤْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَرَوَى لَنَا رَوَائِعَ مِنْ وَصْفِ صَلَاتِهِ، وَجَمِيلِ مُنَاجَاتِهِ ﷺ. [البخاري: ١١٧، ومسلم: ٧٦٣].

النبي ﷺ يدعو لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

دَعَا النَّبِيُّ ﷺ لِابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مِرَارًا، يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ضَمَّنِي النَّبِيُّ ﷺ إِلَى صَدْرِهِ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الحِكْمَةَ» [البخاري: ٣٧٥٦].

وَفِي رِوَايَةٍ: «اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْكِتَابَ» [البخاري: ٧٥].

وَوَضَعَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَضُوءَهُ فَدَعَا لَهُ قَائِلًا: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» [البخاري: ١٤٣، ومسلم: ٢٤٧٧].

فَأَصْبَحَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ حَبْرَ الْأُمَّةِ وَتُرْجُمَانَ الْقُرْآنِ.

مجيء الروح الأمين عَلَيْهِ السَّلَامُ لتعليم الدين

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ

سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: صَدَقْتَ، فَعَجِبْنَا لَهُ؛ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»... قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ» [مسلم: ٨]. «مَلِيًّا»: وَقْتًا طَوِيلًا.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْإِيمَانُ؟....»،

وَفِيهِ: «قَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»...، ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رُدُّوا عَلَيَّ الرَّجُلَ»، فَأَخَذُوا لِيَرُدُّوهُ، فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دِينَهُمْ»» [البخاري: ٥٠، ومسلم: ٩].

إسلام العظماء

فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ أَخَذَ عِقْدُ قُرَيْشٍ فِي الِانْفِرَاطِ، وَذَلِكَ حِينَ سَارَعَ كَثِيرٌ مِنْ زُعَمَائِهَا وَفُرْسَانِهَا إِلَى إِعْلَانِ إِسْلَامِهِمْ، وَكَانَ مِمَّنْ أَسْلَمَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَعُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ رضي الله عنهم. [أحمد: ١٧٧٧٧].

من قائد للمشركين إلى سيف لرب العالمين :

كَانَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رضي الله عنه قَائِدًا شُجَاعًا، يَتَصَدَّرُ جُيُوشَ الْمُشْرِكِينَ وَحُرُوبَهُمْ ضِدَّ النَّبِيِّ ﷺ، فَهَدَاهُ اللَّهُ عز وجل لِلْإِسْلَامِ، فَتَحَوَّلَ فَارِسًا عَظِيمًا، وَقَائِدًا مُتَفَرِّدًا يُدَافِعُ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَيُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. [أحمد: ١٧٧٧٧]. وَاشْتَهَرَ بِحُسْنِ تَخْطِيطِهِ وَبَرَاعَةِ قِيَادَتِهِ، وَلَقَّبَهُ النَّبِيُّ ﷺ سَيْفَ اللَّهِ. [البخاري: ٣٧٥٧، ومسلم: ٩٤٦].

مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالْقِتَالِ إِلَى الْمَوَدَّةِ وَالإِجْلالِ:

يَقُولُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رضي الله عنه: «لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنِّي، وَلَا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ قَدِ اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ فَقَتَلْتُهُ، فَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلأُبَايِعْكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ، فَقَبَضْتُ يَدِي، قَالَ: «مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟» قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ، قَالَ: «تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟» قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي، قَالَ: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟» وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ؛ لأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ» [مسلم:١٢١].

النَّبِيُّ ﷺ يُكَاتِبُ الْمُلُوكَ وَالزُّعَمَاءَ

بَدَأَ النَّبِيُّ ﷺ يُكَاتِبُ مُلُوكَ الأَطْرَافِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ. عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: «أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَتَبَ إِلَى كِسْرَى، وَإِلَى

قَيصَر، وَإِلَى النَّجَاشِيِّ، وَإِلَى كُلِّ جَبَّارٍ، يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى»

[مسلم: ١٧٧٤]. «كِسْرَى»: مَلِكُ الفُرْسِ، «قَيصَرُ»: مَلِكُ الرُّومِ، «النَّجَاشِيُّ»: مَلِكُ الحَبَشَةِ.

الخَاتَمُ النَّبَوِيُّ

يَقُولُ أَنَسٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لَمَّا أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى الرُّومِ قِيلَ لَهُ: إِنَّهُمْ لَا يَقْرَؤُونَ كِتَابًا إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَخْتُومًا، فَاتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ، فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِهِ فِي يَدِهِ، وَنَقَشَ فِيهِ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ»

[البخاري: ٥٨٧٢، ومسلم: ٥٦/٢٠٩٢].

يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ

يَقُولُ أَبُو سُفْيَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي قِصَّةِ كِتَابِ النَّبِيِّ ﷺ لِقَيصَرِ الرُّومِ: ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُرِئَ، فَإِذَا فِيهِ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ، فَعَلَيْكَ إِثْمُ الأَرِيسِيِّينَ وَ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا

وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا ٱشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤]» [البخاري: ٢٩٤١، ومسلم: ١٧٧٣]. «الأريسيون»: رعايا الدولة التابعون له.

ملك الروم كاد أن يسلم

يَذْكُرُ أَبُو سُفيَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ بَعْدَ استِمَاعِ قَيصَرَ لِصِفَاتِ النَّبِيِّ ﷺ وَآدَابِهِ قَالَ: وَهَذِهِ صِفَةُ النَّبِيِّ، قَدْ كُنتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، وَلَكِنْ لَمْ أَظُنَّ أَنَّهُ مِنكُمْ، وَإِنْ يَكُ مَا قُلْتَ حَقًّا، فَيُوشِكُ أَنْ يَمْلِكَ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَلَوْ أَرْجُو أَنْ أَخْلُصَ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لُقِيَّهُ، وَلَوْ كُنتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ قَدَمَيْهِ. [البخاري: ٢٩٤١، ومسلم: ١٧٧٣]. «تجشمت»: تكلفت ولو بمشقة.

النبي ﷺ يدعو على كسرى

بَعَثَ ﷺ بِكِتَابٍ «إِلَى عَظِيمِ الْبَحْرَيْنِ، يَدْفَعُهُ عَظِيمُ الْبَحْرَيْنِ إِلَى كِسْرَى، فَلَمَّا قَرَأَهُ كِسْرَى حَرَّقَهُ...، فَدَعَا عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُمَزَّقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ» [البخاري: ٢٩٣٩]. وَهُوَ مَا حَدَثَ بَعْدَ ذَلِكَ.

مارية القبطية رَضِيَ اللهُ عَنْهَا الهدية المصرية

وَفِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ بَعْدَ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ، كَتَبَ النَّبِيُّ ﷺ كِتَابًا

إِلَى الْمُقَوْقِسِ مَلِكِ مِصْرَ، وَأَرْسَلَهُ مَعَ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَعِنْدَ عَوْدَتِهِ أَرْسَلَ الْمُقَوْقِسُ مَعَهُ جَارِيَتَيْنِ هَدِيَّةً لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَهُمَا: مَارِيَةُ بِنْتُ شَمْعُونَ الْقِبْطِيَّةُ الْمِصْرِيَّةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَأُخْتُهَا سِيرِينُ. فَاخْتَارَ النَّبِيُّ ﷺ لِنَفْسِهِ مَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَوَهَبَ أُخْتَهَا سِيرِينَ لِشَاعِرِهِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. [الآحاد والمثاني: ٣٦٣].

النَّبِيُّ ﷺ يُوصِي بِأَهْلِ مِصْرَ

مِصْرُ بَلَدٌ مَنَاقِبُهُ كَثِيرَةٌ، وَقَدْ أَوْصَى النَّبِيُّ ﷺ بِأَهْلِهَا خَيْرًا؛ كَرَامَةً لِجَدَّتِهِ الْمِصْرِيَّةِ هَاجَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أُمِّ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلِمَارِيَةَ الْقِبْطِيَّةِ الْمِصْرِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أُمِّ وَلَدِهِ إِبْرَاهِيمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَمِنْ دَلَائِلِ نُبُوَّتِهِ ﷺ: أَنَّهُ أَخْبَرَ بِفَتْحِ مِصْرَ قَبْلَ حُدُوثِهِ. عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ، وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا» [مسلم: ٦٥٤٣/٢٢٧]. «الْقِيرَاطُ»: جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ الدِّرْهَمِ.

وفاة زينب رضي الله عنها

وَفِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ مَاتَتِ ابنَةُ النَّبِيِّ ﷺ زَيْنَبُ رضي الله عنها، الَّتِي هَاجَرَتْ إِلَى وَالِدِهَا ﷺ، وَأُوذِيَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ وَصَبَرَتْ وَاحْتَسَبَتْ. وَهِيَ زَوْجَةُ أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ رضي الله عنه، وَلَقَدْ حَظِيَتْ زَيْنَبُ رضي الله عنها بِأَنْ كُفِّنَتْ فِي أَحَدِ ثَوْبَيْ وَالِدِهَا ﷺ.

[البخاري: ١٢٦٣، ومسلم: ٤٠/٩٣٩].

معركة مؤتة واستشهاد الأبطال رضي الله عنهم

وَفِي تِلْكَ السَّنَةِ حَدَثَتْ مَعْرَكَةُ مُؤْتَةَ، وَكَانَتْ مَعْرَكَةً دَامِيَةً أَحْزَنَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَأَحْزَنَتِ الْمُسْلِمِينَ، وَآلَمَتْ قُلُوبَهُمْ. وَقَدْ جَهَّزَ النَّبِيُّ ﷺ جَيْشًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ رضي الله عنه.

مُؤْتَةُ: بَلْدَةٌ تَقَعُ فِي مُحَافَظَةِ الْكَرَكِ بِالْأُرْدُنِّ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: أَمَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ مُؤْتَةَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعْفَرٌ، وَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ» [البخاري: ٤٢٦١].

وَفُوجِئَ الْمُسْلِمُونَ بِجَيْشٍ عَظِيمٍ، وَلَكِنَّهُمْ رضي الله عنهم سَطَّرُوا

بُطولَاتٍ مَجِيدَةً، وَتَضحِيَاتٍ فَرِيدَةً، وَاستُشهِدَ عَدَدٌ مِنهُم، وَعَلَى رَأسِهِمْ قَادَةُ الجَيشِ الثَّلَاثَةُ، ثُمَّ أَنقَذَ اللهُ ﷻ المُسلِمِينَ بِقِيَادَةِ سَيفِ اللهِ المَسلُولِ خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ رضي الله عنه، وَخُطَّتِهِ المُحكَمَةِ لِحَقنِ دِمَاءِ المُسلِمِينَ.

وَقَد جَاءَ الوَحيُ بِخَبَرِهِمْ لِلنَّبِيِّ ﷺ؛ عَن أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَعَى زَيدًا وَجَعفَرًا وَابنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ قَبلَ أَن يَأتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ، فَقَالَ: «أَخَذَ الرَّايَةَ زَيدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا عَبدُ اللهِ بنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ - وَإِنَّ عَينَي رَسُولِ اللهِ ﷺ لَتَذرِفَانِ - ثُمَّ أَخَذَهَا خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ مِن غَيرِ إِمرَةٍ فَفُتِحَ لَهُ» [البخاري: ١٢٤٦].

وَفِي رِوَايَةٍ: «حَتَّى أَخَذَ سَيفٌ مِن سُيُوفِ اللهِ، حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيهِمْ» [البخاري: ٣٧٥٧].

بضع وتسعون طعنة ورمية :

يَقُولُ عَبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ رضي الله عنهما: «كُنتُ فِيهِمْ فِي تِلكَ الغَزوَةِ، فَالتَمَسنَا جَعفَرَ بنَ أَبِي طَالِبٍ، فَوَجَدنَاهُ فِي القَتلَى، وَوَجَدنَا مَا فِي جَسَدِهِ بِضعًا وَتِسعِينَ، مِن طَعنَةٍ وَرَميَةٍ» [البخاري: ٤٢٦٠].

سَيْفُ اللهِ المَسْلُولُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَالأَسْيَافُ التِّسْعَةُ :

يَقُولُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لَقَدِ انْقَطَعَتْ فِي يَدِي يَوْمَ مُؤْتَةَ تِسْعَةُ أَسْيَافٍ، فَمَا بَقِيَ فِي يَدِي إِلَّا صَفِيحَةٌ يَمَانِيَةٌ» [البخاري: ٤٢٦٥].

اهْتِمَامَاتٌ نَبَوِيَّةٌ بِالرِّيَاضَةِ وَالْفُرُوسِيَّةِ

الْإِسْلَامُ دِينُ الشَّجَاعَةِ، وَمَنْبَعُ الْقُوَّةِ، وَمَعْدِنُ الْفُرُوسِيَّةِ، وَمَيْدَانُ الْهِمَّةِ وَالنَّشَاطِ وَالْحَيَوِيَّةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة: ٦٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وَيَقُولُ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ» [مسلم: ٢٦٦٤]. وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشْجَعَ النَّاسِ. [البخاري: ٢٨٢٠، ومسلم: ٢٣٠٧]. وَكَانَ ﷺ يَحُثُّ عَلَى الاهْتِمَامِ بِصِحَّةِ الْأَجْسَامِ، وَعُلُوِّ الْهِمَمِ، وَقُوَّةِ الْعَزَائِمِ. وَحَثَّ ﷺ عَلَى الرِّيَاضَةِ وَالْفُرُوسِيَّةِ بِأَنْوَاعِهَا، وَعَمَرَتْ سِيرَتُهُ الشَّرِيفَةُ بِكَثِيرٍ مِنْ ذَلِكَ، مِنْهَا: السِّبَاقُ وَالسِّبَاحَةُ. [النسائي في الكبرى: ٨٨٨٩]. وَاللَّعِبُ يَوْمَ الْعِيدِ بِأَنْوَاعِ السِّلَاحِ. [البخاري: ٩٤٩، ٩٥٠، ومسلم: ٨٩٢/١٧]. وَتَشْجِيعُهُ ﷺ

لأَصحابِ الْمَواهِبِ الْبُطوليَّةِ، مِثْلُ قَوْلِهِ ﷺ: «كَانَ خَيْرَ فُرسَانِنَا الْيَوْمَ أَبُو قَتَادَةَ، وَخَيْرَ رَجَّالَتِنَا سَلَمَةُ» [مسلم: ١٨٠٧]. وَتَشْجِيعُهُ ﷺ لِلرُّمَاةِ مِنْ أَصحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِثْلِ أَبِي طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي كَانَ رَامِيًا مَاهِرًا، كَسَرَ يَوْمَ أُحُدٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا. [البخاري: ٤٠٦٤، ومسلم: ١٨١١]. وَمِثْلِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْقَائِلِ: «إِنِّي لَأَوَّلُ الْعَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» [البخاري: ٣٧٢٨، ومسلم: ٢٩٦٦]. وَهُوَ الَّذِي قَالَ لَهُ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ: «ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي» [البخاري: ٢٩٠٥، ومسلم: ٢٤١١]. وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ» [مسلم: ١٩١٧]. وَقَالَ ﷺ: «مَنْ عَلِمَ الرَّمْيَ، ثُمَّ تَرَكَهُ، فَلَيْسَ مِنَّا» [مسلم: ١٩١٩].

وَمَرَّ ﷺ بِأُنَاسٍ مِنْ أَصحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَتَنَافَسُونَ فِي الرِّمَايَةِ فَقَالَ ﷺ: «ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ، فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا» [البخاري: ٢٨٩٩].

وَكَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ قَالَتْ: فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ عَلَى رِجْلَيَّ، فَلَمَّا حَمَلْتُ اللَّحْمَ سَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي، فَقَالَ: «هَذِهِ بِتِلْكَ السَّبْقَةِ» [أبو داود: ٢٥٧٨، والنسائي في الكبرى: ٨٨٩٦، وابن ماجه: ١٩٧٩].

وَرَعَى النَّبِيُّ ﷺ سِبَاقًا لِلْجَرْيِ عَلَى الْأَقْدَامِ. [مسلم: ١٨٠٧].

أَمَّا الْفُرُوسِيَّةُ فَقَدْ أَوْلَاهَا ﷺ اهْتِمَامًا كَبِيرًا، وَلَقِيَتْ مِنْهُ تَشْجِيعًا كَثِيرًا، يَقُولُ ﷺ: «الْخَيْلُ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» [البخاري: ٢٨٤٩، ومسلم: ١٨٧١]. وَسَابَقَ ﷺ بَيْنَ الْفُرْسَانِ فِي مَسَافَاتٍ مُحَدَّدَةٍ، وَبَيْنَ الْخَيْلِ الْمُضَمَّرَةِ وَبَيْنَ الَّتِي لَمْ تُضَمَّرْ، وَكَانَ عَبْدُاللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِيمَنْ سَابَقَ بِهَا. [البخاري: ٤٢٠، ومسلم: ١٨٧٠]. اضْمَرَ الْخَيْلَ: عَلَفَهُ وَسَقَاهُ مُدَّةً ثُمَّ أَرْكَضَهُ لِيَخِفَّ وَزْنُهُ.

مراكب نبوية

كَانَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَرَاكِبُ عَدِيدَةٌ، وَمِنْهَا: النَّاقَةُ الْجَدْعَاءُ الَّتِي هَاجَرَ عَلَيْهَا ﷺ [البخاري: ٤٠٩٣]. وَمِنْهَا: النَّاقَةُ الْعَضْبَاءُ [البخاري: ٢٨٧٢، ومسلم: ٣٥ (١/٦٥)]، وَالنَّاقَةُ الْقَصْوَاءُ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ وَيَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وَفِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ [البخاري: ٤٤٠٠، ومسلم: ١٢١٨]، وَخَطَبَ ﷺ فِي النَّاسِ مِرَارًا وَهُوَ رَاكِبٌ عَلَيْهَا [مسلم: ١٢١٨]، وَكَانَتْ رَاحِلَتَهُ ﷺ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَسْفَارِهِ.

وَكَانَ لَهُ ﷺ «فَرَسٌ يُقَالُ لَهُ: اللُّحَيْفُ» [البخاري: ٢٨٥٥]، وَ«حِمَارٌ يُقَالُ لَهُ: عُفَيْرٌ» [البخاري: ٢٨٥٦، ومسلم: ٣٠/١٠]، وَبَغْلَةٌ بَيْضَاءُ أَهْدَاهَا لَهُ مَلِكُ أَيْلَةَ [البخاري: ١٤٨١، ومسلم: ١٣٩٢ (١/١٧٨٥)]، وَبَغْلَةٌ تُسَمَّى: الشَّهْبَاءُ [مسلم: ١٧٧٥].

ناقة لا تُسبق:

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ نَاقَةٌ تُسَمَّى العَضْبَاءَ، لَا تُسْبَقُ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَعُودٍ فَسَبَقَهَا، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى المُسْلِمِينَ حَتَّى عَرَفَهُ، فَقَالَ ﷺ: «حَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَرْتَفِعَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ» [البخاري: ٢٨٧٢]. «القَعُودُ»: الجَمَلُ الصَّغِيرُ إِلَى أَنْ يَبْلُغَ السَّادِسَةَ.

الوفاء للعضباء:

امتَدَّ وَفَاءُ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الإِنْسَانِ لِيَشْمَلَ الحَيَوَانَ، فَهَذِهِ العَضْبَاءُ نَاقَةُ النَّبِيِّ ﷺ أَسَرَهَا أُنَاسٌ مِنَ المُشْرِكِينَ، وَأَسَرُوا مَعَهَا امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ، فَاسْتَطَاعَتِ المَرْأَةُ أَنْ تَهْرُبَ عَلَى العَضْبَاءِ، وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا اللَّحَاقَ بِهَا لِسُرْعَتِهَا، وَنَذَرَتِ المَرْأَةُ للهِ «إِنْ نَجَّاهَا اللهُ عَلَيْهَا لَتَنْحَرَنَّهَا، فَلَمَّا قَدِمَتِ المَدِينَةَ رَآهَا النَّاسُ، فَقَالُوا: العَضْبَاءُ نَاقَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: إِنَّهَا نَذَرَتْ إِنْ نَجَّاهَا اللهُ عَلَيْهَا لَتَنْحَرَنَّهَا، فَأَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللهِ! بِئْسَمَا جَزَتْهَا، نَذَرَتْ للهِ إِنْ نَجَّاهَا اللهُ عَلَيْهَا لَتَنْحَرَنَّهَا! لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةٍ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ العَبْدُ» [مسلم: ١٦٤١].

اللهم أنت الصاحب في السفر

كَانَ ﷺ إِذَا خَرَجَ إِلَى سَفَرٍ «كَبَّرَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا، وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ، وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ»، وَإِذَا رَجَعَ قَالَهُنَّ وَزَادَ فِيهِنَّ: «آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ»» [مسلم: ١٣٤٢]. وَهَذَا مِنْ جَوَامِعِ كَلَامِهِ، وَبَلِيغِ أَحَادِيثِهِ ﷺ. «وَعْثَاءِ»: مَشَقَّةُ.

سَرِيَّةُ ذَاتِ السَّلَاسِلِ

وَفِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ كَانَتْ سَرِيَّةُ ذَاتِ السَّلَاسِلِ بِقِيَادَةِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَمْ يَجِدُوا مُقَاوَمَةً؛ لِأَنَّ الْقَوْمَ هَرَبُوا. عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ [البخاري: ٣٦٦٢، ومسلم: ٢٣٨٤]. وَكَانَ ضِمْنَ هَذِهِ السَّرِيَّةِ كِبَارُ الصَّحَابَةِ، وَمِنْهُمْ: أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. [الحاكم: ٣/٤٤، ١٣]. «ذَاتُ السَّلَاسِلِ»: مِنْطَقَةٌ تَقَعُ شَمَالَ الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ.

الفتح المبين

وَفِي تِلْكَ السَّنَةِ أَكْرَمَ اللهُ ﷻ نَبِيَّهُ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ بِالْفَتْحِ الْعَظِيمِ. فَبعدَ عقدِ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ بَشَّرَ اللهُ ﷻ النَّبِيَّ ﷺ بِقَوْلِهِ تعَالَى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١]، وَكَانَ مِنْ ضِمْنِ شُرُوطِ الصُّلْحِ بُنُودٌ فِي ظَاهِرِهَا شَيْءٌ مِنَ الْعَنَتِ، وَلَكِنَّهُ ﷺ لِحِكْمَةٍ يَعْلَمُهَا وَمَصْلَحَةٍ يُدْرِكُهَا وَافَقَ عَلَيْهَا، إِلَّا أَنَّ قُرَيْشًا بَعْدَ ذَلِكَ أَخَلَّتْ بِشُرُوطِ الصُّلْحِ، مِمَّا فَتَحَ الْأَبْوَابَ أَمَامَ النَّبِيِّ ﷺ لِفَتْحِ مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ. [البخاري: ٤٢٨٠، ومسلم: ٣٠٠].

وَقَدْ تَوَجَّهَ ﷺ إِلَيْهَا بِجَيْشٍ كَبِيرٍ، وَلَمْ يُعْلِمْ أَحَدًا بِوِجْهَتِهِ، حَتَّى لَا يَسْتَعِدَّ الْمُشْرِكُونَ لِلْقِتَالِ.

خطأ جسيم وتعامل كريم:

أَرْسَلَ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى الْمُشْرِكِينَ كِتَابًا مَعَ امْرَأَةٍ يُخْبِرُهُمْ عَنْ قُدُومِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ، لِيَتَّخِذَ بِذَلِكَ يدًا عِنْدَهُمْ لِحِمَايَةِ أَهْلِهِ هُنَاكَ، فَأَعْلَمَ اللهُ ﷻ نَبِيَّهُ ﷺ بِذَلِكَ، فَبَعَثَ ﷺ عَلِيًّا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ فَأَخَذُوا الْكِتَابَ مِنَ الْمَرْأَةِ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى حَاطِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ: «لَا تَعْجَلْ،

وَاللهِ مَا كَفَرْتُ وَلَا ازْدَدْتُ لِلْإِسْلَامِ إِلَّا حُبًّا، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَّا وَلَهُ بِمَكَّةَ مَنْ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهِ عَنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ، وَلَمْ يَكُنْ لِي أَحَدٌ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا، فَصَدَّقَهُ النَّبِيُّ ﷺ» [البخاري: ٣٠٨١، ومسلم: ٢٤٩٤]، وَلَمَّا قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، قَالَ ﷺ: «إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ؟! لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ» [البخاري: ٣٠٠٧، ومسلم: ٢٤٩٤]، وَفِي رِوَايَةٍ: «فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ، وَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ» [البخاري: ٣٩٨٣].

بداية الانطلاق:

غَادَرَ ﷺ الْمَدِينَةَ فِي الْعَاشِرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُبَارَكِ فِي عَشَرَةِ آلَافٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ. [البخاري: ٤٢٧٦]. وَقَدْ أَفْطَرَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَفْطَرَ أَصْحَابُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ حِينَ دَنَوْا مِنْ مَكَّةَ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَقْوَى لَهُمْ عَلَى مُوَاجَهَةِ أَعْدَائِهِمْ. [البخاري: ٤٢٧٩، ومسلم: ١١١٣].

زعيم قريش يتحسس الأخبار ويعلن إسلامه:

سَمِعَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِخُرُوجِ النَّبِيِّ ﷺ

إِلَى مَكَّةَ، فَخَرَجَ يَلْتَمِسُ الأَخْبَارَ وَمَعَهُ بَعْضُ قَوْمِهِ، فَرَآهُ نَاسٌ مِنْ حَرَسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَخَذُوهُ، وَأَتَوا بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فَأَسْلَمَ. [البخاري: ٤٢٨٠].

الكتائب تمر بأبي سفيان رضي الله عنه:

كَانَ مِنْ حُسْنِ سِيَاسَةِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ أَمَرَ بِحَجْزِ أَبِي سُفْيَانَ رضي الله عنه فِي مَضِيقِ الوَادِي، فِي مَكَانٍ بَارِزٍ لِتَمُرَّ أَمَامَهُ كَتَائِبُ المُسْلِمِينَ؛ كَيْ يَرَى كَثْرَةَ عَدَدِهِمْ وَعَتَادِهِمْ، وَعُلُوَّ هِمَمِهِمْ وَاسْتِعْدَادِهِمْ، فَقَالَ ﷺ لِلْعَبَّاسِ رضي الله عنه: «احْبِسْ أَبَا سُفْيَانَ عِنْدَ خَطْمِ الجَبَلِ؛ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى المُسْلِمِينَ» [البخاري: ٤٢٨٠]. فَنُهِلَ مِمَّا رَأَى، وَكُلَّمَا مَرَّتْ كَتِيبَةٌ قَالَ: مَا لِي وَلِهَؤُلَاءِ؟! ثُمَّ جَاءَتْ كَتِيبَةٌ مَهِيبَةٌ خَضْرَاءُ، فَإِذَا بِهِمُ المُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ رضي الله عنهم وَ«فِيهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، وَرَايَةُ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ» [البخاري: ٤٢٨٠]. فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ رضي الله عنه: «مَا لِأَحَدٍ بِهَؤُلَاءِ قِبَلٌ وَاللهِ» [الطحاوي: [illegible]]. «خَطْمُ الجَبَلِ»: أَنْفُهُ البَارِزُ. «قِبَلٌ»: أَيْ: قُدْرَةٌ عَلَى المُوَاجَهَةِ.

اليوم يوم المرحمة:

لَمَّا مَرَّتْ كَتِيبَةُ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ رضي الله عنه بِأَبِي سُفْيَانَ رضي الله عنه قَالَ سَعْدٌ:

«الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ، الْيَوْمَ تُسْتَحَلُّ الْكَعْبَةُ» [البخاري: ٤٢٨٠]. فَأَخْبَرَ أَبُو سُفْيَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ النَّبِيَّ ﷺ بِمَقَالَةِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَذَا يَوْمٌ يُعَظِّمُ اللهُ فِيهِ الْكَعْبَةَ، وَيَوْمٌ تُكْسَى فِيهِ الْكَعْبَةُ» [البخاري: ٤٢٨٠].

دُخُولُ مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ:

لَمْ تَسْتَطِعْ قُرَيْشٌ أَنْ تَمْنَعَ النَّبِيَّ ﷺ وَجُنْدَهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الدُّخُولِ إِلَى مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ، فَدَخَلُوهَا فَاتِحِينَ. [البخاري: [illegible]]. وَإِذَا بِالتَّكْبِيرِ يَتَعَالَى فِي أَنْحَائِهَا، وَشَمْسُ التَّوْحِيدِ تُشْرِقُ فِي أَرْجَائِهَا. وَأَقَرَّ اللهُ تَعَالَى عَيْنَهُ ﷺ وَأَعْيُنَ الْمُسْلِمِينَ بِهَذَا الْفَتْحِ الْمُبِينِ، وَجَاءَ نَصْرُ اللهِ ﷻ، وَتَحَقَّقَ مَوْعُودُهُ، وَدَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا.

أَعْظَمُ النَّاسِ تَوَاضُعًا:

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا كَلَّمَ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ فَأَخَذَتْهُ الرِّعْدَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَوِّنْ عَلَيْكَ؛ فَإِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ» [ابن ماجه: ٣٣١٢، والحاكم ٢/٤٦٧، [illegible]].

«الْقَدِيدُ» هُوَ اللَّحْمُ الْمُمَلَّحُ وَالْمُجَفَّفُ فِي الشَّمْسِ.

النَّبِيُّ ﷺ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَيُحَطِّمُ الْأَصْنَامَ:

دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ خَاشِعًا مُتَوَاضِعًا، فَطَافَ بِالْكَعْبَةِ وَصَلَّى بِهَا،

وَاسْتَلَمَ الحَجَرَ الأَسْوَدَ، وَحَطَّمَ الأَصْنَامَ، وَطَهَّرَ البَيْتَ الحَرَامَ، وَرَفَعَ رَايَةَ التَّوْحِيدِ. عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ يَوْمَ الفَتْحِ، وَحَوْلَ البَيْتِ سِتُّونَ وَثَلَاثُمِائَةِ نُصُبٍ، فَجَعَلَ يَطْعَنُهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ، وَيَقُولُ: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١] ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٩]». [البخاري: ٤٢٨٧، ومسلم: ١٧٨١]. النُّصُبُ: مَا كَانَ يُنْصَبُ مِنَ الأَصْنَامِ لِيُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللهِ تَعَالَى.

لا تثريب عليكم اليوم:

سَرَتِ الطُّمَأْنِينَةُ فِي أَرْجَاءِ مَكَّةَ، وَحَلَّ الأَمْنُ بِجَنَبَاتِهَا حِينَ نَادَى ﷺ فِي النَّاسِ: «مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَلْقَى السِّلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ» [مسلم: ١٧٨٠/٨٦]. وَأَصْدَرَ ﷺ عَفْوًا عَامًّا عَنِ المُشْرِكِينَ، حَيْثُ قَالَ: «فَإِنِّي أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢]» فَخَرَجُوا فَبَايَعُوهُ عَلَى الإِسْلَامِ. [النسائي في الكبرى: ١١٢٣٦].

وَقَدْ سُمُّوا بِالطُّلَقَاءِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَطْلَقَ سَرَاحَهُمْ وَعَفَا عَنْهُمْ. [البخاري: ٤٣٣٣، ومسلم: ١٠٥٩/ ١٣٥].

مفتاح الكعبة والوفاء النبوي:

يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ٥٨]. كَانَ مِفْتَاحُ الْكَعْبَةِ وَحِجَابَتُهَا عِنْدَ بَنِي شَيْبَةَ مُنْذُ الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَتِ السِّقَايَةُ عِنْدَ بَنِي هَاشِمٍ، فَلَمَّا فَتَحَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةَ «دَعَا عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: «ائْتِنِي بِالْمِفْتَاحِ»...، فَجَاءَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ، فَفَتَحَ الْبَابَ» [البخاري: ٤٤٠٠، ومسلم: ١٣٢٩/٣٩٠]، ثُمَّ أَعَادَهُ ﷺ إِلَيْهِمْ، وَبَقِيَ ذَلِكَ الشَّرَفُ فِي ذُرِّيَّتِهِمْ إِلَى الْيَوْمِ.

النبي ﷺ يصلي في الكعبة:

دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْكَعْبَةَ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ «بَيْنَ الْعَمُودَيْنِ الْمُقَدَّمَيْنِ» [البخاري: ٥٠٥، ومسلم: ١٣٢٩/٣٩٧].

تأكيد حرمة مكة المكرمة:

مَكَّةُ الْمُكَرَّمَةُ أَقْدَسُ بَلَدٍ فِي الْعَالَمِ، فَهِيَ مَهْبِطُ الْوَحْيِ، وَقِبْلَةُ الْمُسْلِمِينَ، وَمَهْوَى قُلُوبِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ وَالصَّالِحِينَ، ﷻ: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٦]،

وَأَقْسَمَ بِهَا ﷻ فَقَالَ: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين: ٣]. وَخَطَبَ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذَا بَلَدٌ حَرَّمَ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، وَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهِ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» [البخاري: ١٨٣٤، ومسلم: ١٣٥٣].

صلاة الضحى يوم الفتح:

عَنْ أُمِّ هَانِئٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ، فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ وَفَاطِمَةُ ابْنَتُهُ تَسْتُرُهُ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: «مَنْ هَذِهِ؟»، فَقُلْتُ: أَنَا أُمُّ هَانِئٍ بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: «مَرْحَبًا بِأُمِّ هَانِئٍ»، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غُسْلِهِ، قَامَ فَصَلَّى ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ... وَذَاكَ ضُحًى. [البخاري: ٣٥٧، ومسلم: ٣٣٦/ ٨٢ (١/ ٤٩٨)].

التمكين للدين:

وَ«أَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَكَّةَ تِسْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ» [البخاري: ٤٢٩٨]. أَيْ: يَقْصُرُ الصَّلَاةَ الرُّبَاعِيَّةَ. فَوَطَّنَ لِلْإِسْلَامِ، وَمَكَّنَ

لِلْحَقِّ، وَاسْتَطَاعَ بِفَضْلِ اللهِ تَعَالَى، ثُمَّ بِجَمِيلِ حِكْمَتِهِ ﷺ، وَكَرِيمِ أَخْلَاقِهِ، وَلَطِيفِ عَفْوِهِ، وَحُسْنِ سِيَاسَتِهِ، أَنْ يَجْعَلَ مِنْ أَعْدَاءِ الدَّعْوَةِ أَنْصَارًا لَهَا، حَامِلِينَ لِلِوَائِهَا.

نظراتُ وداعٍ:

وَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ مُوَدِّعًا مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةَ قَبْلَ عَوْدَتِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ؛ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ حَمْرَاءَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ، وَاقِفٌ بِالْحَزْوَرَةِ يَقُولُ: «وَاللَّهِ، إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ، لَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ» [الترمذي: ٣٩٢٥، والنسائي في الكبرى: ٤٢٣٨، وابن ماجه: ٣١٠٨]. «الْحَزْوَرَةُ»: مَوْضِعٌ بِمَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ.

الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ

أَوَّلُ مَسْجِدٍ فِي الْأَرْضِ [البخاري: ٣٣٦٦، ومسلم: ٥٢٠]، وَأَعْظَمُ بُقْعَةٍ فِي الدُّنْيَا. الْمَسْجِدُ الَّذِي تَهْفُو إِلَيْهِ النُّفُوسُ، وَتَشْتَاقُ إِلَيْهِ الْقُلُوبُ، وَتُضَاعَفُ فِيهِ الْحَسَنَاتُ؛ قَالَ ﷺ: «لَا تَشُدُّوا الرِّحَالَ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِي هَذَا، وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى» [البخاري: ١٩٩٥، ومسلم: ٨٢٧ (٢/٩٧٥)].

وَقَالَ ﷺ: «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ، إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ» [البخاري: ١١٩٠، ومسلم: ١٣٩٤]. وَقَالَ ﷺ: «وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ» [ابن ماجه: ١٤٠٦].

قُرَيْشٌ وَالشَّرَفُ الْعَظِيمُ

قُرَيْشٌ سَيِّدَةُ الْقَبَائِلِ، وَمَعْدِنُ الْفَضَائِلِ، فَمِنْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْقَائِلُ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ» [مسلم: ٢٢٧٦]. وَيَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ بَطْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا وَلَهُ فِيهِ قَرَابَةٌ» [البخاري: ٣٤٩٧]. وَبِلِسَانِ قُرَيْشٍ نَزَلَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ [البخاري: ٣٥٠٦]. وَجَاءَتْ سُورَةٌ بِاسْمِهِمْ، قَالَ: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝١ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤﴾ [سورة قريش]. «الإِيلَافُ» أَيْ: لِائْتِلَافِهِمْ وَاجْتِمَاعِهِمْ فِي بَلَدِهِمْ آمِنِينَ.

وَقَالَ ﷺ: «النَّاسُ تَبَعٌ لِقُرَيْشٍ» [البخاري: ٣٤٩٥، ومسلم: ١٨١٨].

غَزْوَةُ حُنَيْنٍ

وَفِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ عقِبَ الْفَتْحِ الأَعْظَمِ كَانَتْ غَزْوَةُ حُنَيْنٍ إِلَى هَوَازِنَ وَثَقِيفٍ؛ إِذْ سَارَ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ فِي عَشَرَةِ آلَافِ مُقَاتِلٍ وَمَعَهُ الطُّلَقَاءُ، وَكَادَ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يَنْهَزِمُوا، لَوْلَا فَضْلُ اللهِ ﷻ، ثُمَّ شَجَاعَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَصُمُودُهُ الَّذِي ثَبَّتَ الْقُلُوبَ، وَأَعَادَ الْكَرَّةَ لِلْمُسْلِمِينَ، فَانْتَصَرُوا نَصْرًا عَظِيمًا. [البخاري: ٤٣٣٧، ومسلم: ١٠٥٩/١٣٥].

«حُنَيْنٌ» وَادٍ شَرْقَ مَكَّةَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الطَّائِفِ، «هَوَازِنُ وَثَقِيفٌ» قَبِيلَتَانِ مَشْهُورَتَانِ تَسْكُنَانِ الطَّائِفَ وَمَا حَوْلَهَا، «الطُّلَقَاءُ» الَّذِينَ أَسْلَمُوا يَوْمَ الْفَتْحِ بَعْدَ أَنْ عَفَا عَنْهُمْ ﷺ.

لَنْ نُغْلَبَ الْيَوْمَ مِنْ قِلَّةٍ:

كَانَ عَدَدُ الْمُسْلِمِينَ كَبِيرًا، حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ: لَنْ نُغْلَبَ الْيَوْمَ مِنْ قِلَّةٍ. [أبو عوانة: [illegible]]. فَكَانَ الدَّرْسُ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا يُنْسَى.

قَالَ ﷻ: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [التوبة: ٢٥، ٢٦].

أنا النبي لا كذب:

لَمَّا انهزمَ النَّاسُ فِي بِدَايَةِ المَعْرَكَةِ، ثَبتَ النَّبِيُّ ﷺ، وَهُوَ يُرَدِّدُ: «أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ» [البخاري: ٢٨٦٤، ومسلم: ١٧٧٦].

من دلائل النبوة يوم حنين:

لَمَّا اشتَدَّ القِتَالُ، نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ بَغلَتِهِ، ثُمَّ قَبَضَ قَبضَةً مِنْ تُرَابٍ مِنَ الأَرْضِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ بِهِ وُجُوهَهُمْ، فَقَالَ: «شَاهَتِ الوُجُوهُ»، فَمَا خَلَقَ اللهُ مِنهُم إِنسَانًا إِلَّا مَلَأَ عَيْنَيْهِ تُرَابًا بِتِلْكَ القَبْضَةِ، فَوَلَّوا مُدْبِرِينَ، فَهَزَمَهُمُ اللهُ ﷻ [مسلم: ١٧٧٧]، وَفِي لَفظٍ: فَقَالَ ﷺ: «هَذَا حِينَ حَمِيَ الوَطِيسُ... انهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ...» [مسلم: ١٧٧٥]. «حَمِيَ الوَطِيسُ»: اشتَدَّتِ المَعْرَكَةُ.

شجاعة امرأة مسلمة:

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ أُمَّ سُلَيمٍ اتَّخَذَتْ يَومَ حُنَينٍ خِنجَرًا، فَكَانَ مَعَهَا، فَرَآهَا أَبُو طَلحَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذِهِ أُمُّ سُلَيمٍ مَعَهَا خِنجَرٌ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا هَذَا الخِنجَرُ؟» قَالَتْ: اتَّخَذتُهُ إِنْ دَنَا مِنِّي أَحَدٌ مِنَ المُشرِكِينَ بَقَرتُ بِهِ بَطنَهُ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَضحَكُ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، اقتُلْ مَنْ بَعدَنَا

مِنَ الطُّلَقَاءِ انهزَمُوا بِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَفَى وَأَحْسَنَ» [مسلم: ١٨٠٩]. «بَقَرْتُ بَطْنَهُ»: شَقَقْتُهُ وَفَتَحْتُهُ، «انهزَمُوا بِكَ»: أَيْ: عَنْكَ.

عَطَاءُ مَنْ لا يَخْشَى الفَقْرَ:

حِينَ عَادَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ حُنَيْنٍ تَزَاحَمَ النَّاسُ عَلَيْهِ يَسْأَلُونَهُ العَطَاءَ، وَهُوَ يُعْطِي عَطَاءَ مَنْ لَا يَخْشَى الفَقْرَ، فَأَلْجَؤُوهُ إِلَى سَمُرَةٍ، فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ، فَوَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «أَعْطُونِي رِدَائِي، لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ العِضَاهِ نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بَخِيلًا وَلَا كَذُوبًا وَلَا جَبَانًا» [البخاري: ٢٨٢١]. «السَّمُرَةُ»: شَجَرَةٌ كَثِيفَةُ الأَوْرَاقِ وَالأَشْوَاكِ. «العِضَاهُ»: كُلُّ شَجَرٍ لَهُ شَوْكٌ.

فَنُّ اسْتِمَالَةِ القُلُوبِ:

عَنْ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «وَاللهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا أَعْطَانِي، وَإِنَّهُ لَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ، فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ» [مسلم: ٢٣١٣].

بَوَادِرُ الغُلُوِّ وَالتَّطَرُّفِ:

بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ يُقَسِّمُ عَطَاءً بَيْنَ النَّاسِ بَعْدَ حُنَيْنٍ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ:

«يَا مُحَمَّدُ، اعْدِلْ، قَالَ: «وَيْلَكَ! وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ؟! لَقَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ»، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دَعْنِي، يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَقْتُلَ هَذَا الْمُنَافِقَ، فَقَالَ: «مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي، إِنَّ هَذَا وَأَصْحَابَهُ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْهُ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»» [البخاري: ٣١٣٨، ومسلم: ١٠٦٣]. «يَمْرُقُونَ»: يَخْرُجُونَ. «الرَّمِيَّةُ»: الصَّيْدُ الْمَرْمِيُّ.

وَقَالَ عَنْهُمْ ﷺ: «يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ» [البخاري: ٣٦١٠، ومسلم: ١٠٦٤/١٤٨]. وَفِي رِوَايَةٍ: «يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ» [البخاري: ٣٣٤٤]. «لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»: لَأَسْتَأْصِلَنَّهُمْ فَلَا أُبْقِي مِنْهُمْ أَحَدًا.

لَقَدْ أَخْبَرَ ﷺ أَنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ بَادِرَةٌ سَيِّئَةٌ، وَبِذْرَةٌ خَبِيثَةٌ لِأُنَاسٍ يَأْتُونَ بَعْدَهُ، يَحْمِلُونَ هَذَا الْفِكْرَ الْمُتَطَرِّفَ، وَالنَّهْجَ الضَّالَّ، وَالْغُلُوَّ الْمَمْقُوتَ، وَهُوَ مَا حَدَثَ عِنْدَ مَنْ عُرِفُوا بِالْخَوَارِجِ وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ سَارَ عَلَى مَنْهَجِهِمْ عَبْرَ الْعُصُورِ. وَابْتُلِيَتْ بِهِمُ الْأُمَّةُ، وَأُسِيءَ لِلْإِسْلَامِ بِسَبَبِهِمْ، فَهُمْ كَمَا ﷻ: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤].

رحمَ اللهُ موسَى عليه السلام:

لَمَّا اتَّهمَ رَجُلُ النَّبيَّ ﷺ في عَدالَتِه في العَطاءِ والقِسمَةِ، قالَ ﷺ: «فَمَنْ يَعدِلُ إذَا لَم يَعدِلِ اللهُ ورَسُولُهُ؟! رَحِمَ اللهُ مُوسَى؛ قَدْ أُوذِيَ بِأكثَرَ مِن هَذَا فصَبَرَ» [البخاري: ٣١٥٠، ومسلم: ١٠٦٢].

مِنْ مَشاهدِ الوفاءِ النبويِّ:

مِنْ مَوَاقِفِهِ الكَرِيمَةِ ﷺ بَعدَ هذِهِ الغَزوَةِ: مَشهَدُ وَفَائِهِ العَظِيمِ حِينَ فَشَا بَينَ الأَنصَارِ رضي الله عنهم أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رُبَّمَا يُقِيمُ بِمَكَّةَ بَعدَ أَن فُتِحَت، وَيَترُكُ المَدِينَةَ، إضَافَةً إلَى مَا لَاحَظَهُ بَعضُهُم مِن اهتِمَامِ النَّبِيِّ ﷺ بِبَعضِ زُعَمَاءِ قُرَيشٍ، وَغَيرِهِم مِن حَدِيثِي العَهدِ بِالكُفرِ، وَعَطَائِهِ السَّخِيِّ لَهُم؛ لِتَألِيفِ قُلُوبِهِم لِلدِّينِ، فَبَلَغَهُ ﷺ ذَلِكَ، فَقَامَ فِيهِم خَطِيبًا، ثُمَّ قَالَ: «يَا مَعشَرَ الأَنصَارِ...، أَتَرضَونَ أَن يَذهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالبَعِيرِ، وَتَذهَبُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إلَى رِحَالِكُم؟! لَولَا الهِجرَةُ لَكُنتُ امرَأً مِنَ الأَنصَارِ، وَلَو سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعبًا لَسَلَكتُ وَادِيَ الأَنصَارِ وَشِعبَهَا؛ الأَنصَارُ شِعَارٌ، وَالنَّاسُ دِثَارٌ، إِنَّكُم سَتَلقَونَ بَعدِي أَثَرَةً، فَاصبِرُوا حَتَّى

تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ» [البخاري: ٤٣٣٠، ومسلم: ١٠٦١]. وَفِي لَفْظٍ: «فَوَاللَّهِ، لَمَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ رَضِينَا. [البخاري: ٤٣٣١، ومسلم: ١٠٥٩]. «رِحَالِكُمْ»: بُيُوتِكُمْ، «الشِّعْبُ»: الطَّرِيقُ بَيْنَ جَبَلَيْنِ. «الشِّعَارُ»: الثَّوْبُ الَّذِي يُلَامِسُ الْبَدَنَ، «الدِّثَارُ»: الثَّوْبُ الْخَارِجِيُّ الَّذِي لَا يُلَامِسُ الْبَدَنَ، وَالْمُرَادُ: أَنَّهُمْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِهِمْ. «أَثَرَةً»: يُسْتَأْثَرُ عَلَيْكُمْ بِأُمُورِ الدُّنْيَا. «تَنْقَلِبُونَ بِهِ»: تَرْجِعُونَ بِهِ.

وَلَقَدْ تَأَثَّرُوا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ تَأَثُّرًا شَدِيدًا، وَبَكَوْا حَتَّى اخْضَلَّتْ لِحَاهُمْ بِالدُّمُوعِ وَهُمْ يَقُولُونَ: «رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قَسْمًا وَحَظًّا» [أحمد: ١١٧٣٠]. «اخْضَلَّتْ»: ابْتَلَّتْ، «قَسْمًا»: نَصِيبًا.

غزوة أوطاس

كَانَتْ غَزْوَةً لِتَعَقُّبِ الْهَارِبِينَ مِنْ حُنَيْنٍ، إِذْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ جَيْشًا بِقِيَادَةِ الصَّحَابِيِّ أَبِي عَامِرٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى. وَقَدِ اسْتُشْهِدَ الْقَائِدُ أَبُو عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ بِسَهْمٍ أَصَابَهُ فِي رُكْبَتِهِ، وَدَعَا لَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعُبَيْدٍ أَبِي عَامِرٍ» [البخاري: ٤٣٢٣، ومسلم: ٢٤٩٨]. «أَوْطَاسُ»: وَادٍ فِي دِيَارِ هَوَازِنَ بَيْنَ حُنَيْنٍ وَالطَّائِفِ.

غَزْوَةُ الطَّائِف

وَفِي تِلْكَ السَّنَةِ كَانَتْ غَزْوَةُ الطَّائِفِ بَعْدَ حُنَيْنٍ وَأَوْطَاسٍ، بِقِيَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ؛ حِينَ لَجَأَ إِلَيْهَا الْمُشْرِكُونَ وَتَحَصَّنُوا بِهَا. [البخاري: ٤٣٢٥، ومسلم: ١٧٧٨].

وَقَدْ حَاصَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ انْصَرَفَ تَارِكًا الْفُرْصَةَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يُسْلِمُونَ. [مسلم: ١٠٥٩/١٣٦].

وَدَعَا لَهُمْ ﷺ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفًا» [الترمذي: ٣٩٤٢]. وَهُوَ مَا حَدَثَ بَعْدَ ذَلِكَ، حَيْثُ وَفَدُوا إِلَى الْمَدِينَةِ مُسْلِمِينَ. [البخاري: ٤٣٦٨، ٤٣٦٩].

النَّبِيُّ ﷺ يَرُدُّ سَبْيَ هَوَازِنَ

بَعْدَ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً مِنْ عَوْدَتِهِ ﷺ مِنَ الطَّائِفِ جَاءَهُ وَفْدُ هَوَازِنَ مُسْلِمِينَ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ وَرَدَّ سَبْيَهُمْ عَلَيْهِمْ؛ فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فِي النَّاسِ، فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ جَاؤُونَا تَائِبِينَ، وَإِنِّي رَأَيْتُ أَنْ أَرُدَّ إِلَيْهِمْ سَبْيَهُمْ» [البخاري: ٢٥٣٩، ٢٥٤٠].

وَبَادَرَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ بِامْتِثَالِ رَغْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَرَدُّوا مَا بِأَيْدِيهِمْ.

النَّبِيُّ ﷺ مُعتمرًا

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «اعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَرْبَعَ عُمَرٍ، كُلُّهُنَّ فِي ذِي الْقَعْدَةِ، إِلَّا الَّتِي كَانَتْ مَعَ حَجَّتِهِ: عُمْرَةً مِنَ الْحُدَيْبِيَةِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ، وَعُمْرَةً مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ، وَعُمْرَةً مِنَ الْجِعْرَانَةِ، حَيْثُ قَسَمَ غَنَائِمَ حُنَيْنٍ فِي ذِي الْقَعْدَةِ، وَعُمْرَةً مَعَ حَجَّتِهِ» [البخاري: ١٧٧٨، ومسلم: ١٢٥٣]. «الْجِعْرَانَةُ»: بَلْدَةٌ تَقَعُ شَمَالَ شَرْقِ مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ بَعْدَ مِنْطَقَةِ الشَّرَائِعِ حَالِيًّا.

النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُ إلى المدينة

بَعْدَ تِلْكَ الْفُتُوحَاتِ الْعَظِيمَةِ وَالْإِنْجَازَاتِ الْكَبِيرَةِ، عَادَ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنَ السَّنَةِ الثَّامِنَةِ لِلْهِجْرَةِ.

النَّبِيُّ ﷺ يتحدث عن رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ

وَصَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣]، وَقَالَ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وَقَالَ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي» [البخاري: ٧٤٢٢، ومسلم: ٢٧٥١].

وَرَأَى ﷺ امْرَأَةً تَبْحَثُ عَنْ طِفْلِهَا بَيْنَ الْأَسْرَى بَعْدَ أَحْدَاثِ هَوَازِنَ، فَلَمَّا وَجَدَتْهُ «أَخَذَتْهُ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟!»، قُلْنَا: لَا، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَلَّا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: «لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا»» [البخاري: ٥٩٩٩، ومسلم: ٢٧٥٤].

وَمِنْ عَظِيمِ آثَارِ تِلْكَ الرَّحَمَاتِ الْإِلَهِيَّةِ، قَوْلُهُ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ، أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللَّهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [البخاري: ٦٠٠٠، ومسلم: ٢٧٥٢/١٩].

رِسَالَةُ الْوِئَامِ وَالْحُبِّ وَالسَّلَامِ

كَانَ ﷺ يُعَلِّمُ النَّاسَ حَقِيقَةَ الْإِسْلَامِ، وَيَبُثُّ فِي أَرْوَاحِهِمْ سَجَايَا الْإِيمَانِ بِقَوْلِهِ وَفِعْلِهِ؛ فَيَقُولُ ﷺ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» [البخاري: ١٠، ومسلم: ٤١]، «وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ» [الترمذي: ٢٦٢٧، والنسائي: ٤٩٩٥].

وَيَقُولُ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» [البخاري: ١٣، ومسلم: ٤٥].

وَيَقُولُ ﷺ: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» [مسلم: ٥٤].

وَيَقُولُ ﷺ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» [البخاري: ٩، ومسلم: ٣٥].

وَفِي رِوَايَةٍ: «فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ» [مسلم: ٥٨/٣٥]. «إِمَاطَتُهُ» إِزَالَةٌ.

وَسُئِلَ ﷺ: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ» [البخاري: ١٢، ومسلم: ٣٩].

مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

مِنْ جَوَامِعِ كَلِمِهِ ﷺ قَوْلُهُ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ» [البخاري: ٦٤٧٥، ومسلم: ٤٧].

وَفِي رِوَايَةٍ: «وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» [البخاري: ٣٨].

ولادة إبراهيم رضي الله عنه ابن رسول الله ﷺ

وَفِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ كَانَتْ وِلَادَةُ إِبْرَاهِيمَ رضي الله عنه ابْنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ السَّيِّدَةِ الْمِصْرِيَّةِ مَارِيَةَ الْقِبْطِيَّةِ رضي الله عنها. يَقُولُ ﷺ مُبَشِّرًا: «وُلِدَ لِيَ اللَّيْلَةَ غُلَامٌ، فَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ» [مسلم: ٢٣١٥].

وَقَدْ أَحَبَّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ حُبًّا عَظِيمًا، وَكَانَ يَتَعَهَّدُهُ بِالزِّيَارَةِ لَدَى مُرْضِعَتِهِ، وَيُقَبِّلُهُ، وَيَشُمُّهُ. [البخاري: ١٣٠٣، ومسلم: ٢٣١٥].

فيوضات الدعوة تتدفق

فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ تَتَابَعَتْ فُيُوضَاتُ الْخَيْرِ، وَسَرَايَا الْإِيمَانِ، وَبُعُوثُ الْهُدَى، فِي أَرْجَاءِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ، حَامِلَةً مَعَهَا النُّورَ، وَالسُّمُوَّ، وَالْإِشْرَاقَ، وَالْهِدَايَةَ.

ابن كريم العرب يُسلم

عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ رضي الله عنه كَانَ سَيِّدًا فِي قَوْمِهِ، وَهُوَ ابْنُ كَرِيمِ الْعَرَبِ حَاتِمٍ الطَّائِيِّ، وَكَانَ يَدِينُ بِالنَّصْرَانِيَّةِ، فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْلَمَ. [أحمد: ١٩٣٨١]. وَبَشَّرَهُ ﷺ بِمَا سَيَكُونُ مِنْ فُتُوحَاتِ

الْإِسْلَامِ وَانْتِشَارِ دَعْوَتِهِ، فَقَالَ: «فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحِيرَةِ، حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ، لَا تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى»، قُلْتُ: كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ؟ قَالَ: «كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ» [البخاري: ٣٥٩٥].

يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَكُنْتُ فِيمَنِ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى ابْنِ هُرْمُزَ» [البخاري: ٣٥٩٥]. «الظَّعِينَةُ»: الْمَرْأَةُ الْمُسَافِرَةُ فِي الْهَوْدَجِ. «الْحِيرَةُ»: بَلْدَةٌ بِالْعِرَاقِ، «كِسْرَى بْنُ هُرْمُزَ»: أَحَدُ عُظَمَاءِ مُلُوكِ الدَّوْلَةِ السَّاسَانِيَّةِ فِي بِلَادِ فَارِسَ.

عُمَّالُ الصَّدَقَاتِ

وَمِنْ أَهَمِّ أَحْدَاثِ هَذِهِ السَّنَةِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ الْمُصَدِّقِينَ إِلَى الْقَبَائِلِ لِجِبَايَةِ الصَّدَقَاتِ؛ إِذْ بَعَثَ أَكْثَرَ مِنْ بِضْعَةَ عَشَرَ مُصَدِّقًا إِلَى قَبَائِلَ مُخْتَلِفَةٍ وَأَمَاكِنَ مُتَعَدِّدَةٍ. [الطبقات لابن سعد: ٢/١٦].

«الْمُصَدِّقُونَ»: عُمَّالُ جَمْعِ الصَّدَقَاتِ.

كَمَا أَوْصَى النَّبِيُّ ﷺ الْمُصَدِّقِينَ بِالْإِحْسَانِ فِي التَّعَامُلِ مَعَ النَّاسِ، وَبِعَدَمِ أَخْذِ كَرَائِمِ أَمْوَالِهِمْ وَنَفَائِسِهَا، يَقُولُ ﷺ لِمُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

«فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ» [البخاري: ١٤٥٨، ومسلم: ٢٩/١٩]. «تَوَقَّ»: احْذَرْ وَتَجَنَّبْ.

وَقَدْ أَوْصَى النَّبِيُّ ﷺ النَّاسَ بِالتَّعَاوُنِ مَعَهُمْ وَبَذْلِ الْوَاجِبِ لَهُمْ بِقَوْلِهِ ﷺ: «أَرْضُوا مُصَدِّقِيكُمْ» [مسلم: ٩٨٩].

صَدَقَاتُ طَيِّئ

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَتَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، فَقَالَ لِي: «إِنَّ أَوَّلَ صَدَقَةٍ بَيَّضَتْ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَوُجُوهَ أَصْحَابِهِ صَدَقَةُ طَيِّئٍ، جِئْتَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» [مسلم: ٢٥٢٣].

«طَيِّئ»: قَبِيلَةٌ مَشْهُورَةٌ مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ الْكَبِيرَةِ.

هذه صدقات قومي

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَا زِلْتُ أُحِبُّ بَنِي تَمِيمٍ مُنْذُ ثَلَاثٍ سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِيهِمْ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «هُمْ أَشَدُّ أُمَّتِي عَلَى الدَّجَّالِ»، وَجَاءَتْ صَدَقَاتُهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذِهِ صَدَقَاتُ قَوْمِنَا»، وَكَانَتْ سَبِيَّةٌ مِنْهُمْ عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَ: «أَعْتِقِيهَا؛ فَإِنَّهَا مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ» [البخاري: ٢٥٤٣، ومسلم: ٢٥٢٥].

وَفِي رِوَايَةٍ: «صَدَقَاتُ قَوْمِي» [البخاري: ٢٥٤٣]. «بَنُو تَمِيمٍ»: قَبِيلَةٌ عَرَبِيَّةٌ كَبِيرَةٌ مَسَاكِنُهَا الأَصْلِيَّةُ وَسَطَ الجَزِيرَةِ ثُمَّ انْتَشَرَتْ فِي عِدَّةِ بُلْدَانٍ. «قَوْمِي»: لِاجْتِمَاعِ نَسَبِهِمْ بِنَسَبِهِ الشَّرِيفِ ﷺ.

نَزَاهَةُ الـمَسْؤُولِ

كَانَ ﷺ يَغْرِسُ فِي قُلُوبِ أَصْحَابِهِ رضي الله عنهم - مِمَّنْ يَتَوَلَّوْنَ مَسْؤُولِيَّاتٍ فِي دَوْلَتِهِ - التَّقْوَى وَالوَرَعَ وَضَرُورَةَ حِفْظِ المَالِ العَامِّ وَمُرَاقَبَةَ اللهِ ﷻ فِي ذَلِكَ.

عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلًا عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي سُلَيْمٍ، يُدْعَى ابْنَ اللُّتْبِيَّةِ، فَلَمَّا جَاءَ حَاسَبَهُ، قَالَ: هَذَا مَالُكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَهَلَّا جَلَسْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ؛ حَتَّى تَأْتِيَكَ هَدِيَّتُكَ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا؟!» [البخاري: ٧١٩٧، ومسلم: ١٨٣٢].

أَبْوَابُ الصَّدَقَاتِ وَمَنَاهِلُ الحَسَنَاتِ

وَسَّعَ النَّبِيُّ ﷺ مَفْهُومَ الصَّدَقَاتِ، وَمَيَادِينَ النَّفَقَاتِ، وَبَسَاتِينَ الإِحْسَانِ، فَلَيْسَتْ حِكْرًا عَلَى مَيْسُورِي الحَالِ، وَلَا مُقْتَصِرَةً عَلَى بَذْلِ الأَمْوَالِ، وَذَلِكَ مِنْ عَظَمَةِ الإِسْلَامِ، وَفَضْلِ المَلِكِ العَلَّامِ ﷻ، فَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ: أَنَّ الأَمْرَ بِالمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ،

وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنكَرِ صَدَقَةٌ، وَالْمَشْيَ لِلصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ أَوْ تَحْمِيدَةٍ أَوْ تَهْلِيلَةٍ أَوْ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَمُسَاعَدَةَ الْإِنسَانِ الضَّعِيفِ لِلرُّكُوبِ عَلَى دَابَّتِهِ أَوْ حَمْلِ مَتَاعِهِ عَلَيْهَا صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ صَدَقَةٌ، وَدَلَالَةَ التَّائِهِ إِلَى الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ، وَالرِّفقَ بِالْحَيَوَانَاتِ وَالطُّيُورِ وَإِطْعَامَهَا أَوْ سِقَايَتَهَا صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَةَ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ، وَإِغَاثَةَ الْمَلْهُوفِ صَدَقَةٌ، وَوَضعَ اللُّقمَةِ فِي فَمِ الزَّوْجَةِ صَدَقَةٌ، وَإِتيَانَ الإِنسَانِ شَهْوَتَهُ مَعَ امْرَأَتِهِ صَدَقَةٌ، وَإِصْلَاحَ ذَاتِ الْبَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتَبَسُّمَ الْإِنسَانِ فِي وَجْهِ أَخِيهِ صَدَقَةٌ، بَلْ وَالْإِمْسَاكَ عَنِ الشَّرِّ صَدَقَةٌ.

[البخاري: ٢٨٩١، ٢٧٠٧، ٦٠٢٣، ٢٩٨٩، ٢٣٣٣، ومسلم: ١٠٠٦، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ٢٣٢٨].

بَيْرَحَاءُ الَّتِي كَانَ يَشْرَبُ مِنْهَا النَّبِيُّ ﷺ

كَانَ لِأَبِي طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدِيقَةٌ تُسَمَّى «بَيْرَحَاءُ» هِيَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ، «وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِن مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ...، فَلَمَّا أُنزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]؛ قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ...، إِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي

إِلَيَّ بَيْرَحَاءُ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ للهِ، أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا...، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَخٍ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ...، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ»...، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ» [البخاري: ١٤٦١، ومسلم: ٩٩٨]. «بَخٍ»: كَلِمَةٌ تُقَالُ عِنْدَ الْمَدْحِ وَالإِعْجَابِ.

إسلام جرير رضي الله عنه وهدم ذي الخلصة

وَفِي تِلْكَ السَّنَةِ أَسْلَمَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْبَجَلِيُّ رضي الله عنه، الَّذِي أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِإِسْلَامِهِ وَبِأَنَّ «عَلَى وَجْهِهِ مَسْحَةَ مَلَكٍ» [النسائي في الكبرى: ٨١٨١]. وَهُوَ الَّذِي مَا رَآهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِهِ. [البخاري: ٣٠٣٥، ومسلم: ٢٤٧٥].

وَبَعَثَهُ ﷺ لِهَدْمِ صَنَمٍ فِي إِحْدَى قَبَائِلِ الْحِجَازِ، فَقَالَ ﷺ: «أَلَا تُرِيحُنِي مِنْ ذِي الْخَلَصَةِ؟»... فَانْطَلَقَ إِلَيْهَا، فَكَسَّرَهَا وَحَرَّقَهَا. فَدَعَا لَهُ ﷺ وَلِمَنْ مَعَهُ، وَكَانُوا مِائَةً وَخَمْسِينَ فَارِسًا. [البخاري: ٣٠٢٠، ومسلم: ٢٤٧٦]. «ذُو الْخَلَصَةِ»: اسْمُ صَنَمٍ كَانُوا يُعَظِّمُونَهُ.

وفاة أم كلثوم رضي الله عنها

وَفِي تِلْكَ السَّنَةِ مَاتَتِ ابْنَةُ النَّبِيِّ ﷺ، أُمُّ كُلْثُومٍ رضي الله عنها، زَوْجَةُ عُثْمَانَ رضي الله عنه، وَحَزِنَ لِمَوْتِهَا ﷺ، وَبَكَى لِفِرَاقِهَا.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: شَهِدْنَا بِنْتًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ عَلَى الْقَبْرِ، فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَدْمَعَانِ [البخاري: ١٢٨٥].

غَزْوَةُ تَبُوك

وَفِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ كَانَتْ هَذِهِ الْغَزْوَةُ الْعَظِيمَةُ، وَهِيَ آخِرُ غَزْوَةٍ غَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. [الترمذي: ٣٠٢].

وَكَانَتْ فِي زَمَانِ عُسْرَةٍ وَضِيقٍ، وَحَرٍّ شَدِيدٍ، أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَنْشُرَ بِهَا هَيْبَةَ الْمُسْلِمِينَ وَقُوَّتَهُمْ أَمَامَ الرُّومِ وَالْمُتَحَالِفِينَ مَعَهُمْ، وَقَدْ تَسَابَقَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِدَعْمِ هَذِهِ الْغَزْوَةِ، وَالْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ.

النَّبِيُّ ﷺ يُخْبِرُ أَصْحَابَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِوِجْهَتِهِ:

عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَلَّمَا يُرِيدُ غَزْوَةً يَغْزُوهَا إِلَّا وَرَّى بِغَيْرِهَا، حَتَّى كَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ، فَغَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا، وَاسْتَقْبَلَ غَزْوَ عَدُوٍّ كَثِيرٍ، فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ؛ لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ عَدُوِّهِمْ، وَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ» [البخاري: ٢٩٤٨، ومسلم: ٢٧٦٩]. «تَبُوكُ»: مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ شَمَالَ الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ. «وَرَّى بِغَيْرِهَا»: أَوْهَمَ بِسِوَاهَا. «الْمَفَازَةُ»: الصَّحْرَاءُ

عثمان بن عفان رضي الله عنه يجهز جيش العسرة:

قَامَ النَّبِيُّ ﷺ خَطِيبًا فِي أَصْحَابِهِ رضي الله عنهم يَحُثُّهُمْ عَلَى تَجْهِيزِ الْجَيْشِ الَّذِي كَانَ فِي زَمَنِ عُسْرَةٍ شَدِيدَةٍ، فَبَادَرَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رضي الله عنه بِتَحَمُّلِ مُعْظَمِ نَفَقَاتِ الْجَيْشِ. فَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهُ قَالَ: عَلَيَّ ثَلَاثُمِائَةِ بَعِيرٍ بِأَحْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ. [الترمذي: ٣٧٠٠]. وَفِي لَفْظٍ: فَجَاءَ بِأَلْفِ دِينَارٍ فَنَثَرَهَا فِي حِجْرِ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ يُقَلِّبُهَا وَيَقُولُ: «مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ، مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ» [الترمذي: ٣٧٠١]. "بِأَحْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا" أَيْ: مُجَهَّزَةً بِأَكْسِيَتِهَا وَأَدَوَاتِهَا، وَالْحِلْسُ: مَا يُوضَعُ عَلَى ظَهْرِ الدَّابَّةِ، وَالْقَتَبُ: الرَّحْلُ عَلَى قَدْرِ سَنَامِ الْبَعِيرِ.

النبي ﷺ يستخلف عليًا رضي الله عنه ويطيب خاطره:

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى تَبُوكَ، وَاسْتَخْلَفَ عَلِيًّا، فَقَالَ: أَتُخَلِّفُنِي فِي الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ؟! قَالَ: «أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟! إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي» [البخاري: ٤٤١٦، ومسلم: ٢٤٠٤].

معاهدات السلام وهدايا الإكرام :

عَسْكَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِجَيْشِهِ نَحْوَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا فِي تَبُوكَ،

وَقَدْ كَفَى اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ؛ إِذْ تَفَرَّقَتْ فُلُولُ الرُّومَانِ وَمُنَاصِرُوهُمْ فِي الْبُلْدَانِ، وَعَقَدَ ﷺ عُقُودَ صُلْحٍ مَعَ عِدَّةِ زُعَمَاءَ هُنَاكَ، مِثْلِ صَاحِبِ أَيْلَةَ، وَأُكَيْدِرِ دُومَةِ الْجَنْدَلِ.وَقَدْ أَهْدَى مَلِكُ أَيْلَةَ وَمَلِكُ دُومَةِ الْجَنْدَلِ هَدَايَا لِلنَّبِيِّ ﷺ. البخاري: (١٤٨١، ٣١٦١) معلقًا، ومسلم: ١٣٩٢ (٤/١٧٨٥)، ٢٧/٦٢٩م]. «أَيْلَةُ»: مَدِينَةٌ قَدِيمَةٌ، وَهِيَ مَدِينَةُ الْعَقَبَةِ بِالْأُرْدُنِّ حَالِيًّا، «دُومَةُ الْجَنْدَلِ»: إِحْدَى مُحَافَظَاتِ الْجَوْفِ حَالِيًّا، شَمَالَ الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ، وَأُكَيْدِرُ هُوَ مَلِكُهَا.

مِنْ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ:

مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِعَيْنٍ فِيهَا مَاءٌ قَلِيلٌ، فَغَرَفَ مِنْهَا أَصْحَابُهُ رضي الله عنهم بِأَيْدِيهِمْ «قَلِيلًا قَلِيلًا، حَتَّى اجْتَمَعَ فِي شَيْءٍ، وَغَسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهِ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِيهَا، فَجَرَتِ الْعَيْنُ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ» [مسلم: ٧٠٦ (٤/١٧٨٤)].

وَأَصَابَتْهُمْ رضي الله عنهم مَجَاعَةٌ شَدِيدَةٌ، فَجَاءَ كُلُّ إِنْسَانٍ بِمَا مَعَهُ مِنْ طَعَامٍ، حَتَّى اجْتَمَعَ شَيْءٌ يَسِيرٌ، فَدَعَا فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ بِالْبَرَكَةِ، فَأَخَذُوا فِي أَوْعِيَتِهِمْ، وَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، وَفَضَلَتْ فَضْلَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ»

[البخاري: ٢٨٥٦، ومسلم: ٢٧]، وَفِي لَفظٍ: «لَا يَلْقَى اللَّهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ، فَيُحْجَبَ عَنِ الْجَنَّةِ» [مسلم: ٢٧/٤٥].

أُحُدٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ:

لَمَّا أَشْرَفَ ﷺ عَلَى الْمَدِينَةِ عَائِدًا مِنْ تَبُوكَ قَالَ مُسْتَبْشِرًا: «هَذِهِ طَابَةُ، وَهَذَا أُحُدٌ، جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ» [البخاري: ٤٤٢٢، ومسلم: ١٣٩٢].

الْفَرَحُ بِعَوْدَةِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ:

عَنِ السَّائِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «أَذْكُرُ أَنِّي خَرَجْتُ مَعَ الصِّبْيَانِ نَتَلَقَّى النَّبِيَّ ﷺ إِلَى ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ، مَقْدَمَهُ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ»

[البخاري: ٤٤٢٧]. «ثَنِيَّةُ الْوَدَاعِ»: مَوْضِعٌ مُرْتَفِعٌ عِنْدَ مَدْخَلِ الْمَدِينَةِ الشَّمَالِيِّ.

الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ خُلِّفُوا:

قال تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨].

وَهِيَ قِصَّةُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ دُونَ عُذْرٍ، ثُمَّ تَابَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ؛ وَهُمْ: كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَاوِي الْحَدِيثِ الَّذِي قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ خَمْسِينَ لَيْلَةً

مِنَ الْمُعَانَاةِ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: «أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ» [البخاري: ٤٤١٨، ومسلم: ٢٧٦٩]. أَمَّا الاثْنَانِ الآخَرَانِ فَهُمَا: هِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ رضي الله عنه، وَمُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ رضي الله عنه.

النبيُّ ﷺ وأخلاقُ الحرب

قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠].

وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾ [النحل: ١٢٦].

بَلَغَتْ غَزَوَاتُ النَّبِيِّ ﷺ «تِسْعَ عَشْرَةَ» [البخاري: ٣٩٤٩، ومسلم: ١٢٥٤]، شَارَكَ فِي ثَمَانٍ مِنْهُنَّ [مسلم: ١٨١٤]. وَبَلَغَ مَجْمُوعُ الْمَعَارِكِ وَالْغَزَوَاتِ وَالْبُعُوثِ فِي عَهْدِهِ ﷺ قُرَابَةَ الْمِائَةِ.

وَكَانَ ﷺ فِي حَالِ الْحُرُوبِ وَالْقِتَالِ يَتَعَامَلُ مَعَ الأَعْدَاءِ بِالْعَدْلِ وَالإِنْصَافِ، وَكَانَتْ صِفَاتُهُ الْعَظِيمَةُ، مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ وَالرَّحْمَةِ وَالْعَفْوِ وَالإِحْسَانِ، تَتَجَلَّى فِي سِلْمِهِ وَحَرْبِهِ، وَكَانَ هَدَفُهُ الأَسْمَى وَغَايَتُهُ الْعُظْمَى ﷺ هِدَايَةَ النَّاسِ لِلإِسْلَامِ، وَإِنَارَةَ قُلُوبِهِمْ بِالإِيمَانِ.

وَقَدْ كَانَ ﷺ إِذَا أَرْسَلَ قَائِدًا أَوْ بَعَثَ كَتِيبَةً أَوْصَاهُمْ قَائِلًا: «...وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا» [مسلم: ٣/١٧٣١]. وَفِي لَفْظٍ: «وَلَا أَصْحَابَ الصَّوَامِعِ» [أحمد: ٢٧٢٨]. «لَا تُمَثِّلُوا»: لَا تُقَوِّهُوا القَتلَى. «الصَّوَامِعُ»: مَعَابِدُ الرُّهْبَانِ فِي الأَمَاكِنِ النَّائِيَةِ. وَنَهَى ﷺ كَذَلِكَ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالأَطْفَالِ وَالشُّيُوخِ، وَأَنْكَرَ ذَلِكَ ﷺ؛ فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «وُجِدَتِ امْرَأَةٌ مَقْتُولَةً فِي بَعْضِ مَغَازِي رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَنَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ» [البخاري: ٣٠١٥، ومسلم: ١٧٤٤/٢٥].

وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا بَعَثَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ، قَالَ: «بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا» [البخاري: ٣٠٣٨، ومسلم: ١٧٣٢].

وفاة رأس المنافقين

وَفِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ مَاتَ رَأْسُ المُنَافِقِينَ عَبْدُاللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ، الَّذِي عُرِفَ بِنِفَاقِهِ، وَإِيذَائِهِ النَّبِيَّ ﷺ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَعَهُ مَوْقِفٌ عَجِيبٌ: عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ، جَاءَ ابْنُهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ إِلَى

رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَسَأَلَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ قَمِيصَهُ يُكَفِّنُ فِيهِ أَبَاهُ، فَأَعْطَاهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ...، فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [التوبة: ٨٤]» [البخاري: ٤٦٧٠، ومسلم: ٢٧٧٤].

وفاة النجاشي رضي الله عنه

وَفِي تِلْكَ السَّنَةِ تُوُفِّيَ الْمَلِكُ الصَّالِحُ النَّجَاشِيُّ مَلِكُ الْحَبَشَةِ رضي الله عنه، وَصَلَّى عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ رضي الله عنهم صَلَاةَ الْغَائِبِ. وَفِي الْحَدِيثِ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَعَى النَّجَاشِيَّ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، خَرَجَ إِلَى الْمُصَلَّى، فَصَفَّ بِهِمْ وَكَبَّرَ أَرْبَعًا» [البخاري: ١٢٤٥، ومسلم: ٩٥١]. وَفِي رِوَايَةٍ: وَقَالَ ﷺ: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ» [البخاري: ٣٨٨٠].

نَعَى: أَذَاعَ خَبَرَ مَوْتِهِ

من استطاع إليه سبيلا

الْحَجُّ هُوَ الرُّكْنُ الْخَامِسُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَتِمُّوا ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]. وَقَالَ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا» [مسلم: ١٣٣٧].

خيرُ الزادِ التقوى :

قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾

[البقرة: ١٩٧]. «الرَّفَث»: الجماعُ ومقدِّماتُه.

الحجُّ مغفرةٌ للذنوب:

قَالَ ﷺ: «مَنْ حَجَّ للَّهِ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ؛ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» [البخاري: ١٥٢١، ومسلم: ١٣٥٠]. وَقَالَ ﷺ: «الحَجُّ المَبْرُورُ لَيسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةُ» [البخاري: ١٧٧٣، ومسلم: ١٣٤٩].

أبو بكرٍ رضي الله عنه أميرُ الحجِّ

وَفِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه أَمِيرًا عَلَى الحَجِّ؛ تَمْهِيدًا لِحَجَّةِ الوَدَاعِ فِي السَّنَةِ الَّتِي تَلِيهَا؛ لِيُزِيلَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه مَا تَبَقَّى مِنْ آثَارِ الشِّرْكِ وَالجَاهِلِيَّةِ.

[البخاري: ١٦٢٢، ومسلم: ١٣٤٧].

وَقَدْ أَتْبَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه؛ لِيَقْرَأَ عَلَى النَّاسِ سُورَةَ «بَرَاءَةَ» [البخاري: ٣٦٩].

الأَيَّامُ الْعَشْرُ

قَالَ ﷺ: «مَا الْعَمَلُ فِي أَيَّامٍ أَفْضَلَ مِنْهَا فِي هَذِهِ [أَيْ: عَشْرَ ذِي الحِجَّةِ]؟»، قَالُوا: وَلَا الْجِهَادُ؟ قَالَ: «وَلَا الْجِهَادُ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ» [البخاري: ٩٦٩].

صَوْمُ يَوْمِ عَرَفَةَ

أَخْبَرَ ﷺ عَنْ فَضْلِ صِيَامِ يَوْمِ عَرَفَةَ فَقَالَ: «صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ، وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ» [مسلم: ١١٦٢]. «أَحْتَسِبُ»: أَرْجُو.

الْوُفُودُ تَتَسَابَقُ إِلَى الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ

وَفِي تِلْكَ السَّنَةِ تَتَابَعَتِ الْوُفُودُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَكَذَلِكَ كَانَ الشَّأْنُ فِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ. وَالْوُفُودُ هُمْ: رُؤَسَاءُ الْقَبَائِلِ، الَّذِينَ وَفَدُوا مِنْ أَنْحَاءِ الْجَزِيرَةِ وَمِنْ خَارِجِهَا يُعْلِنُونَ إِسْلَامَهُمْ، وَبَيْعَتَهُمْ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَمِنْ هَذِهِ الْوُفُودِ:

- وَفْدُ بَنِي تَمِيمٍ. [البخاري: ٤٣٦٥].
- وَفْدُ بَجِيلَةَ. [أحمد: ١٨٨٣٣]. وَهِيَ قَبِيلَةٌ عَرَبِيَّةٌ جَنُوبَ الطَّائِفِ.
- وَفْدُ ثَقِيفٍ. [مسلم: ٣٢٨].

- وَفْدُ الْيَمَنِ. [البخاري: ٤٣٨٨، ومسلم: ٥٢/٩٠].
- وَفْدُ كِنْدَةَ. [ابن ماجه: ٢٦١٢]. وَهِيَ إِحْدَى الْقَبَائِلِ الْكَبِيرَةِ بِالْيَمَنِ.
- وَفْدُ الْحَبَشَةِ. [البخاري: ٥٢٣٦، ومسلم: ٨٩٢/١٧، وابن حبان: ٥٨٧٦].

ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ نِعْمَ الْوَافِدُ لِقَوْمِهِ:

بَيْنَمَا الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ فَقَالَ: «أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ؟»... فَقَالُوا: هَذَا الرَّجُلُ الأَبْيَضُ الْمُتَّكِئُ... فَقَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنِّي سَائِلُكَ فَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ... فَقَالَ: «سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ»، فَقَالَ: أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ، آللهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ؟ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ نَعَمْ». ثُمَّ سَأَلَهُ عَنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يُجِيبُهُ، «فَقَالَ الرَّجُلُ: آمَنْتُ بِمَا جِئْتَ بِهِ، وَأَنَا رَسُولُ مَنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي، وَأَنَا ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ أَخُو بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ» [البخاري: ٦٣].

وَبَعْدَ أَنْ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ الْخَمْسَةِ قَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَا أَزِيدُ عَلَيْهِنَّ، وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُنَّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَئِنْ صَدَقَ لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ» [مسلم: ١٢]. «أَخُو بَنِي سَعْدٍ» أَيْ: مِنْ بَنِي سَعْدٍ وَهِيَ الْقَبِيلَةُ الَّتِي اسْتُرْضِعَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ.

وَفْدُ الحَبَشَةِ يَلْعَبُونَ فِي المَسْجِدِ:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الحَبَشَةِ يَلْعَبُونَ فِي المَسْجِدِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّتِي أَسْأَمُ»

[البخاري: ٥٢٣٦، ومسلم: ٨٩٢/١٧].

وَفْدُ النَّصَارَى فِي ضِيَافَةِ النَّبِيِّ ﷺ:

قَدِمَ وَفْدُ نَصَارَى نَجْرَانَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أَرَادُوا الذَّهَابَ قَالُوا لَهُ: «إِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا، وَابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا أَمِينًا، وَلَا تَبْعَثْ مَعَنَا إِلَّا أَمِينًا، فَقَالَ ﷺ: «لَأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ»، فَاسْتَشْرَفَ لَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ ﷺ: «قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ»، فَلَمَّا قَامَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ»» [البخاري: ٤٣٨٠، ومسلم: ٢٤٢٠]. «نَجْرَانُ» هِيَ إِحْدَى مُدُنِ المَمْلَكَةِ العَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ تَقَعُ فِي الجَنُوبِ الغَرْبِيِّ عَلَى الحُدُودِ مَعَ اليَمَنِ. «اسْتَشْرَفَ» تَطَلَّعَ.

الإِيمَانُ يَمَانٍ:

لَمَّا قَدِمَ أَهْلُ اليَمَنِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَتَاكُمْ أَهْلُ اليَمَنِ، هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً، وَأَلْيَنُ قُلُوبًا، الإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ»

[البخاري: ٤٣٨٨، ومسلم: ٥٢/٩٠].

النبيُّ ﷺ يدعو لليمن:

دعَا ﷺ لِلْيَمَنِ مرّتَيْنِ بِقَوْلِهِ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا» [البخاري: ٧٠٩٤].

النبيُّ ﷺ يبعث أميرين إلى اليمن

وَفِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ بعثَ النَّبِيُّ ﷺ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ وَمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِلَى الْيَمَنِ قَبلَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ، وَجَعَلَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَمِيرًا عَلَى مِخْلَافٍ، وَقَالَ لَهُمَا: «يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا» [البخاري: ٣٠٣٨، ومسلم: ١٧٣٣]. «المِخْلَافُ: الإِقْلِيمُ».

النبيُّ ﷺ يوصي معاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

هَذِهِ وَصِيَّةٌ مِنْ جَوَامِعِ كَلِمِهِ ﷺ، تَشْرَحُ رَوْعَةَ الْإِسْلَامِ وَحَقِيقَةَ الدِّينِ: قَالَ ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ،

فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ» [البخاري: ١٤٩٦، ومسلم: ١٩/٣١]. «كَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ»: أَفْضَلَهَا وَأَنْفَسَهَا.

النبيُّ ﷺ يبعث عليًا رضي الله عنه إلى اليمن

عَنِ الْبَرَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ إِلَى الْيَمَنِ، ثُمَّ بَعَثَ عَلِيًّا بَعْدَ ذَلِكَ مَكَانَهُ. [البخاري: ٤٣٤٩].

عليٌّ رضي الله عنه والقضاءُ في اليمن

عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه، قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْيَمَنِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ تَبْعَثُنِي إِلَى شُيُوخٍ ذَوِي أَسْنَانٍ، إِنِّي أَخَافُ أَلَّا أُصِيبَ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ سَيُثَبِّتُ لِسَانَكَ، وَيَهْدِي قَلْبَكَ» [النسائي في الكبرى: ٨٣٦٨، وابن ماجه: ٢٣١٠]. «ذَوُو أَسْنَانٍ»: شُيُوخٌ كِبَارٌ أَصْحَابُ عَقْلٍ وَحِكْمَةٍ.

العلاءُ بنُ الحضرميِّ رضي الله عنه أميرٌ على البحرين

بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ فَأَتَى بِمَالٍ مِنْهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَالَحَ أَهْلَ الْبَحْرَيْنِ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمُ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ. [البخاري: ٣١٥٨، ومسلم: ٢٩٦١].

إشادةٌ نبويةٌ بأهل عُمان

بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا إِلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، فَسَبُّوهُ

وَضَرَبُوهُ، فَجَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ أَنَّ أَهْلَ عُمَانَ أَتَيْتَ مَا سَبُّوكَ وَلَا ضَرَبُوكَ» [مسلم: ٢٥٤٤].

الرَّاعِي وَالرَّعِيَّةُ

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩].

حِينَ أَقَامَ ﷺ الدَّوْلَةَ النَّبَوِيَّةَ كَانَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ أُمَرَاءَ صَادِقِينَ وَوُلَاةٍ نَاصِحِينَ، يَتَوَلَّوْنَ إِمَارَةَ الْبُلْدَانِ وَرِعَايَةَ شُؤُونِهَا، وَلِذَا أَمَرَ ﷺ بِطَاعَتِهِمْ وَالسَّمْعِ لَهُمْ، وَحَذَّرَ مِنْ عِصْيَانِهِمْ وَالْخُرُوجِ عَلَيْهِمْ، وَبَيَّنَ ﷺ مَا لَهُمْ مِنْ حُقُوقٍ وَمَا عَلَيْهِمْ مِنْ وَاجِبَاتٍ وَمَسْؤُولِيَّاتٍ، فَقَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» [البخاري: ٧١٥٠، ومسلم: ١٤٢]، وَفِي رِوَايَةٍ: «فَلَمْ يَحُطْهَا بِنُصْحِهِ، إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ» [البخاري: ٧١٥٠].

وَأَخْبَرَ ﷺ أَنَّ سَبْعَةً يُظِلُّهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، وَمِنْهُمْ: «إِمَامٌ عَادِلٌ» [البخاري: ٦٦٠، ومسلم: ١٠٣١].

وَقَالَ ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» [البخاري: ٧٠٥٤، ومسلم: ١٨٤٩]. وَقَالَ ﷺ: «السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ» [البخاري: ٧١٤٤، ومسلم: ١٨٣٩]. وَقَالَ ﷺ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ» [البخاري: ٧١٤٢].

وَفِي لَفْظٍ: «... يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا» [مسلم: ١٨٣٨].

وَأَمَرَ ﷺ بِلُزُومِ الْجَمَاعَةِ وَحَذَّرَ مِنَ الْفُرْقَةِ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا»، وَذَكَرَ مِنْهَا: «وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا» [مسلم: ١٧١٥]. وَقَالَ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ» [الترمذي: ٢١٦٥، والنسائي في الكبرى: ٩٢٢٥].

كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ

قَالَ ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ

عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» [البخاري: ٨٩٣، ومسلم: ١٨٢٩].

الدِّينُ النَّصِيحَةُ

قَالَ ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» [مسلم: ٥٥]. وَعَنْ جَرِيرِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ» [البخاري: ٥٧، ومسلم: ٥٦].
وَقَالَ ﷺ: «مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي» [مسلم: ١٠٢].

وَفَاةُ إِبْرَاهِيمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

وَفِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ وَقَعَ ذَلِكَ الْحَدَثُ الْأَلِيمُ، وَالِابْتِلَاءُ الْعَظِيمُ، وَهُوَ مَا أُصِيبَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ وَفَاةِ ابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَحُزْنُهُ لِمَوْتِهِ، وَبُكَاؤُهُ ﷺ عَلَى فِرَاقِهِ.

وَقَدْ تُوُفِّيَ وَهُوَ رَضِيعٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ» [البخاري: ١٣٠٣، ومسلم: ٢٣١٥].

كسوف الشمس في عهد النبي ﷺ

كَسَفَتِ الشَّمْسُ فِي يَوْمِ وَفَاةِ إِبْرَاهِيمَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ابْنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَظَنَّ أُنَاسٌ أَنَّهَا كَسَفَتْ لِأَجْلِ ذَلِكَ. فَقَامَ ﷺ فِي النَّاسِ خَطِيبًا، فَقَالَ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ فَصَلُّوا، وَادْعُوا اللَّهَ» [البخاري: ١٠٤٣، ومسلم: ٩١٥].

آيتان من آيات الله ﷻ

أَخْبَرَ ﷺ أَنَّ كُسُوفَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَخُسُوفَهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ﷻ يُخَوِّفُ بِهِمَا عِبَادَهُ، وَأَمَرَ ﷺ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا ذَلِكَ أَنْ يَفْزَعُوا إِلَى الصَّلَاةِ وَإِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﷻ وَدُعَائِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ.

[البخاري: ١٠٥٨، ١٠٥٩، ومسلم: ٩٠١، ٩١٢].

النبي ﷺ يصلي الكسوف:

لَمَّا كُسِفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِهِ ﷺ نُودِيَ لِلصَّلَاةِ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، وَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا وَرَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا إِلَى أَنْ تَجَلَّتْ.

[البخاري: ١٠٦٦، ومسلم: ٩٠١].

النبي ﷺ يعلن عزمه على الحج

وَفِي تِلْكَ السَّنَةِ أَعْلَنَ النَّبِيُّ ﷺ عَزْمَهُ عَلَى الْحَجِّ، فَابْتَهَجَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، لِلْفَوْزِ بِأَحْسَنِ رِفْقَةٍ وَأَجْمَلِ صُحْبَةٍ،

وَلَمَّا تَسَامَعَ الْمُسْلِمُونَ بِالْخَبَرِ أَقْبَلُوا مِنْ أَنْحَاءِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَخَارِجِهَا. وَفِي يَوْمِ السَّبْتِ الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ، تَهَيَّأَ ﷺ لِلسَّفَرِ إِلَى مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ، وَحَجَّ ﷺ بِنِسَائِهِ جَمِيعًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ. [البخاري: ١٧٠٩، ومسلم: ١٢١١/١٢٥].

حَجَّةُ الْوَدَاعِ:

كَانَتْ بَعْضُ خُطَبِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَحَادِيثِهِ أَيَّامَ الْحَجِّ تُشِيرُ بِأَنَّهُ يُوَدِّعُ النَّاسَ، «فَقَالُوا: هَذِهِ حَجَّةُ الْوَدَاعِ» [البخاري معلقًا بعد حديث: ١٧٤٢].

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ «حَجَّ بَعْدَمَا هَاجَرَ حَجَّةً وَاحِدَةً، لَمْ يَحُجَّ بَعْدَهَا: حَجَّةَ الْوَدَاعِ» [البخاري: ٤٤٠٤، ومسلم: ١٢٥٤].

أَعْظَمُ مَوْكِبٍ:

اكْتَظَّتِ الطُّرُقَاتُ بِالَّذِينَ يَتَلَهَّفُونَ شَوْقًا لِرُؤْيَةِ أَعْظَمِ حَاجٍّ ﷺ، وَالسَّفَرِ فِي مَعِيَّتِهِ، فِي مَشْهَدٍ بَدِيعٍ يَأْخُذُ بِالأَلْبَابِ. يَقُولُ جَابِرٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ، حَتَّى إِذَا اسْتَوَتْ بِهِ نَاقَتُهُ عَلَى الْبَيْدَاءِ، نَظَرْتُ إِلَى مَدِّ بَصَرِي بَيْنَ يَدَيْهِ، مِنْ رَاكِبٍ وَمَاشٍ، وَعَنْ يَمِينِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَمِنْ خَلْفِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا» [مسلم: ١٢١٨]. «الْبَيْدَاءُ» الصَّحْرَاءُ، «بَيْنَ أَظْهُرِنَا» أي: بيننا.

لبيك اللهم لبيك :

أَحْرَمَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ ذِي الحُلَيْفَةِ، بَعْدَ أَنْ تَطَيَّبَ بِأَحْسَنِ الطِّيبِ. [البخاري: ١٥٣٩ و١٧٥٤، ومسلم: ١١٨٩]. ثُمَّ بَدَأَ ﷺ التَّلْبِيَةَ: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ» [البخاري: ١٥٤٩، ومسلم: ١١٨٤]. (ذُو الحُلَيْفَةِ: مِيقَاتُ أَهْلِ المَدِينَةِ وَمَنْ جَاءَ مِنْ طَرِيقِهَا، تَبْعُدُ حَوَالَي اثْنَي عَشَرَ كِيلُومِتْرًا مِنْهَا.

الوُصُولُ إِلَى مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ:

دَخَلَ ﷺ مَكَّةَ المُكَرَّمَةَ صَبَاحَ يَوْمِ الأَحَدِ فِي الرَّابِعِ مِنْ ذِي الحِجَّةِ. [البخاري: ١٥٦٤].

النَّبِيُّ ﷺ يُؤَدِّي الشَّعَائِرَ وَيُسْعِدُ الضَّمَائِرَ :

أَدَّى النَّبِيُّ ﷺ مَنَاسِكَ الحَجِّ عَلَى أَتَمِّ وَجْهٍ. وَكَانَ يَتَنَقَّلُ بَيْنَ المَشَاعِرِ كَالبَدْرِ المُنِيرِ، وَثُلَلُ الأَصْحَابِ رضي الله عنهم تُطِيفُ بِهِ، وَتَمْضِي مَعَهُ، وَهُوَ ﷺ بَيْنَهُمْ، يُعَلِّمُهُمُ الدِّينَ، وَيَشْرَحُ لَهُمُ المَنَاسِكَ فِي أَحْسَنِ تَعْبِيرٍ وَأَلْطَفِ تَيْسِيرٍ. وَلَمَّا وَصَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ طَافَ بِالبَيْتِ، ثُمَّ سَعَى بَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ، وَفِي اليَوْمِ الثَّامِنِ مِنْ ذِي الحِجَّةِ أَهَلَّ ﷺ بِالحَجِّ، وَمَضَى إِلَى مِنًى، وَصَلَّى

بِهَا الظُّهرَ وَالْعَصرَ وَالْمَغرِبَ وَالْعِشَاءَ وَالْفَجرَ، وَكَانَ ﷺ يَقصُرُ الصَّلَوَاتِ الرُّبَاعِيَّةَ، ثُمَّ انطَلَقَ ﷺ إِلَى عَرفَةَ، فَنَزَلَ بِنَمِرَةَ، وَخَطَبَ خُطبَتَهُ العَصمَاءَ، وَصَلَّى بِهَا الظُّهرَ وَالْعَصرَ قَصرًا جَمعَ تَقدِيمٍ، ثُمَّ رَكِبَ ﷺ حَتَّى أَتَى الْمَوقِفَ بِعَرَفَةَ، وَظَلَّ يَدعُو اللهَ ﷻ وَيَذكُرُهُ مُستَقبِلًا القِبلَةَ إِلَى أَن غَرَبَتِ الشَّمسُ، ثُمَّ رَكِبَ إِلَى مُزدَلِفَةَ، وَصَلَّى بِهَا الْمَغرِبَ وَالْعِشَاءَ قَصرًا، ثُمَّ نَامَ وَصَلَّى بِهَا الْفَجرَ وَذَكَرَ اللهَ ﷻ عِندَ الْمَشعَرِ الْحَرَامِ، وَقُبَيلَ طُلُوعِ الشَّمسِ سَارَ إِلَى مِنًى فِي الْيَومِ الْعَاشِرِ مِن ذِي الْحِجَّةِ، وَهُوَ يَومُ الْحَجِّ الأَكبَرِ -سُمِّيَ بِذَلِكَ لِتَعَدُّدِ أَعمَالِ الْحَجِّ الْعَظِيمَةِ فِيهِ- ثُمَّ رَمَى جَمرَةَ الْعَقَبَةِ، ثُمَّ نَحَرَ ﷺ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ بَدَنَةً، وَأَعطَى عَلِيًّا رضي الله عنه فَنَحَرَ الْبَقِيَّةَ، وَكَانَ جُملَةُ هَديِهِ ﷺ مِائَةَ بَدَنَةٍ، ثُمَّ حَلَقَ شَعرَهُ ﷺ، ثُمَّ رَكِبَ ﷺ إِلَى الْبَيتِ الْحَرَامِ، وَطَافَ طَوَافَ الإِفَاضَةِ عَلَى نَاقَتِهِ، ثُمَّ عَادَ ﷺ إِلَى مِنًى فَبَاتَ بِهَا، وَفِي الْيَومِ الْحَادِي عَشَرَ رَمَى ﷺ الْجَمرَاتِ الثَّلَاثَ بَعدَ الزَّوَالِ، وَبَاتَ بِمِنًى، وَكَذَلِكَ فَعَلَ ﷺ فِي الْيَومِ الثَّانِي عَشَرَ، وَفِي الْيَومِ الثَّالِثَ عَشَرَ

رَمَى الْجَمَرَاتِ بَعْدَ الزَّوَالِ، ثُمَّ نَزَلَ بِالْمُحَصَّبِ فَبَاتَ بِهِ، ثُمَّ رَكِبَ ﷺ إِلَى الْبَيْتِ وَطَافَ بِهِ طَوَافَ الْوَدَاعِ، ثُمَّ اتَّجَهَ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ بَعْدَ أَنْ عَمَرَ الْقُلُوبَ وَأَبْهَجَ النُّفُوسَ وَأَسْعَدَ الضَّمَائِرَ، وَأَكْمَلَ اللهُ ﷻ بِهِ الدِّينَ. [البخاري: ١٧٥١ و١٧٥٣ و١٧٥٦، ومسلم: ١٢١٨ و١٣٠٩ و١٣٥٠]. «نَمِرَة»: عَلَى حُدُودِ عَرَفَةَ، «الزَّوَالُ»: مَيْلُ الشَّمْسِ عَنْ وَسَطِ السَّمَاءِ نَحْوَ الْمَغْرِبِ، «الْمُحَصَّبُ»: وَادٍ فِي الطَّرِيقِ بَيْنَ الْحَرَمِ وَمِنًى.

مَشَاهِدُ عَظِيمَةٌ وَمَوَاقِفُ كَرِيمَةٌ

خَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ ﷺ:

يَقُولُ ﷺ: «خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» [الترمذي: ٣٥٨٥].

الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ:

«جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ إِلَى عُمَرَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَؤُونَهَا، لَوْ عَلَيْنَا نَزَلَتْ، مَعْشَرَ الْيَهُودِ، لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا، قَالَ: وَأَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إِنِّي لَأَعْلَمُ الْيَوْمَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ، وَالْمَكَانَ الَّذِي

نَزَلَتْ فِيهِ، نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِعَرَفَاتٍ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ»

[البخاري: ٤٥، ومسلم: ٣٠١٧/٥].

نشهد أنك بلغت الرسالة:

قَالَ ﷺ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ: «وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. [مسلم: ١٢١٨]. «ينكتها»: يشير بها.

وَأَكَّدَ ﷺ ذَلِكَ يَوْمَ النَّحْرِ فَقَالَ: «...أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ» [البخاري: ١٧٤١، ومسلم: ١٦٧٩].

خذوا عني مناسككم:

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَرْمِي عَلَى رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ، وَيَقُولُ: «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ؛ فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ» [مسلم: ١٢٩٧].

التسابق إلى شعر النبي ﷺ:

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَالْحَلَّاقُ يَحْلِقُهُ، وَأَطَافَ بِهِ أَصْحَابُهُ، فَمَا يُرِيدُونَ أَنْ تَقَعَ شَعَرَةٌ إِلَّا فِي يَدِ رَجُلٍ» [مسلم: ٢٣٢٥].

افعل ولا حرج :

فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ مَا سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَئِذٍ عَنْ شَيْءٍ قُدِّمَ وَلَا أُخِّرَ إِلَّا قَالَ: «افعل، وَلَا حرج» [البخاري: ١٧٣٦، ومسلم: ١٣٠٦].

أعظم إعلان عالمي لحقوق الإنسان

قَالَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣].

قَامَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ عَرَفَةَ؛ لِيُعْلِنَ أَوَّلَ مِيثَاقٍ عَالَمِيٍّ وَتَارِيخِيٍّ لِحُقُوقِ الْإِنْسَانِ وَأَعْظَمَهُ فِي كَلِمَاتٍ مُوجَزَةٍ، إِذْ قَالَ ﷺ: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ» [مسلم ١٢١٨].

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى...». ثُمَّ قَالَ: «أَبَلَّغْتُ؟»، قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ» [أحمد: ٢٣٤٨٩].

وَكَانَ مِمَّا قَالَ فِي حَجَّتِهِ ﷺ: «وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ» [النسائي: ٣٠٥٧، وابن ماجه: ٣٠٢٩].

وَهَذَا هُوَ الْإِسْلَامُ فِي عَدْلِهِ وعَالَمِيَّتِهِ وَإِنسَانِيَّتِهِ، وَنَبْذِهِ لِمَظَاهِرِ الْعُنفِ وَالْغُلُوِّ وَالتَّفرِقَةِ الْعُنصُرِيَّةِ.

تأكيد النداء على حرمة الدماء

خَطَبَ ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ خُطْبَةً أُخْرَى، وَأَكَّدَ فِيهَا عَلَى مَبَادِئِ الْعَدْلِ، وَحِفظِ الْحُقُوقِ، وَحُرمَةِ الدِّمَاءِ، وَصِيَانَةِ الْأَمْوَالِ وَالْأَعْرَاضِ، فَقَالَ ﷺ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَموَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا» [البخاري: ٦٧، ومسلم: ١٦٧٩].

وَعَنْ جَرِيرٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «اسْتَنصِتِ النَّاسَ» ثُمَّ قَالَ: «لَا تَرْجِعوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ» [البخاري: ٦٨٦٩، ومسلم: ٦٥]. وَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ بِالْوَعِيدِ الشَّدِيدِ لِمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا، فَقَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣].

وَقَالَ ﷺ: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا» [البخاري: ٧٠٧٠، ومسلم: ٩٨].

وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ ﷺ: «إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْقَاتِلُ، فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟! قَالَ: «إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ» [البخاري: ٦٨٧٥، ومسلم: ٢٨٨٨].

وَجَاءَ التَّحْذِيرُ الشَّدِيدُ كَذَلِكَ لِمَنْ يَقْتُلُ النَّفْسَ الْمَعْصُومَةَ عُمُومًا، سَوَاءٌ كَانَتْ مُسْلِمَةً أَوْ غَيْرَ مُسْلِمَةٍ؛ بَلْ جَاءَ الْإِسْلَامُ بِتَحْرِيمِ قَتْلِ الْحَيَوَانَاتِ وَالطُّيُورِ بِغَيْرِ حَقٍّ، أَوْ تَعْذِيبِهَا، فَمَا بَالُكَ بِالْإِنْسَانِ؟! قَالَ تَعَالَى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١].

وَقَالَ ﷺ: «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا» [البخاري: ٣١٦٦]. «الْمُعَاهَدُ» أَيْ غَيْرُ الْمُسْلِمِ مِمَّنْ يَعِيشُ فِي دِيَارِ الْإِسْلَامِ أَوْ مِمَّنْ لَهُمْ عُهُودٌ.

وَأَخْبَرَ ﷺ أَنَّهُ مِنَ الْكَبَائِرِ وَالْمُهْلِكَاتِ: «قَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ

اللَّهُ» [البخاري: ٢٧٦٦، ومسلم: ٨٩]. وَقَالَ ﷺ: «لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا» [البخاري: ٦٨٦٢]. وَعَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إِنَّ مِنْ وَرَطَاتِ الأُمُورِ، الَّتِي لَا مَخْرَجَ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهَا، سَفْكَ الدَّمِ الْحَرَامِ بِغَيْرِ حِلِّهِ» [البخاري: ٦٨٦٣]. وَأَخْبَرَ ﷺ أَنَّ مِنْ أَبْغَضِ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ ﷻ: مَنْ سَعَى لإِهْرَاقِ دَمِ امْرِئٍ بِغَيْرِ حَقٍّ. [البخاري: ٦٨٨٢]. وَقَالَ ﷺ: «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الدِّمَاءِ» [البخاري: ٦٨٦٤، ومسلم: ١٦٧٨]. أَيْ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ» [الترمذي: ١٣٩٥، والنسائي: ٣٩٨٧].

النَّبِيُّ ﷺ يُؤَكِّدُ تَحْرِيمَ الرِّبَا

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَوٰا﴾ [البقرة: ٢٧٥]. وَقَدْ أَكَّدَ ﷺ فِي جُمُوعِ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ عَرَفَةَ إِبْطَالَ بَعْضِ عَادَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ وَمُعَامَلَاتِهَا. وَمِنْ ذَلِكَ: الرِّبَا، فَقَالَ ﷺ: «أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ...، وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ» [مسلم: ١٢١٨].

النبي ﷺ يوصي بالنساء خيرًا

عَطَّرَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ الأَرْوَاحَ وَأَبْهَجَ الْقُلُوبَ بِمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ أَحْكَامٍ وَتَوْجِيهَاتٍ فِيمَا يَخُصُّ الْمَرْأَةَ، قَالَ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩]، وَقَالَ: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. وَجَاءَتْ سُورَةٌ مِنْ أَطْوَلِ سُوَرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِاسْمِ (سُورَةِ النِّسَاءِ). وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا» [البخاري: ٣٣٣١، ومسلم: ١٤٦٨/٦٠].

وَمِمَّا أَكَّدَ عَلَيْهِ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ الْوَصِيَّةُ بِهِنَّ، وَحِفْظُ حُقُوقِهِنَّ، وَالإِحْسَانُ إِلَيْهِنَّ؛ فَنَادَى فِي النَّاسِ: «فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ» [مسلم: ١٢١٨].

وَجَاءَتْ سُنَّتُهُ الشَّرِيفَةُ ﷺ بِأَجْمَلِ الأَحَادِيثِ وَأَعْذَبِ الْوَصَايَا فِي حُسْنِ التَّعَامُلِ مَعَ الْمَرْأَةِ.

يَقُولُ ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ» [الترمذي: ٣٨٩٥].

وَيَقُولُ ﷺ: «لا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ» [مسلم: ١٤٦٩]. يفركه: يبغض. وَيَقُولُ ﷺ: «إِنَّمَا النِّسَاءُ

شَقَائِقُ الرِّجَالِ» [أبو داود: ٢٣٦، والترمذي: ١١٣]. وَيَقُولُ ﷺ: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطِّيبُ» [النسائي: ٣٩٣٩]. وَيَقُولُ ﷺ: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ» [مسلم: ١٤٦٧]. وَلَقَدْ كَانَتِ الْمَرْأَةُ فِي زَمَنِهِ ﷺ حَاضِرَةً فِي شَتَّى مَيَادِينِ الْحَيَاةِ: عِبَادَةً وَعِلْمًا وَتَعْلِيمًا وَعَمَلًا وَجِهَادًا وَدَعْوَةً وَتَرْبِيَةً وَإِحْسَانًا.

النَّبِيُّ ﷺ يُوصِي بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

فِي يَوْمِ عَرَفَةَ نَادَى ﷺ قَائِلًا: «وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابُ اللَّهِ» [مسلم: ١٢١٨].

أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي

فِي طَرِيقِ عَوْدَتِهِ ﷺ مِنَ الْحَجِّ نَزَلَ بِمَنْزِلٍ يُسَمَّى: «غَدِيرَ خُمٍّ» أَوْ: «مَاءَ خُمٍّ»، فَخَطَبَ ﷺ فِي أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ خُطْبَةً قَالَ فِيهَا: «أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ، فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ». فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي» [مسلم: ٢٤٠٨]. «غَدِيرُ خُمٍّ»: مَوْضِعٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ شَرْقَ رَابِغٍ، تَصُبُّ فِيهِ عَيْنُ مَاءٍ.

أمهات المؤمنين رضي الله عنهن

بلغ نساء النبي ﷺ مرتبة رفيعة في العلم، والتقوى، والعبادة، والزهد، والعفاف، والحياء، والصدقة، والعطاء، ولا غرو، ففي بيوتهن رضي الله عنهن تنزل الوحي من رب العالمين، وفي دورهن عاش سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ، فأفاض عليهن من زلال أخلاقه وعلمه، وفرات لطفه وحلمه. إنهن أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، وزوجات سيد المرسلين ﷺ، قال تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾ [الأحزاب ٦].

وكن رضي الله عنهن راضيات بحياة الزهد والقناعة والكفاف، وسببًا في نقل كثير من هديه وتفصيلات حياته ﷺ للأمة، لاسيما عائشة رضي الله عنها أعلم نساء الدنيا، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب ٢٨، ٢٩]. ولما نزلت هذه الآيات تلاها النبي ﷺ على أزواجه رضي الله عنهن وخيرهن، فبدأ بعائشة رضي الله عنها، فقال: «إني ذاكر لك أمرًا، فلا عليك أن

لا تستعجلي حتى تستأمري أبويك»، قالت: وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه، ثم قال: «إن الله قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ﴾ [الأحزاب: ٢٨]» إلى تمام الآيتين، قالت: فقلت له: ففي أي هذا أستأمر أبوي؟! فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة. [البخاري: ٤٧٨٥، ومسلم: ١٤٧٥]. وفي رواية: «ثم خيّر نساءه، فقلن مثل ما قالت عائشة» [البخاري: ٤٧٨٦].

وخصّهن الله ﷻ في كتابه الكريم بتوجيهات عظيمة ومواعظ كريمة، ووعدهن بمضاعفة الأجر والثواب، قال ﷻ: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣١]، وقال ﷻ: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۝٣٣ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣، ٣٤].

رضي الله عنهم ورضوا عنه

أصحاب النبي ﷺ هم صفوة أمته، وعنوان نصرته، وأهل

مَوَدَّتِهِ، صَدَقُوا فِي حُبِّهِ، وَامْتَثَلُوا أَوَامِرَهُ، وَقَدَّمُوا أَمْوَالَهُمْ وَأَرْوَاحَهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي سَبِيلِ دَعْوَتِهِ، وَبَثِّ أَنْوَارِ هِدَايَتِهِ ﷺ. قَالَ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. وَقَالَ: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]. وَقَالَ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ» [البخاري: ٣٦٧٣، ومسلم: ٢٥٤٠]. «وَلَا نَصِيفَهُ» أَي: وَلَا نِصْفَ المُدِّ، وَهُوَ المِكْيَالُ المَعْرُوفُ.

وَقَالَ ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» [البخاري: ٣٦٥١، ومسلم: ٢٥٣٣/٢١٢].

النَّبِيُّ ﷺ يُؤَمِّرُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

وَفِي السَّنَةِ الحَادِيَةَ عَشْرَةَ جَهَّزَ النَّبِيُّ ﷺ جَيْشًا لِنَاحِيَةِ الشَّامِ لِمُوَاجَهَةِ الرُّومِ فِي مَرَضِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَكَانَ فِي الجَيْشِ كِبَارُ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَأُسَامَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمْ تَتَجَاوَزْ سِنُّهُ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ، فَتَكَلَّمَ بَعْضُ النَّاسِ فِي ذَلِكَ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ ﷺ، وَأَقْسَمَ أَنَّهُ خَلِيقٌ بِالْإِمَارَةِ، وَأَنَّهُ وَأَبَاهُ

رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْهِ [البخاري: ٤٤٦٩، ومسلم: ٢٤٢٦].

وَقَدْ تُوُفِّيَ ﷺ قبلَ أنْ يُنفِذَ ذلِكَ الجَيْشَ، فأنفَذَهُ بعدَهُ أبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

إشارات الفراق

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٤]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠].

وَقَدْ تنَزَّلَت آيَاتٌ فِيهَا إِشَارَةٌ إِلَى قُرْبِ أَجَلِهِ ﷺ، وَمِنْ ذَلِكَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣) ﴾ [سورة النصر]. فَامْتَثَلَ ﷺ الأَمْرَ، فَكَانَ بَعْدَ هَذِهِ السُّورَةِ يُكْثِرُ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ وَالاسْتِغْفَارَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ. [البخاري: ٤٩٦٨، ومسلم: ٤٨٤].

كَمَا حَدَثَتْ بَعْضُ الْمَوَاقِفِ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي كَانَتْ تُشِيرُ إِلَى قُرْبِ أَجَلِهِ ﷺ، مِنْ ذَلِكَ:

الاعتكاف عشرين ليلة:

فِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ اعتَكَفَ ﷺ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وَكَانَ قَبلَ ذَلِكَ يَعتَكِفُ عَشرًا. [البخاري: ٢٠٤٤].

مدارسة القرآن الكريم مرتين:

قَالَ ﷺ: «إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي» [البخاري: ٣٦٢٣، ٣٦٢٤، ومسلم: ٢٤٥٠/٩٧]. «يُعَارِضُنِي»: يَستَعرِضُ مَعِيَ القُرآنَ لِيَقرَأَ عَلَيَّ وَأَقرَأَ عَلَيهِ.

لعلي لا أحج بعد عامي هذا :

كَانَ ﷺ يُنَادِي فِي النَّاسِ فِي الْحَجِّ: «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ؛ فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ» [مسلم: ١٢٩٧].

يوشك أن أجيب:

قَالَ ﷺ فِي عَوْدَتِهِ مِنَ الْحَجِّ: «يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ» [مسلم: ٢٤٠٨].

الصلاة على شهداء أحد:

فِي أَوَائِلِ صَفَرٍ مِنَ السَّنَةِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ خَرَجَ ﷺ إِلَى (أُحُدٍ) فَصَلَّى عَلَى الشُّهَدَاءِ رضي الله عنهم «بَعْدَ ثَمَانِي سِنِينَ، كَالْمُوَدِّعِ لِلْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ»، وَخَطَبَ ﷺ فِي أَصْحَابِهِ

فَقَالَ: «وَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْحَوْضُ». يَقُولُ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَكَانَتْ آخِرَ نَظْرَةٍ نَظَرْتُهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» [البخاري: ٤٠٤٢، ومسلم: ٢٢٩٦].

وَفَاةُ النَّبِيِّ ﷺ أَعْظَمُ خَطْبٍ فِي الدُّنْيَا

يَا لَهُ مِنْ خَطْبٍ عَظِيمٍ تَهُونُ دُونَهُ الْخُطُوبُ، وَحَدَثٍ جَسِيمٍ تَصْغُرُ مَعَهُ الْأَحْدَاثُ، وَخَبَرٍ أَلِيمٍ تَئِنُّ لِوَقْعِهِ النُّفُوسُ، وَتَرْتَعِدُ لَهُ الْقُلُوبُ، وَتَذْرِفُ مِنْهُ الْعُيُونُ.

إِنَّهُ الْحَدَثُ الْأَكْبَرُ وَالْخَطْبُ الْجَلَلُ، إِنَّهُ وَفَاةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَكْبَرُ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَعْظَمُ نَازِلَةٍ تَحُلُّ بِالْمُسْلِمِينَ، إِنَّهُ الْخَبَرُ الَّذِي نَزَلَ بِالصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَالصَّاعِقَةِ.

بِدَايَةُ الْمَرَضِ:

فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ أَوِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ صَفَرٍ، فِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ، مِنَ السَّنَةِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ لِلْهِجْرَةِ، بَدَأَ مَرَضُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَانْتَابَهُ الصُّدَاعُ، وَارْتَفَعَتْ حَرَارَتُهُ، وَدَبَّتِ الْآلَامُ فِي جَسَدِهِ الشَّرِيفِ.

وَا رَأْسَاهُ:

اشْتَكَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ رَأْسَهَا، فَقَالَتْ: وَا رَأْسَاهُ...، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَلْ أَنَا وَا رَأْسَاهُ» [البخاري: ٥٦٦٦].

أشدُّ النَّاس وجعًا:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشَدَّ عَلَيْهِ الْوَجَعُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» [البخاري: ٥٦٤٦، ومسلم: ٢٥٧٠].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا! قَالَ: «أَجَلْ، إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ»، قُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ قَالَ: «أَجَلْ، ذَلِكَ كَذَلِكَ» [البخاري: ٥٦٤٨، ومسلم: ٢٥٧١]. «الْوَعْكُ» شِدَّةُ الْمَرَضِ وَالْأَلَمِ.

آخِرُ صُعُودٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ:

صَعِدَ ﷺ الْمِنْبَرَ، وَقَدْ عَصَبَ رَأْسَهُ بِعِصَابَةٍ، وَلَمْ يَصْعَدْ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَقَالَ: «أُوصِيكُمْ بِالْأَنْصَارِ...، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ» [البخاري: ٣٧٩٩، ومسلم: ٢٥١٠].

صَلَاةُ النَّبِيِّ ﷺ بِأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي مَرَضِهِ:

صَلَّى ﷺ بِالنَّاسِ وَهُوَ مَرِيضٌ أَحَدَ عَشَرَ يَوْمًا، وَمَجْمُوعُ أَيَّامِ الْمَرَضِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ أَوْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ يَوْمًا.

مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ:

حَاوَلَ ﷺ أَنْ يُصَلِّيَ بِأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لَمَّا ثَقُلَ عَلَيْهِ مَرَضُهُ

فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَأَرْسَلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِأَنْ يُصَلِّيَ بِهِمْ؛ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي مَرَضِهِ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ»، قَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ، فَقَالَ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ»، قَالَتْ عَائِشَةُ لِحَفْصَةَ: قُولِي لَهُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ، فَفَعَلَتْ حَفْصَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَهْ، إِنَّكُنَّ لَأَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ» [البخاري: ٧١٦، ومسلم: ٤١٨/٩٥]. «مَهْ» أي: اكْفُفْنَ. «لَأَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ» في إلحاحكُنَّ على ما تُرِدْنَه.

النَّبِيُّ ﷺ يَخْتَارُ بَيْتَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

فِي الْأُسْبُوعِ الْأَخِيرِ ثَقُلَ بِهِ الْمَرَضُ ﷺ، وَاسْتَأْذَنَ نِسَاءَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَأَذِنَّ لَهُ. [البخاري: ١٩٨، ومسلم: ٤١٨/٩٢].

النَّبِيُّ ﷺ يَخْرُجُ إِلَى الْمَسْجِدِ:

«وَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي نَفْسِهِ خِفَّةً، فَخَرَجَ، فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ يَؤُمُّ النَّاسَ، فَلَمَّا رَآهُ أَبُو بَكْرٍ اسْتَأْخَرَ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ: أَنْ كَمَا أَنْتَ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِذَاءَ أَبِي بَكْرٍ إِلَى جَنْبِهِ، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ

يُصَلِّي بِصَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلَاةِ أَبِي بَكْرٍ؛ [البخاري: ٦٨٣، ومسلم: ٤١٨/٩٧]. «حِذَاءَهُ» أي: بجوارِهِ مُحاذيًا له.

عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ترقي النبيَّ ﷺ:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى نَفَثَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ، وَمَسَحَ عَنْهُ بِيَدِهِ، فَلَمَّا اشْتَكَى وَجَعَهُ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ طَفِقْتُ أَنْفِثُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ الَّتِي كَانَ يَنْفِثُ، وَأَمْسَحُ بِيَدِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْهُ. [البخاري: ٤٤٣٩، ومسلم: ٢١٩٢]. «نَفَثَ»: النَّفْثُ: نَفْخٌ لَطِيفٌ بِلَا رِيقٍ، «طَفِقْتُ»: بَدَأْتُ.

رَيْحَانَةُ النبيِّ ﷺ تبكي وتضحك:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مَشْيُ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي»، ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ، أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَبَكَتْ، فَقُلْتُ لَهَا: لِمَ تَبْكِينَ؟ ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَضَحِكَتْ، فَقُلْتُ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ فَرَحًا أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ! فَسَأَلْتُهَا عَمَّا قَالَ، فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ، فَسَأَلْتُهَا فَقَالَتْ: أَسَرَّ إِلَيَّ: «إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي، وَإِنَّكِ أَوَّلُ

أهلِ بيتي لحاقًا بي»، فبكيتُ، فقالَ: «أما ترضينَ أنْ تكوني سيدةَ نساءِ أهلِ الجنةِ» أوْ: «نساءِ المؤمنينَ؟!» فضحكتُ لذلكَ.

[البخاري: ٣٦٢٣، ٣٦٢٤، ومسلم: ٢٤٥٠/٩٧].

وا كربَ أباهُ:

عنْ أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قالَ: لمَّا ثقلَ النبيُّ ﷺ جعلَ يتغشاهُ، فقالتْ فاطمةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: وا كربَ أباهُ، فقالَ لها: «ليسَ على أبيكِ كربٌ بعدَ اليومِ». فلمَّا ماتَ قالتْ: يا أبتاهُ، أجابَ ربًّا دعاهُ، يا أبتاهُ، منْ جنةُ الفردوسِ مأواهُ، يا أبتاهُ إلى جبريلَ ننعاهُ.

[البخاري: ٤٤٦٢]. «ثقلَ»: اشتدَّ عليهِ المرضُ، «يتغشاهُ»: يغمُّ عليهِ الكربُ، «ننعاهُ»: نخبرُ بموتهِ.

نظرةُ الوداعِ تهزُّ القلوبَ:

عنْ أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «إنَّ أبا بكرٍ كانَ يصلِّي لهمْ في وجعِ النبيِّ ﷺ الذي تُوفِّيَ فيهِ، حتَّى إذا كانَ يومُ الاثنينِ وهمْ صفوفٌ في الصلاةِ، فكشفَ النبيُّ ﷺ سترَ الحجرةِ ينظرُ إلينا وهوَ قائمٌ كأنَّ وجهَهُ ورقةُ مصحفٍ، ثمَّ تبسَّمَ يضحكُ، فهممنا أنْ نفتتنَ منَ الفرحِ برؤيةِ النبيِّ ﷺ، فنكصَ أبو بكرٍ على عقبيهِ ليصلَ الصفَّ، وظنَّ أنَّ النبيَّ ﷺ خارجٌ إلى الصلاةِ، فأشارَ إلينا النبيُّ ﷺ: أنْ أتمُّوا صلاتكمْ، وأرخى السترَ،

فَتُوُفِّيَ مِنْ يَوْمِهِ» [البخاري: ٦٨٠، ومسلم: ٤١٩]. وَكَانَتْ تِلْكَ صَلَاةَ الْفَجْرِ.

[البخاري: ٧٥٤]. «انكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ»: رَجَعَ إِلَى الْوَرَاءِ.

النَّبِيُّ ﷺ وَسَكَرَاتُ الْمَوْتِ:

عَانَى النَّبِيُّ ﷺ مِنْ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ وَشِدَّتِهِ، وَكَانَ يَضَعُ يَدَهُ فِي رَكْوَةِ مَاءٍ وَيَمْسَحُ وَجْهَهُ قَائِلًا: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ» [البخاري: ٤٤٤٩]، ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى» حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ. [البخاري: ٤٤٣٧، ومسلم: ٢٤٤٤]. «الرَّكْوَةُ»: إِنَاءٌ صَغِيرٌ مِنْ جِلْدٍ «نَصَبَ يَدَهُ»: رَفَعَهَا.

وَفَاةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي يَوْمِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

تَقُولُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَمَاتَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي كَانَ يَدُورُ عَلَيَّ فِيهِ فِي بَيْتِي، فَقَبَضَهُ اللَّهُ وَإِنَّ رَأْسَهُ لَبَيْنَ نَحْرِي وَسَحْرِي، وَخَالَطَ رِيقُهُ رِيقِي. ثُمَّ قَالَتْ: دَخَلَ عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَمَعَهُ سِوَاكٌ يَسْتَنُّ بِهِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ لَهُ: أَعْطِنِي هَذَا السِّوَاكَ يَا عَبْدَالرَّحْمَنِ، فَأَعْطَانِيهِ، فَقَضِمْتُهُ، ثُمَّ مَضَغْتُهُ، فَأَعْطَيْتُهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَنَّ بِهِ، وَهُوَ مُسْتَنِدٌ إِلَى صَدْرِي. [البخاري: ٤٤٣٨، ومسلم: ٢٤٤٣].

«سَحْرِي»: صَدْرِي «يَسْتَنُّ بِهِ»: يَتَسَوَّكُ بِهِ.

بَيْنَ حَاقِنَتِي وَذَاقِنَتِي:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ وَإِنَّهُ لَبَيْنَ حَاقِنَتِي

وَذَاقِنَتِي» [البخاري: [illegible]، ومسلم: [illegible]]. «الحَاقِنَة: بَيْنَ طَرَفِ الكَتِفِ وَالرَّقَبَةِ» «الذَّاقِنَة: الذَّقَنُ.

اليومُ الَّذي تُوفِّي فيه النَّبيُّ ﷺ :

تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ضُحَى يَوْمِ الاثْنَيْنِ [البخاري: ٦٨٠، ١٣٨٧، ومسلم: ٤١٩]، الثَّانِي عَشَرَ مِنْ رَبِيعٍ الأَوَّلِ، فِي السَّنَةِ الحَادِيَةَ عَشْرَةَ مِنَ الهِجْرَةِ.

آخر كلمة قالها النَّبيُّ ﷺ :

قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْغَتْ إِلَيْهِ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وَهُوَ مُسْنِدٌ إِلَيْهَا ظَهْرَهُ، فَسَمِعَتْهُ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ» [البخاري: [illegible] ومسلم: [illegible]].

مع الَّذين أنعم الله عليهم:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كُنْتُ أَسْمَعُ أَنَّهُ لَنْ يَمُوتَ نَبِيٌّ حَتَّى يُخَيَّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، فَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، وَأَخَذَتْهُ بُحَّةٌ، يَقُولُ: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]. قَالَتْ: فَظَنَنْتُهُ خُيِّرَ حِينَئِذٍ. [البخاري: [illegible] ومسلم: [illegible]]. بُحَّة: خُشُونَةٌ فِي الصَّوْتِ.

فداحة المُصاب على الأصحاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُم:

ذَهَلَتْ عُقُولُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم وَخَارَتْ قُوَاهُمْ؛ مِنْ وَقْعِ الخَبَرِ

الألَمِ عَلَى نُفُوسِهِمْ، فَحَزِنُوا حُزْنًا شَدِيدًا عَلَى فِرَاقِهِ ﷺ، وَفَاضَتِ الْعُيُونُ بِالدُّمُوعِ، وَأَظْلَمَتِ الْمَدِينَةُ. قَالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ» [الترمذي: ٣٦١٨، وابن ماجه: ١٦٣١].

عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهَوْلُ الْفَاجِعَةِ:

مَعَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَجُلٌ قَوِيٌّ مُهَابٌ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَتَحَمَّلْ هَوْلَ هَذِهِ النَّازِلَةِ الْعَظِيمَةِ وَأُصِيبَ بِالذُّهُولِ، فَقَامَ يَقُولُ: «وَاللَّهِ، مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ »... ثُمَّ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: «أَيُّهَا الحَالِفُ، عَلَى رِسْلِكَ»، فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ جَلَسَ عُمَرُ. [البخاري: ٣٦٦٧]. «عَلَى رِسْلِكَ»: أَيْ تَمَهَّلْ.

أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُنْقِذُ الْمَوْقِفَ:

ثَبَّتَ اللَّهُ تَعَالَى فُؤَادَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَرَبَطَ عَلَى قَلْبِهِ، وَسَدَّدَ رَأْيَهُ فِي هَذَا الْمَوْقِفِ الْعَصِيبِ، إِذْ جَاءَ «فَكَشَفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَبَّلَهُ، قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا». ثُمَّ خَطَبَ فِي النَّاسِ وَقَالَ: «أَلَا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَقَالَ: ﴿إِنَّكَ

مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠]، وَقَالَ: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]»، فَنَشَجَ النَّاسُ يَبْكُونَ [البخاري: ٣٦٦٧، ٣٦٦٨]. يَقُولُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَاللَّهِ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ تَلَاهَا فَعَقِرْتُ، حَتَّى مَا تُقِلُّنِي رِجْلَايَ، وَحَتَّى أَهْوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ حِينَ سَمِعْتُهُ تَلَاهَا، عَلِمْتُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ مَاتَ» [البخاري: ٤٤٥٤]. «نَشَجَ» أي: ارتفع صوتهم بالبكاء «عقرت»: انهارت قواي وسقطت.

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يبادرون باختيار الخليفة:

مِنْ عَظِيمِ تَوْفِيقِ اللَّهِ ﷻ لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَطِيفِ رَحْمَتِهِ بِهِمْ وَبِأُمَّةِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنْ وَفَّقَهُمْ لِسُرْعَةِ اتِّخَاذِ الْقَرَارِ الصَّائِبِ بِاخْتِيَارِ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَمَا هِيَ إِلَّا مُشَاوَرَاتٌ سَرِيعَةٌ حَتَّى بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فَاجْتَمَعَتِ الْقُلُوبُ عَلَيْهِ، وَأَقْبَلَتِ الْأَبْصَارُ إِلَيْهِ، وَأَقَرَّتِ الْجُمُوعُ بِإِمَامَتِهِ، فَقَادَ السَّفِينَةَ بِنَجَاحٍ بَاهِرٍ، وَخَدَمَ الْأُمَّةَ بِنَهْجٍ طَاهِرٍ. [البخاري: ٣٦٦٧، ٣٦٦٨].

الثوب الذي توفي فيه النبي ﷺ:

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، قَالَ: «أَخْرَجَتْ إِلَيْنَا عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كِسَاءً مُلَبَّدًا،

وَقَالَت: فِي هَذَا نُزِعَ رُوحُ النَّبِيِّ ﷺ» [البخاري: ٣١٠٨، ومسلم: ٢٠٨٠].

«المُلَبَّدُ»: مِنَ التَّلْبِيدِ، وَهُوَ السَّمِيكُ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حِينَ تُوُفِّيَ سُجِّيَ بِبُرْدٍ حِبَرَةٍ» [البخاري: ٥٨١٤، ومسلم: ٩٤٢]. «سُجِّيَ»: أَيْ غُطِّيَ. «بُرْدٌ حِبَرَةٌ»: نَوعٌ مِن نَسِيجِ اليَمَنِ فِيهِ خُطُوطٌ.

الذين تشرفوا بتغسيل النبي ﷺ:

عَنْ عَامِرٍ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: «غَسَّلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلِيٌّ، وَالفَضْلُ، وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، وَهُمْ أَدْخَلُوهُ قَبْرَهُ»، قَالَ: حَدَّثَنَا مُرَحَّبٌ أَوْ أَبُو مُرَحَّبٍ، أَنَّهُمْ أَدْخَلُوا مَعَهُمْ عَبْدَالرَّحْمَنِ بنَ عَوْفٍ، فَلَمَّا فَرَغَ عَلِيٌّ قَالَ: إِنَّمَا يَلِي الرَّجُلَ أَهْلُهُ» [أبو داود: ٣٢٠٩]. «يَلِي»: أَي يَتَوَلَّى غُسْلَهُ وَتَكْفِينَهُ.

كيف غسل النبي ﷺ؟

قَالَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم: «وَاللهِ، مَا نَدْرِي أَنُجَرِّدُ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْ ثِيَابِهِ كَمَا نُجَرِّدُ مَوْتَانَا، أَمْ نَغسِلُهُ وَعَلَيهِ ثِيَابُهُ؟... ثُمَّ كَلَّمَهُمْ مُكَلِّمٌ مِنْ نَاحِيَةِ البَيْتِ لَا يَدرُونَ مَنْ هُوَ: أَنِ اغسِلُوا النَّبِيَّ ﷺ وَعَلَيهِ ثِيَابُهُ... فَغَسَلُوهُ وَعَلَيهِ قَمِيصُهُ» [أبو داود: ٣١٤١، وابن ماجه: ١٤٦٤ مختصرًا].

تكفين النبي ﷺ:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كُفِّنَ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ

يَمَانِيَةٍ بِيضٍ سَحُولِيَّةٍ مِنْ كُرْسُفٍ، لَيْسَ فِيهِنَّ قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ» [البخاري: ١٢٦٤، ومسلم: ٩٤١]. «سَحُولِيَّةٌ»: نِسْبَةٌ إِلَى سَحُولٍ بَلْدَةٌ بِالْيَمَنِ، «كُرْسُفٍ»: قُطْنٌ.

كيف صلى الصحابة رضي الله عنهم على النبي ﷺ؟

صَلَّى الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَرْسَالًا؛ تَدْخُلُ مَجْمُوعَةٌ فَتُصَلِّي ثُمَّ تَدْخُلُ الْأُخْرَى، يَقُولُ أَبُو عَسِيبٍ رضي الله عنه: فَكَانُوا يَدْخُلُونَ مِنْ هَذَا الْبَابِ فَيُصَلُّونَ عَلَيْهِ ثُمَّ يَخْرُجُونَ مِنَ الْبَابِ الْآخَرِ. [أحمد: ٢٠٧٦٦]. «أَرْسَالًا»: جَمَاعَاتٍ.

صاحب اللحد:

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ كَانَ بِالْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَلْحَدُ، وَآخَرُ يَضْرَحُ، فَقَالُوا: نَسْتَخِيرُ رَبَّنَا، وَنَبْعَثُ إِلَيْهِمَا، فَأَيُّهُمَا سَبَقَ تَرَكْنَاهُ، فَأَرْسِلَ إِلَيْهِمَا، فَسَبَقَ صَاحِبُ اللَّحْدِ، فَلَحَدُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ. [ابن ماجه: ١٥٥٧]. «يَضْرَحُ»: يَحْفِرُ ضَرِيحًا، وَهُوَ الشَّقُّ فِي وَسَطِ الْقَبْرِ، «لَحَدُوا»: شَقُّوا فِي جَانِبِ الْقَبْرِ لِدَفْنِهِ.

وَقَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: «الْحَدُوا لِي لَحْدًا، وَانْصِبُوا عَلَيَّ اللَّبِنَ نَصْبًا، كَمَا صُنِعَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ» [مسلم: ٩٦٦]. «اللَّبِنُ»: قَوَالِبُ مَصْنُوعَةٌ مِنْ طِينٍ.

سَيِّدُ الخَلْقِ ﷺ يُوارَى الثَّرَى:

دُفِنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حُجْرَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وَفِي الْحَدِيثِ: «مَا قَبَضَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُدْفَنَ فِيهِ» [الترمذي: ١٠١٨].

وَكَانَ ذَلِكَ فِي آخِرِ اللَّيْلِ لَيْلَةَ الْأَرْبِعَاءِ. [أحمد: ٢٤٣٣٣].

القَطِيفَةُ الحَمْرَاءُ:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «جُعِلَ فِي قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَطِيفَةٌ حَمْرَاءُ» [مسلم: ٩٦٧].

وَعَنْ شُقْرَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «أَنَا وَاللَّهِ، طَرَحْتُ الْقَطِيفَةَ تَحْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْقَبْرِ» [الترمذي: ١٠٤٧].

فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَلَوْعَةُ الفِرَاقِ :

قَالَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بَعْدَ أَنْ دُفِنَ وَالِدُهَا ﷺ: يَا أَنَسُ، أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ التُّرَابَ؟! [البخاري: ٤٤٦٢].

أَصْعَبُ لَيْلَةٍ تَمُرُّ عَلَى الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ :

لَنَا أَنْ نَتَخَيَّلَ لَيْلَةً يَبِيتُ فِيهَا الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَلَيْسَ بَيْنَهُمْ حَبِيبُهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، مَا أَصْعَبَهَا عَلَيْهِمْ! وَمَا أَشَدَّهَا عَلَى نُفُوسِهِمْ!

عمر النبي ﷺ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأَرْبَعِينَ سَنَةً... وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ» [البخاري: ٣٩٠٢، ومسلم: ٢٣٥١]. وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تُوُفِّيَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً. [البخاري: ٣٥٣٦، ومسلم: ٢٣٤٩].

التركة المحمدية

عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا، وَلَا عَبْدًا، وَلَا أَمَةً، إِلَّا بَغْلَتَهُ الْبَيْضَاءَ الَّتِي كَانَ يَرْكَبُهَا، وَسِلَاحَهُ، وَأَرْضًا جَعَلَهَا لِابْنِ السَّبِيلِ صَدَقَةً» [البخاري: ٤٤٦١].

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَلَا شَاةً وَلَا بَعِيرًا...» [مسلم: ١٦٣٥]. وَعَنْهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا فِي بَيْتِي مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ، إِلَّا شَطْرُ شَعِيرٍ فِي رَفٍّ لِي» [البخاري: ٣٠٩٧، ومسلم: ٢٩٧٣]. «رَفّ»: خَشَبٌ يُثَبَّتُ حَرْفُهُ فِي عَرْضِ الْحَائِطِ تُوضَعُ عَلَيْهِ الْأَوَانِي. وَقَالَ ﷺ: «لَا يَقْتَسِمُ وَرَثَتِي دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، مَا تَرَكْتُ بَعْدَ نَفَقَةِ نِسَائِي وَمَؤُونَةِ عَامِلِي فَهُوَ صَدَقَةٌ» [البخاري: ٢٧٧٦، ومسلم: ١٧٦٠].

بَلْ وَمِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ أَنْ يَمُوتَ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ عَرَفَتْهُ الدُّنْيَا، وَأَحَبُّ مَخْلُوقٍ إِلَى اللهِ ﷻ، وَدِرْعُهُ ﷺ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ فِي ثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ. [البخاري: ٢٩١٦، ومسلم: ١٦٠٣]. إِنَّ تَرِكَتَهُ ﷺ الْحَقِيقِيَّةَ لَهِيَ: الْهُدَى وَالنُّورُ وَالْعِلْمُ الَّذِي اسْتَضَاءَتْ بِهِ الدُّنْيَا وَتَعَطَّرَ بِهِ الْكَوْنُ. يَقُولُ ﷺ: «إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَرَّثُوا الْعِلْمَ؛ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ» [أبو داود: ٣٦٤١، والترمذي: ٢٦٨٢، وابن ماجه: ٢٢٣].

الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ الْمُعْجِزَةُ الْخَالِدَةُ لِلنَّبِيِّ ﷺ

قَالَ ﷻ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]. تَزَيَّنَتْ حَيَاةُ النَّبِيِّ ﷺ بِكَثِيرٍ مِنَ الدَّلَائِلِ الْبَيِّنَاتِ، وَالْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَاتِ، الَّتِي عَمَرَتْ بِهَا سِيرَتُهُ الْمُبَارَكَةُ، وَلَكِنَّ اللهَ ﷻ أَيَّدَهُ ﷺ بِالْمُعْجِزَةِ الْخَالِدَةِ، وَالْآيَةِ الْبَيِّنَةِ، وَهِيَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ؛ قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وَقَالَ ﷻ: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]. فَكَانَ دُسْتُورًا شَامِلًا، وَمِنْهَاجًا كَامِلًا فِي شَتَّى مَنَاحِي الْحَيَاةِ: التَّشْرِيعِيَّةِ، وَالْأَخْلَاقِيَّةِ، وَالِاجْتِمَاعِيَّةِ، وَالسِّيَاسِيَّةِ،

وَالاقْتِصَادِيَّةِ، وَالْإِدَارِيَّةِ، وَالْإِعْلَامِيَّةِ، وَغَيْرِهَا، قَالَ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨]، وَقَالَ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:٨٩].

وَقَدْ تَحَدَّى اللهُ ﷻ بِهِ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء:٨٨].

النَّبِيُّ ﷺ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

آيَاتٌ كَثِيرَةٌ فِيهَا حَدِيثٌ مُبَاشِرٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ثَنَاءً عَلَيْهِ، وَخِطَابًا إِلَيْهِ، وَأَمْرًا بِطَاعَتِهِ، وَتَوْجِيهًا بِاتِّبَاعِهِ، وَنَهْيًا عَنْ مُخَالَفَتِهِ، وَجَاءَتْ سُوَرٌ كَامِلَةٌ مُوَجَّهَةٌ لَهُ ﷺ تَحْمِلُ فِي آيَاتِهَا مِنَ الْبَشَائِرِ وَالرِّضْوَانِ مَا لَا حَدَّ لَهُ، وَمِنْ ذَلِكَ: سُورَةُ (الضُّحَى) وَ(الشَّرْحِ) وَ(الْكَوْثَرِ) وَ(النَّصْرِ)، وَجَاءَتْ سُورَةٌ بِاسْمِهِ ﷺ، وَهِيَ سُورَةُ (مُحَمَّدٍ).

عَدَدُ مَرَّاتِ ذِكْرِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:

مِمَّا يُجَلِّي عَظَمَةَ النَّبِيِّ ﷺ وَرَفِيعَ مَنْزِلَتِهِ عِنْدَ اللهِ ﷻ أَنَّ حُضُورَهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَذِكْرَهُ فِيهِ، وَالْإِشَارَةَ إِلَيْهِ، وَالْحَدِيثَ عَنْهُ أَوْ مِنْهُ أَوْ إِلَيْهِ، سَوَاءٌ أَكَانَ ذَلِكَ بِاسْمِهِ الصَّرِيحِ

أَمْ بِصِفَاتِهِ وَنُعُوتِهِ الْمُتَعَدِّدَةِ، أَمْ بِأَسْمَاءِ الْإِشَارَةِ أَوِ الْأَسْمَاءِ الْمَوْصُولَةِ، أَوْ أَنْوَاعِ الضَّمَائِرِ الْمُخْتَلِفَةِ، يَرْبُو عَلَى أَرْبَعَةِ آلَافِ مَرَّةٍ (٤٠٠٠). أَمَّا عَدَدُ الْآيَاتِ الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَى ذَلِكَ فَهِيَ قُرَابَةُ ثَلَاثٍ وَمِائَةٍ وَأَلْفِ آيَةٍ (١١٠٣).

وَذُكِرَ ﷺ بِاسْمِهِ الصَّرِيحِ «مُحَمَّدٌ» فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَهِيَ: آلِ عِمْرَانَ: ١٤٤، الْأَحْزَابِ: ٤٠، مُحَمَّدٍ: ٢، الْفَتْحِ: ٢٩، وَبِاسْمِهِ «أَحْمَدُ» فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ فِي سُورَةِ الصَّفِّ: ٦.

آدَابٌ نَبَوِيَّةٌ وَأَخْلَاقٌ مُحَمَّدِيَّةٌ

١- عِبَادَتُهُ ﷺ:

لَمْ تَكْتَحِلْ عَيْنُ الدُّنْيَا بِإِنْسَانٍ أَكْمَلَ عِبَادَةً مِنْهُ ﷺ، وَلَقَدْ قَامَ لِلَّهِ ﷻ حَتَّى تَفَطَّرَتْ قَدَمَاهُ، وَحِينَ رَأَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِنْ عِبَادَتِهِ ﷺ وَقِيَامِهِ اللَّيْلَ مَا أَدْهَشَهَا قَالَتْ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟! قَالَ: «أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا؟!» [البخاري: ٤٨٣٧، ومسلم: ٢٨٢٠].

وَيَقُولُ ﷺ: «إِنِّي لَأَتْقَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَخْشَاكُمْ لَهُ» [البخاري: ٢٠، ومسلم: ١١٠٨].

وَصَدَقَ ﷺ، فَمَا مِنْ طَاعَةٍ لِلَّهِ ﷻ أَوْ قُرْبَةٍ إِلَيْهِ أَوْ مَرْضَاةٍ

لَهُ إِلَّا وَجَاءَتْ مِنْ طَرِيقِهِ ﷺ قَوْلًا وَعَمَلًا وَصِفَةً وَتَعْلِيمًا، فَهُوَ الأُسْوَةُ الحُسْنَى فِي العِبَادَةِ، وَالقُدْوَةُ العُظْمَى فِي الطَّاعَةِ، وَالمَثَلُ الأَعْلَى فِي التَّقْوَى.

٢ـ دُعَاؤُهُ وَثَنَاؤُهُ وَذِكْرُهُ وَاسْتِغْفَارُهُ ﷺ:

لَمْ تَعْرِفِ الدُّنْيَا أَجْمَلَ دُعَاءً، وَلَا أَعْذَبَ ثَنَاءً، وَلَا أَحْسَنَ ذِكْرًا، وَلَا أَفْضَلَ اسْتِغْفَارًا، وَلَا أَعْظَمَ تَسْبِيحًا للهِ ﷻ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ خَاطَبَهُ رَبُّهُ ﷻ بِقَوْلِهِ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٦]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ [طه: ١٣٠]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ [المزمل: ٨]. «التَّبَتُّلُ»: الانْقِطَاعُ لِلْعِبَادَةِ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [النصر: ٣].

وَلَقَدْ أَسْعَدَ ﷺ القُلُوبَ، وَأَنَارَ الصُّدُورَ، بِمَا عَلَّمَهُ لِلنَّاسِ مِنْ فُنُونِ الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ، وَأَلْوَانِ التَّسْبِيحِ وَالثَّنَاءِ، وَدُرَرِ الاسْتِغْفَارِ وَالرَّجَاءِ.

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠]. [أبو داود: ١٤٧٩، والترمذي: ٢٩٦٩، والنسائي في الكبرى: ١١٤٠٠، وابن ماجه: ٣٨٢٨]. «دَاخِرِينَ»: صَاغِرِينَ ذَلِيلِينَ.

وَيَقُولُ ﷺ: «سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ»، قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ» [مسلم: ٢٦٧٦].

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «وَاللَّهِ، إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً» [البخاري: ٦٣٠٧].

وَفِي لَفْظٍ: «وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ» [مسلم: ٢٧٠٢].

وَيَقُولُ ﷺ: «لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ» [مسلم: ٢٦٩٥].

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ» [البخاري معلقا قبل حديث: ٦٣٤، ومسلم: ٣٧٣].

وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي» يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ. [البخاري: ٤٩٦٨، ومسلم: ٤٨٤]. «يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ» أَيْ: يَعْمَلُ مَا أُمِرَ بِهِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ﴾ [النصر: ٣].

٢ـ تعليمه ﷺ:

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]، وقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا، وَلَا مُتَعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا» [مسلم: ١٤٧٨]. «مُعَنِّتًا»: مُشَدِّدًا عَلَى النَّاسِ، «مُتَعَنِّتًا»: طَالِبًا لِزَلَّةِ أَحَدٍ.

وَيَقُولُ ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ؛ أُعَلِّمُكُمْ» [أبو داود: ٨].

وَيَقُولُ مُعَاوِيَةُ بْنُ الْحَكَمِ رضي الله عنه عَنْ حُسْنِ تَعْلِيمِهِ ﷺ: «مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ» [مسلم: ٥٣٧].

وَعَنْ أَبِي رِفَاعَةَ رضي الله عنه: «انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَخْطُبُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، رَجُلٌ غَرِيبٌ، جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ، لَا يَدْرِي مَا دِينُهُ، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ، فَأُتِيَ بِكُرْسِيٍّ، حَسِبْتُ قَوَائِمَهُ حَدِيدًا، فَقَعَدَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ، ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ، فَأَتَمَّ آخِرَهَا» [مسلم: ٨٧٦].

وَكَانَ ﷺ «يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لَأَحْصَاهُ» [البخاري: ٣٥٦٧، ومسلم: ٢٤٩٣ (٤/ ٢٢٩٨)]. وَكَانَ ﷺ «إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا، حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ» [البخاري: ٩٥].

وَيُبَيِّنُ ﷺ مَنْزِلَةَ الْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ فَيَقُولُ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ» [مسلم: ٢٦٩٩].

٤. دَعْوَتُهُ ﷺ:

قال ﷻ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وَقال ﷻ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]. وَقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

وَقَالَ ﷺ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً» [البخاري: ٣٤٦١].

وَقَالَ ﷺ: «لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ» [البخاري: ٢٩٤٢، ومسلم: ٢٤٠٦].

وَقَالَ ﷺ: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ» [مسلم: ١٨٩٣].

وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ، وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ، حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا، وَحَتَّى الحُوتَ، لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ» [الترمذي: ٢٦٨٥].

وَلَقَدْ ظَلَّ ﷺ قُرَابَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً وَهُوَ يَدْعُو إِلَى اللهِ ﷻ فِي صَبْرٍ وَرِفْقٍ وَرَحْمَةٍ وَيُسْرٍ، فَهَدَى اللهُ ﷻ بِهِ القُلُوبَ، وَأَنَارَ بِدَعْوَتِهِ الدُّرُوبَ، وَأَسْعَدَ بِهَا الأُمَمَ وَالشُّعُوبَ.

٥ـ أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ﷺ:

قال ﷻ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال ﷻ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وَقَالَ ﷺ: «مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ، وَلَا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ، إِلَّا كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، فَالمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللهُ تَعَالَى» [البخاري: ٧١٩٨]. «البِطَانَة»: خَوَاصُّ المُسْتَشَارِينَ وَالمُقَرَّبِينَ.

وَقَالَ ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنكُمْ مُنكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ» [مسلم: ٤٩].

وَكَانَ ﷺ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنكَرِ فِي أَجْمَلِ أُسْلُوبٍ، وَأَفْضَلِ وَسِيلَةٍ، وَأَلْطَفِ عِبَارَةٍ، وَأَحْسَنِ مَوْعِظَةٍ، وَيُحَذِّرُ مِنْ تَتَبُّعِ عَوْرَاتِ النَّاسِ، أَوِ التَّشْهِيرِ بِهِمْ، أَوِ اتِّهَامِ نِيَّاتِهِمْ، يَقُولُ ﷺ: «مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [البخاري: ٢٤٤٢، ومسلم: ٢٥٨٠].

وَفِي لَفْظٍ: «سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» [مسلم: ٢٦٩٩].

وَقَالَ ﷺ: «إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ، وَلَا أَشُقَّ بُطُونَهُمْ» [البخاري: ٤٣٥١، ومسلم: ١٠٦٤/١٤٤].

وَقَالَ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَسَّسُوا» [البخاري: ٥١٤٣، ومسلم: ٢٥٦٣].

٦ـ عدله ﷺ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨]. «الْقِسْطِ»: الشَّهَادَةُ بِالْعَدْلِ. «شَنَآنُ»: عَدَاوَةٌ وَبُغْضٌ.

وَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠]. وَقَالَ: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ [الشورى: ١٥].

وَكَانَ ﷺ حكَمًا عدلًا فِي أَقوالِهِ وأفعالِهِ وَكُلّ شُؤونِ حياتِهِ.

يَقُولُ ﷺ: «مَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟!» [البخاري: ٣٣٤٤، ومسلم: ١٠٦٤/١٤٣].

وَيَقُولُ ﷺ: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ﷻ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا» [مسلم: ١٨٢٧].

وَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ ﷻ الظُّلْمَ وَمَقَتَ أَرْبَابَهُ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]، وَقَالَ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠].

وَقَالَ ﷺ: «الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [البخاري: ٢٤٤٧، ومسلم: ٢٥٧٩].

وَقَالَ ﷺ: «اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ» [البخاري: ١٤٩٦، ومسلم: ١٩].

وَأَخْبَرَ ﷺ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ ﷻ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: «يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا» [مسلم: ٢٥٧٧].

٧- وفاؤه ﷺ:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [المائدة:١]، وقال تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء:٣٤].

كَانَ ﷺ سَيِّدَ الْأَوْفِيَاءِ، وَأُسْوَةَ الْأُمَنَاءِ؛ فَقَدْ وَفَّى لِلصَّدِيقِ وَالْعَدُوِّ، وَالْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، وَالْمُسْلِمِ وَغَيْرِ الْمُسْلِمِ، لَمْ يُخْلِفْ وَعْدًا، وَلَمْ يَنْكُثْ عَهْدًا.

يَقُولُ أَبُو سُفْيَانَ رضي الله عنه وَقَدْ سَأَلَهُ هِرَقْلُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟ قُلْتُ: لَا»...، فَقَالَ: «وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدِرُ» [البخاري:٧، ومسلم:١٧٧٣].

وَهَذِهِ بَعْضُ نَمَاذِجَ مِنْ وَفَائِهِ ﷺ:

- وَفَاؤُهُ ﷺ لِلْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَقَوْلُهُ: «نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَنَسْتَعِينُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ» [مسلم:١٧٨٧].

- وَفَاؤُهُ ﷺ لِلْمُشْرِكِينَ فِي صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ: «وَلَمْ يَأْتِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَحَدٌ مِنَ الرِّجَالِ إِلَّا رَدَّهُ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ، وَإِنْ كَانَ مُسْلِمًا» [البخاري:٢٧١١، ٢٧١٢].

وَقَوْلُهُ ﷺ: «إِنَّا قَدْ عَقَدْنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ صُلْحًا، فَأَعْطَيْنَاهُمْ

عَلَى ذَلِكَ، وَأَعْطَوْنَا عَلَيْهِ عَهْدًا، وَإِنَّا لَنْ نَغْدِرَ بِهِمْ» [أحمد: [illegible]، وأصله عند البخاري: [illegible]، [illegible]].

- وَفَاؤُهُ ﷺ لِلْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ وَحِفْظُهُ لِمَعْرُوفِهِ إِذْ أَجَارَهُ الْمُطْعِمُ بِمَكَّةَ بَعْدَ عَوْدَتِهِ ﷺ مِنَ الطَّائِفِ، وَقَوْلُهُ ﷺ عَنْ أَسْرَى بَدْرٍ: «لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتْنَى لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ» [البخاري: ٣١٣٩].

- وَفَاؤُهُ ﷺ لِخَادِمِهِ الْغُلَامِ الْيَهُودِيِّ، وَزِيَارَتُهُ لَهُ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ، وَإِسْلَامُ الْغُلَامِ عَلَى يَدَيْهِ ﷺ. [البخاري: ١٣٥٦].

- وَفَاؤُهُ ﷺ لِزَوْجَتِهِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بَعْدَ مَوْتِهَا، فَقَدْ كَانَ يَذْبَحُ الشَّاةَ، «ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ» [البخاري: ٣٨١٨، ومسلم: ٢٤٣٥].

وَلَمَّا جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ عَجُوزٌ احْتَفَى بِهَا ﷺ وَأَكْرَمَهَا وَقَالَ: «إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا زَمَنَ خَدِيجَةَ، وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ» [الحاكم: ١/١٥].

- وَفَاؤُهُ ﷺ وَعَطْفُهُ وَاهْتِمَامُهُ بِأُمِّ سُلَيْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَقَوْلُهُ ﷺ: «إِنِّي أَرْحَمُهَا، قُتِلَ أَخُوهَا مَعِي» [البخاري: ٢٨٤٤، ومسلم: ٢٤٥٥].

- وَفَاؤُهُ ﷺ لِلأَنصَارِ رضي الله عنهم إِذ قَالَ ﷺ: «وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعبًا لَسَلَكتُ وَادِيَ الأَنصَارِ وَشِعبَهَا» [البخاري: ٤٣٣٠، ومسلم: ١٠٦١]. «الشُّعب»: الطَّرِيقُ بَيْنَ جَبَلَيْنِ.

إِلَى غَيرِ ذَلِكَ مِن جَوَانِبِ الوَفَاءِ فِي حَيَاتِهِ ﷺ الَّتِي لَمْ يَشهَدِ التَّارِيخُ لَهَا مَثِيلًا.

٨- حَيَاؤُهُ ﷺ:

«كَانَ النَّبِيُّ ﷺ شَدِيدَ الحَيَاءِ» [البخاري: ١١٧٣]. وَ«كَانَ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ العَذرَاءِ فِي خِدرِهَا» [البخاري: ٣٥٦٢، ومسلم: ٢٣٢٠].

وَكَانَ ﷺ يُعَلِّمُ النَّاسَ هَذَا الخُلُقَ الرَّفِيعَ فَيَقُولُ: «الحَيَاءُ لَا يَأتِي إِلَّا بِخَيرٍ» [البخاري: ٦١١٧، ومسلم: ٣٧].

وَيَقُولُ ﷺ: «الحَيَاءُ شُعبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ» [البخاري: ٩، ومسلم: ٣٥].

وَيَقُولُ ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَدرَكَ النَّاسُ مِن كَلَامِ النُّبُوَّةِ: إِذَا لَمْ تَستَحيِ فَافعَل مَا شِئتَ» [البخاري: ٣٤٨٣].

٩- تَوَاضُعُهُ ﷺ:

كَانَ ﷺ أَحسَنَ النَّاسِ تَوَاضُعًا، فَهُوَ القَائِلُ: «وَإِنَّ اللهَ أَوحَى

إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ» [مسلم: ٢٨٦٥/٦٤].

وَيَقُولُ ﷺ: «لَوْ دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ أَوْ كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ» [البخاري: ٢٥٦٨].

وَوَقَفَ أَمَامَهُ رَجُلٌ يَرْتَعِدُ خَوْفًا فَقَالَ ﷺ: «هَوِّنْ عَلَيْكَ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ» [ابن ماجه: ٣٣١٢]. «الْقَدِيدُ»: هُوَ اللَّحْمُ الْمُمَلَّحُ وَالْمُجَفَّفُ فِي الشَّمْسِ.

وَيَقُولُ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنْ كَانَتِ الْأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ» [البخاري: ٦٠٧٢ معلقًا]، أَيْ: يَذْهَبُ مَعَهَا لِمُسَاعَدَتِهَا وَقَضَاءِ حَاجَتِهَا. «الْأَمَةُ»: الْفَتَاةُ الْمَمْلُوكَةُ.

وَيَقُولُ ﷺ: «وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ» [مسلم: ٢٥٨٨].

وَيَقُولُ ﷺ: «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ» [مسلم: ٢٥٦٤].

وَيَقُولُ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» [مسلم: ٢٥٦٤/٣٣].

١٠ـ رَحْمَتُهُ وَرِفْقُهُ ﷺ:

كَانَ ﷺ أَرْحَمَ النَّاسِ قَلْبًا، وَأَرَقَّهُمْ نَفْسًا، وَلَا عَجَبَ، قَدْ حَصَرَ اللَّهُ ﷻ رِسَالَتَهُ فِي الرَّحْمَةِ، ﷺ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وَقَالَ عَنْهُ ﷻ: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]. وَيَقُولُ ﷺ: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً» [مسلم: ٢٥٩٩]. «وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَحِيمًا رَفِيقًا» [البخاري: ٦٣١، ومسلم: ٦٧٤].

وَكَانَتْ سِيرَتُهُ الشَّرِيفَةُ ﷺ تَرْسُمُ أَجْمَلَ لَوْحَاتِ الرَّحْمَةِ، وَتُسَطِّرُ أَعْذَبَ قَصَصِ الرِّفْقِ، وَتُجَسِّدُ أَبْدَعَ مَشَاهِدِ الْإِحْسَانِ، وَهُوَ الْقَائِلُ ﷺ: «إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ» [البخاري: ١٢٨٤، ومسلم: ٩٢٣]. وَالْقَائِلُ ﷺ: «لَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ» [البخاري: ٧٣٧٦، ومسلم: ٢٣١٩].

وَالْقَائِلُ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ» [البخاري: ٦٩٢٧، ومسلم: ٢٥٩٣]. وَالْقَائِلُ ﷺ: «مَنْ حُرِمَ الرِّفْقَ حُرِمَ الْخَيْرَ» [مسلم: ٢٥٩٢/٧٧]. وَالْقَائِلُ ﷺ: «إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ

مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ» [مسلم: ٢٥٩٤].

وَيَقُولُ ﷺ: «إِنِّي لَأَقُومُ فِي الصَّلَاةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ» [البخاري: ٧٠٧]. وَغَضِبَ ﷺ غَضَبًا شَدِيدًا مِمَّنْ يُطِيلُ بِالنَّاسِ فِي الصَّلَاةِ، فَقَالَ: «إِنَّ مِنكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيَتَجَوَّزْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ وَالكَبِيرَ وَذَا الحَاجَةِ» [البخاري: ٩٠، ومسلم: ٤٦٦]. «يَتَجَوَّزُ»: يُخَفِّفُ.

وَشَمِلَتْ رَحْمَتُهُ ﷺ سَائِرَ المَخْلُوقَاتِ، قَالَ ﷺ: «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ» [البخاري: ٢٣٦٣، ومسلم: ٢٢٤٤]. «كَبِدٍ رَطْبَةٍ»: أَيْ كَائِنٍ حَيٍّ. وَقَالَ ﷺ: «بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ، كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا، فَسَقَتْهُ، فَغُفِرَ لَهَا بِهِ» [البخاري: ٣٤٦٧، ومسلم: ٢٢٤٥/١٥٥]. «الرَّكِيَّةُ»: البِئْرُ. «مُوقَهَا»: الخُفُّ الغَلِيظُ.

وَقَالَ ﷺ: «دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ، رَبَطَتْهَا، فَلَمْ تُطْعِمْهَا، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ» [البخاري: ٣٣١٨، ومسلم: ٢٢٤٢]. «خَشَاشُ الأَرْضِ»: الحَشَرَاتُ وَالهَوَامُّ.

وَلَمَّا رَأَى جَمَلُ النَّبِيِّ ﷺ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ

فَمَسَحَ عَلَى رَأْسِهِ ثُمَّ قَالَ لِصَاحِبِهِ: «أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا؟! فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ» [أبو داود: ٢٥٤٩]. «تُدْئِبُهُ»: تُطِيلُ عَمَلَهُ وَتُتْعِبُهُ.

وَفِي أَحَدِ أَسْفَارِهِ ﷺ رَأَى الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حُمَّرَةً وَمَعَهَا فَرْخَانِ، فَأَخَذَ أَحَدُهُمْ فَرْخَيْهَا، فَجَاءَتِ الْحُمَّرَةُ فَجَعَلَتْ تَفْرُشُ وَتُرَفْرِفُ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا» [أبو داود: ٢٦٧٥]. «الْحُمَّرَةُ»: نَوْعٌ مِنَ الطُّيُورِ. «تَفْرُشُ»: تُرَفْرِفُ بِجَنَاحَيْهَا وَتَقْتَرِبُ مِنَ الأَرْضِ.

١١- عَفْوُهُ وَصَفْحُهُ ﷺ:

خَاطَبَهُ رَبُّهُ ﷻ مُنْذُ أَنْ كَانَ ﷺ فِي مَكَّةَ يُوَاجِهُ صُنُوفَ الأَذَى وَالْعِنَادِ وَالْجَهْلِ بِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥]، وَقَالَ لَهُ ﷻ: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. وَقَالَ ﷻ: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾ [فصلت: ٣٤].

وَبَيَّنَ ﷻ صِفَاتِ الْمُتَّقِينَ، فَذَكَرَ مِنْهَا: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وقال ﷻ عن المؤمنين: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧].

فكان ﷺ أعظمَ الناس عفوًا، وأحسنهم صفحًا، تقول عائشة رضي الله عنها: «والله، ما انتقم لنفسه في شيء يُؤتى إليه قطُّ» [البخاري: ٦٧٨٦، ومسلم: ٢٣٢٧].

ويقول عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن صفته ﷺ في التوراة: «ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر» [البخاري: ٢١٢٥].

وقال ﷺ: «وما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلا عزًّا» [مسلم: ٢٥٨٨].

وقال ﷺ: «ليس الشديد بالصُّرَعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» [البخاري: ٦١١٤، ومسلم: ٢٦٠٩]. «الصُّرَعة»: الذي يصرع الناس.

وقد ملك ﷺ القلوب، وسكن الأفئدة بجميل خُلقه، وروعة عفوه، ولطيف تسامحه، وعظيم حلمه، وكريم صفحه ﷺ.

١٢- يُسرُه وسماحته ﷺ:

قال ﷻ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال ﷻ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

وَأَخْبَرَ اللهُ ﷻ أَنَّ مِنْ صِفَاتِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ جَاءَ بِالْيُسْرِ وَالسَّمَاحَةِ وَالتَّخْفِيفِ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وَقَالَ: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ [الأعلى: ٨].

فَكَانَ ﷺ أَيْسَرَ النَّاسِ، وَأَسْمَحَ النَّاسِ. وَكَانَ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ رضي الله عنهم: «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا» [البخاري: ٦٩، ومسلم: ١٧٣٤]. وَ«إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ» [البخاري: ٢٢٠]. وَ«إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا، وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا» [البخاري: ٣٩]. وَ«عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ» [البخاري: ٤٣، ومسلم: ٧٨٥/٢٢١]، وَ«إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ» [النسائي: ٣٠٥٧، وابن ماجه: ٣٠٢٩]، وَ«مَا خُيِّرَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَأْثَمْ» [البخاري: ٦٧٨٦، ومسلم: ٢٣٢٧].

١٢ـ ضَحِكُهُ وَتَبَسُّمُهُ ﷺ:

كَانَ ﷺ مُشْرِقَ الْوَجْهِ، دَائِمَ الِابْتِسَامَةِ، قَالَ جَرِيرٌ رضي الله عنه: «مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلَا رَآنِي إِلَّا ضَحِكَ» [البخاري: ٣٠٣٥، ومسلم: ٢٤٧٥].

وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ الْحَارِثِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ» [الترمذي: ٣٦٤١].

وَقَالَ ﷺ: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ» [الترمذي: ١٩٥٦].

وَقَالَ ﷺ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ» [مسلم: ٢٦٢٦]. «طَلْق»: ضَاحِكٌ مُسْتَبْشِرٌ.

وَكَانَ ﷺ يُلَاطِفُ أَزْوَاجَهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ وَيُدَاعِبُ أَصْحَابَهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَيُمَازِحُهُمْ. [البخاري: ٦١٢٩، ٦٢٠٣، وأبو داود: ٤٩٩٨، والترمذي: ١٩٩٠].

وَلَمَّا قَالُوا لَهُ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا! قَالَ: «إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا» [الترمذي: ١٩٩٠].

١٤ـ كَرَمُهُ وَجُودُهُ ﷺ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبأ: ٣٩]. وَيَقُولُ ﷺ: «إِنَّ اللهَ قَالَ لِي: أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ» [البخاري: ٤٦٨٤، ومسلم: ٩٩٣/٣٧].

وَكَانَ ﷺ أَكْرَمَ النَّاسِ وَأَجْوَدَهُمْ، وَكَانَ «يُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ» [مسلم: ٢٣١٢/٥٧]. وَلَا يُسْأَلُ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ. [البخاري: ٦٠٣٤].

«وَمَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ: لَا» [البخاري: ٦٠٣٤، ومسلم: ٢٣١١].

وَكَانَ ﷺ «أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ» [البخاري: ٦، ومسلم: ٢٣٠٨].

وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ» [البخاري: ٦٣٧٠، ومسلم: ٢٧٠٦/٥٠].

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا يَسُرُّنِي أَنْ لَا يَمُرَّ عَلَيَّ ثَلَاثٌ، وَعِنْدِي مِنْهُ شَيْءٌ، إِلَّا شَيْءٌ أُرْصِدُهُ لِدَيْنٍ» [البخاري: ٢٣٨٩، ومسلم: ٩٩١]. «أُرْصِدُهُ»: أَحْفَظُهُ وَأُعِدُّهُ لِأَدَاءِ دَيْنٍ كَانَ عَلَيَّ.

وَهَذَا مَوْقِفٌ يُجَسِّدُ حُسْنَ الْخُلُقِ وَجَمَالَ الْحِلْمِ وَشِيمَةَ الْعَطَاءِ؛ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ» [البخاري: ٣١٤٩، ومسلم: ١٠٥٧]. «بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ»: نَوْعٌ مِنَ الثِّيَابِ الْمَنْسُوجَةِ فِي نَجْرَانَ.

١٥- زُهْدُهُ وَقَنَاعَتُهُ ﷺ:

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَزْهَدَ النَّاسِ وَأَقْنَعَهُمْ، وَكَانَ يَقُولُ: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟!

مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»

[الترمذي: ٢٣٧٧، وابن ماجه: ٤١٠٩].

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: «إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلَالِ، ثُمَّ الْهِلَالِ، ثَلَاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَارٌ»

[البخاري: ٢٥٦٧، ومسلم: ٢٩٧٢/ ٥ (٢٨/ ٢٩٧٢)].

وَكَانَ ﷺ يَبْتَهِلُ إِلَى رَبِّهِ قَائِلًا: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا» [البخاري: ٦٤٦٠، ومسلم: ١٠٥٥].

وَظَلَّ ﷺ يَغْرِسُ فِي قُلُوبِ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ الْقَنَاعَةَ وَالرِّضَا، وَحُسْنَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ ﷻ.

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ» [مسلم: ١٠٥٤].

وَيَقُولُ ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا»

[الترمذي: ٢٣٤٦، وابن ماجه: ٤١٤١]. «سِرْبِهِ»: أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَمَسْكَنُهُ.

وَيَقُولُ ﷺ: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ» [البخاري: ٦٤٤٦، ومسلم: ١٠٥١]. «الْعَرَضُ»: الْمَالُ وَالْمَتَاعُ وَغَيْرُهُ.

وَيَقُولُ ﷺ: «وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَصْبِرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ» [البخاري: ١٤٦٩، ومسلم: ١٠٥٣].

وَيَقُولُ ﷺ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» [البخاري: ٦٤١٦].

١٦ـ طعامه وشرابه ﷺ:

كَانَ ﷺ لَا يَرُدُّ مَوْجُودًا، وَلَا يَتَكَلَّفُ مَفْقُودًا، وَلَمْ يَعِبْ طَعَامًا قَطُّ. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «مَا عَابَ النَّبِيُّ ﷺ طَعَامًا قَطُّ، إِنِ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ، وَإِلَّا تَرَكَهُ» [البخاري: ٣٥٦٣، ومسلم: ٢٠٦٤].

وَكَانَ ﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ ﷻ وَيُسَمِّي فِي أَوَّلِهِ، ويَحْمَدُهُ ﷻ فِي آخِرِهِ. [البخاري: ٥٤٥٨]. وَكَانَ ﷺ يَحُثُّ عَلَى أَحْسَنِ الْآدَابِ وَالْقَوَاعِدِ الصِّحِّيَّةِ فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، فَيَقُولُ: «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، حَسْبُ الْآدَمِيِّ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ غَلَبَتِ الْآدَمِيَّ نَفْسُهُ، فَثُلُثٌ لِلطَّعَامِ، وَثُلُثٌ لِلشَّرَابِ، وَثُلُثٌ لِلنَّفَسِ» [الترمذي: ٢٣٨٠، والنسائي في الكبرى: ٦٧٣٨، وابن ماجه: ٣٣٤٩].

وَكَانَ ﷺ يَنْهَى عَنِ التَّنَفُّسِ فِي الإِنَاءِ، فَيَقُولُ: «إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَتَنَفَّسْ فِي الإِنَاءِ» [البخاري: ١٥٣، ومسلم: ٢٦٧].

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «لَا آكُلُ وَأَنَا مُتَّكِئٌ» [البخاري: ٥٣٩٨].

وَكَانَ ﷺ يُحِبُّ أَنْوَاعًا مِنَ الأَطْعِمَةِ، وَتُعْجِبُهُ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهَا، وَمِنْ ذَلِكَ:

«الدُّبَّاءُ» أَيِ: «الْقَرْعُ» [البخاري: ٢٠٩٢، ومسلم: ٢٠٤١].

«الْحَلْوَاءُ» [البخاري: ٥٤٣١، ومسلم: ١٤٧٤/٢١].

«الْعَسَلُ» [البخاري: ٥٤٣١، ومسلم: ١٤٧٤/٢١].

«الذِّرَاعُ مِنَ اللَّحْمِ» [البخاري: ٣٣٤٠، ومسلم: ١٩٤].

«الزُّبْدُ وَالتَّمْرُ» [أبو داود: ٣٨٣٧].

«الْمَاءُ الطَّيِّبُ» [البخاري: ١٤٦١، ومسلم: ٩٩٨].

١٧ـ لِبَاسُهُ وَأَنَاقَتُهُ ﷺ:

كَانَ ﷺ يَرْتَدِي أَحْسَنَ اللِّبَاسِ، وَيَعْتَنِي بِنَقَاءِ مَلَابِسِهِ وَنَوْعِهَا وَأَلْوَانِهَا. وَكَانَ ﷺ إِذَا أَقْبَلَ رَأَيْتَ الْجَمَالَ الْبَاهِرَ، وَالْحُسْنَ الْبَدِيعَ، وَالأَنَاقَةَ الْمُتَنَاسِقَةَ.

يَقُولُ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ» [البخاري: ٥٩٠١، ومسلم: ٢٣٣٧]. وَيَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «لَقَدْ رَأَيْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنَ الْحُلَلِ» [أبو داود: ٤٠٣٧]. وَكَانَتْ لَهُ ﷺ جُبَّةٌ «يَلْبَسُهَا لِلْوُفُودِ وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ» [البخاري في الأدب المفرد: ٣٤٨].

وَكَانَ ﷺ يَحُثُّ عَلَى التَّزَيُّنِ وَالتَّجَمُّلِ، وَعِنْدَمَا قِيلَ لَهُ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ» [مسلم: ٩١].

وَيَقُولُ ﷺ: «فَإِذَا آتَاكَ اللهُ مَالًا فَلْيُرَ أَثَرُ نِعْمَةِ اللهِ عَلَيْكَ وَكَرَامَتِهِ» [أبو داود: ٤٠٦٣، والترمذي: ٢٠٠٦، والنسائي: ٥٢٢٣].

١٨ـ طِيبُهُ وَطَهَارَتُهُ ﷺ:

قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَطْهَرَ النَّاسِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَكَانَ ﷺ مَثَلًا أَعْلَى فِي رُقِيِّ الذَّوْقِ، وَجَمَالِ الْمَظْهَرِ، وَحُسْنِ الْأَنَاقَةِ، وَحُبِّ النَّظَافَةِ، وَالِاهْتِمَامِ بِالطِّيبِ وَالرَّوَائِحِ الزَّكِيَّةِ، وَمِنْ دَلَائِلِ نُبُوَّتِهِ ﷺ أَنَّ رَائِحَتَهُ أَطْيَبُ مِنْ شَذَا الْعُطُورِ وَأَزْكَى مِنْ عَبِيرِ الزُّهُورِ.

يَقُولُ أَنَسٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وَلَا شَمِمْتُ مِسْكَةً وَلَا عَبِيرَةً أَطْيَبَ رَائِحَةً مِنْ رَائِحَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ» [البخاري: ٣٥٦١، ومسلم: ٢٣٣٠].

وَمَعَ ذَلِكَ فَكَانَ يُحِبُّ الطِّيبَ، وَيُكْثِرُ التَّطَيُّبَ بِأَطْيَبِ مَا يَجِدُ. [البخاري: ٥٩٢٣، ومسلم: ١١٩٠/٤٤].

وَكَانَ ﷺ يَعْتَنِي بِتَرْجِيلِ شَعَرِهِ وَتَسْرِيحِهِ وَتَطْيِيبِهِ حَتَّى وَهُوَ مُعْتَكِفٌ فِي الْمَسْجِدِ؛ إِذْ كَانَ يُدْنِي رَأْسَهُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فَتُرَجِّلُهُ. [البخاري: ٢٩٦، ومسلم: ٢٩٧]. «تَرْجِيلُ الشَّعْرِ»: تَزْيِينُهُ وَتَسْوِيَتُهُ.

وَكَانَ ﷺ مَعَ طَهَارَةِ فَمِهِ لَا يَكَادُ يَدَعُ السِّوَاكَ، فَإِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ بَدَأَ بِهِ، وَإِذَا تَوَضَّأَ بَدَأَ بِهِ، وَإِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ بَدَأَ بِهِ [البخاري: ٢٤٥ و١١٣٦، ومسلم: ٢٥٣ و٢٥٥ و٢٥٢]، وَإِذَا صَلَّى بَدَأَ بِهِ، فَيَقُولُ ﷺ: «لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ» [البخاري: ٨٨٧، ومسلم: ٢٥٢]. وَكَانَ ﷺ لَا يَأْكُلُ الثُّومَ وَالْبَصَلَ، وَيَنْهَى مَنْ أَكَلَهُمَا أَنْ يَقْرَبَ الْمَسْجِدَ؛ حَتَّى لَا يُؤْذِيَ الْمُصَلِّينَ وَالْمَلَائِكَةَ بِرَائِحَتِهِ. [البخاري: ٨٥٥، ومسلم: ٥٦٤].

وَمِنْ هَدْيِهِ الْكَرِيمِ ﷺ: الِاسْتِنْجَاءُ بَعْدَ قَضَاءِ الْحَاجَةِ، وَالْوُضُوءُ عِنْدَ الصَّلَاةِ، وَالْغُسْلُ مِنَ الْجَنَابَةِ، وَالْغُسْلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ.

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ» [مسلم: ٢٢٣].

وَكَانَ ﷺ يَأْمُرُ أَصْحَابَهُ بِالتَّنَظُّفِ وَالتَّزَيُّنِ فَيَقُولُ: «حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَوْمًا يَغْسِلُ فِيهِ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ» [البخاري: ٨٩٧ و٨٩٨، ومسلم: ٨٤٩]. وَيَقُولُ ﷺ: «غُسْلُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ، وَسِوَاكٌ، وَيَمَسُّ مِنَ الطِّيبِ مَا قَدَرَ عَلَيْهِ» [البخاري: ٨٨٠، ومسلم: ٨٤٦/٧].

وَ«كَانَ ﷺ لَا يَرُدُّ الطِّيبَ» [البخاري: ٢٥٨٢]، وَيَقُولُ ﷺ: «مَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ رَيْحَانٌ فَلَا يَرُدُّهُ؛ فَإِنَّهُ خَفِيفُ الْمَحْمِلِ طَيِّبُ الرِّيحِ» [مسلم: ٢٢٥٣].

وَكَانَ ﷺ يَأْمُرُ بِتَنْقِيَةِ الْجَسَدِ مِمَّا يَجْلِبُ الْأَمْرَاضَ وَالرَّائِحَةَ الْكَرِيهَةَ، يَقُولُ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وُقِّتَ لَنَا فِي قَصِّ الشَّارِبِ، وَتَقْلِيمِ الْأَظْفَارِ، وَنَتْفِ الْإِبِطِ، وَحَلْقِ الْعَانَةِ، أَلَّا نَتْرُكَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» [مسلم: ٢٥٨].

١٩- تَعَامُلُهُ ﷺ فِي بَيْتِهِ:

كَانَ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ مُعَامَلَةً لِأَهْلِهِ، وَأَفْضَلَهُمْ تَرْبِيَةً، وَأَجْمَلَهُمْ

تَوجِيهًا، وَأَلْطَفَهُمْ تَعلِيمًا، إِنَّهَا بُيُوتٌ فَاحَ مِنهَا عَبِيرُ العِلْمِ وَالحُبِّ وَالمَوَدَّةِ، وَأَرِيجُ الطُّهرِ وَالتَّقوَى وَالعَفَافِ. سُئِلَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: مَاذَا كَانَ يَصنَعُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَيتِهِ؟ فَقَالَتْ: «كَانَ يَكُونُ فِي مِهنَةِ أَهلِهِ - تَعنِي خِدمَةَ أَهلِهِ - فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ» [البخاري: ٦٧٦]. وَأَخبَرَت رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهُ ﷺ «كَانَ يَخِيطُ ثَوبَهُ، وَيَخصِفُ نَعلَهُ، وَيَعمَلُ مَا يَعمَلُ الرِّجَالُ فِي بُيُوتِهِم» [أحمد: ٢٤٩٠٣]. «يَخصِفُ»: يُرَقِّعُ. وَأَنَّهُ ﷺ «كَانَ يَحلُبُ شَاتَهُ، وَيَخدُمُ نَفسَهُ» [أحمد: ٢٦١٩٤].

وَسُئِلَتْ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: بِأَيِّ شَيءٍ كَانَ يَبدَأُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ بَيتَهُ؟ قَالَتْ: «بِالسِّوَاكِ» [مسلم: ٢٥٣].

وَعَنهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كُنتُ أَشرَبُ وَأَنَا حَائِضٌ، ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ ﷺ، فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوضِعِ فِيَّ، فَيَشرَبُ، وَأَتَعَرَّقُ العَرْقَ وَأَنَا حَائِضٌ، ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ ﷺ، فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوضِعِ فِيَّ» [مسلم: ٣٠٠].
«أَتَعَرَّقُ العَرْقَ»: آخُذُ اللَّحمَ بِأَسنَانِي مِنَ العَظمِ.

وَعَنهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُقَبِّلُ وَيُبَاشِرُ وَهُوَ صَائِمٌ، وَكَانَ أَملَكَكُمْ لِإِرْبِهِ» [البخاري: ١٩٢٧، ومسلم: ١١٠٦/٦٥]. «أَملَكَكُمْ لِإِرْبِهِ»: أَقدَرَكُمْ عَلَى التَّحَكُّمِ بِنَفسِهِ وَشَهوَتِهِ.

وَعَنهَا رَضِيَ اللهُ عَنهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا صَلَّى، فَإِنْ كُنتُ مُستَيقِظَةً حَدَّثَنِي، وَإِلَّا اضطَجَعَ حَتَّى يُؤذَنَ بِالصَّلَاةِ. [البخاري: ١١٦١، ومسلم: ٧٤٣].

وَعَنهَا رَضِيَ اللهُ عَنهَا: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي وَأَنَا رَاقِدَةٌ مُعتَرِضَةٌ عَلَى فِرَاشِهِ، فَإِذَا أَرَادَ أَن يُوتِرَ أَيقَظَنِي فَأَوتَرتُ» [البخاري: ٥١٢، ومسلم: ٥١٢].

وَعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا، قَالَ: «بِتُّ عِندَ خَالَتِي مَيمُونَةَ، فَتَحَدَّثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَ أَهلِهِ سَاعَةً، ثُمَّ رَقَدَ» [البخاري: ٤٥٦٩، ومسلم: ٧٦٣/١٩٠].

وَكَانَ ﷺ يُنَادِي فِي النَّاسِ: «خَيرُكُم خَيرُكُم لِأَهلِهِ، وَأَنَا خَيرُكُم لِأَهلِي» [الترمذي: ٣٨٩٥].

وَعَن جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، قَالَ: «وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلًا سَهلًا، إِذَا هَوِيَتِ الشَّيءَ تَابَعَهَا عَلَيهِ» [مسلم: ١٢١٣/١٣٧]. أَي: عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنهَا.

٢٠ـ تعامله ﷺ مع الأطفال:

كَانَ ﷺ يُحِبُّهُم، وَيَفرَحُ بِمَرآهُم، وَيَأنَسُ بِلِقَائِهِم، وَيَدعُو لَهُم، وَيُدَاعِبُهُم، وَيُوصِي بِهِم، وَيُحسِنُ تَربِيَتَهِم، وَالعَدلِ بَينَهُم، وَالرِّفقِ مَعَهُم، وَالرَّحمَةِ بِهِم. عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُؤتَى بِالصِّبيَانِ، فَيُبَرِّكُ عَلَيهِم، وَيُحَنِّكُهُم. [البخاري: ٦٠٠٢، ومسلم: ٢٨٦].

«يُبَرِّكُ»: يَدعُو بِالبَرَكَةِ. «يُحَنِّكُهُم»: يَمضَغُ التَّمرَ فِي فِيهِ ثُمَّ يُدَلِّكُ بِهِ حَنَكَ الصَّبِيِّ.

وَعَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ذَهَبَتْ بِي خَالَتِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ ابْنَ أُخْتِي وَجِعٌ، فَمَسَحَ رَأْسِي وَدَعَا لِي بِالْبَرَكَةِ، ثُمَّ تَوَضَّأَ فَشَرِبْتُ مِنْ وَضُوئِهِ» [البخاري: ١٩٠، ومسلم: ٢٣٤٥].

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ صَلَاةَ الْأُولَى، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَهْلِهِ وَخَرَجْتُ مَعَهُ، فَاسْتَقْبَلَهُ وِلْدَانٌ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدَّيْ أَحَدِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا، وَأَمَّا أَنَا فَمَسَحَ خَدِّي، فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا -أَوْ: رِيحًا-، كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ عَطَّارٍ» [مسلم: ٢٣٢٩]. «صَلَاةُ الأُولَى»: الظُّهرُ، «الجُؤْنَةُ»: مَا يُوضَعُ فِيهِ الطِّيبُ.

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا غُلَامُ، سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»، فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ. [البخاري: ٥٣٧٦، ومسلم: ٢٠٢٢].

«الصَّحْفَةُ»: إِنَاءٌ لِلطَّعَامِ.

وَعَنْ مَحْمُودِ بْنِ الرَّبِيعِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «عَقَلْتُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ مَجَّةً مَجَّهَا فِي وَجْهِي وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ مِنْ دَلْوٍ» [البخاري: ٧٧، ومسلم: ٣٣/٢٦٥ (١/٤٥٦)]. «المَجَّةُ»: شَرْبَةٌ مِنَ المَاءِ، «دَلْوٌ»: إِنَاءٌ لِرَفْعِ المَاءِ مِنَ البِئْرِ.

وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ وَأُمَامَةُ بِنْتُ أَبِي الْعَاصِ عَلَى عَاتِقِهِ، فَصَلَّى، فَإِذَا رَكَعَ وَضَعَ، وَإِذَا رَفَعَ رَفَعَهَا» [البخاري: ٥٩٩٦، ومسلم: ٥٤٣].

وَكَانَ ﷺ يُقْعِدُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَلَى فَخِذِهِ، وَيُقْعِدُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَلَى فَخِذِهِ الْأُخْرَى، وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ ارْحَمْهُمَا، فَإِنِّي أَرْحَمُهُمَا» [البخاري: ٦٠٠٣].

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ: أَبُو عُمَيْرٍ، ... فَكَانَ إِذَا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَآهُ، قَالَ: «أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟» فَكَانَ يَلْعَبُ بِهِ. [البخاري: ٦٢٠٣، ومسلم: ٢١٥٠]. «النُّغَيْرُ» تَصْغِيرُ نُغَرٍ، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الطُّيُورِ.

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. [مسلم: ٢٣١٦].

٢١ـ تعامله ﷺ مع الفقراء واليتامى والمساكين:

قال تعالى: ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الروم: ٣٨]،

وَ قَالَ: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾ [الضحى: ٩، ١٠].

وَقَدْ وَصَفَ اللهُ ﷻ الْأَبْـرَارَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨].

وَكَانَ ﷺ يَحْنُو عَلَيْهِمْ وَيَتَفَقَّدُهُمْ، وَيَأْمُرُ بِالْعِنَايَةِ بِهِمْ، وَالْإِنْفَاقِ عَلَيْهِمْ، وَيَتَعَهَّدُهُمْ، وَيَجْعَلُ لَهُمْ نَصِيبًا وَافِرًا مِنْ وَقْتِهِ وَإِكْرَامِهِ وَعَطْفِهِ وَاهْتِمَامِهِ. وَكَمْ كَانَ يَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ سُرُورًا إِذَا بَادَرَ النَّاسُ بِالصَّدَقَةِ عَلَيْهِمْ وَالإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ. [مسلم: ١٠١٧].

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ؟!» [البخاري: ٢٨٩٦]. وَيُنَادِي ﷺ فِي النَّاسِ قَائِلًا: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا»، وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا. [البخاري: ٥٣٠٤].

وَفِي لَفْظٍ: «كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ» [مسلم: ٢٩٨٣]. وَيَقُولُ ﷺ: «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ الْقَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ» [البخاري: ٥٣٥٣، ومسلم: ٢٩٨٢].

وَأَخْبَرَ ﷺ أَنَّ الْمَالَ «نِعْمَ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ مَا أَعْطَى مِنْهُ الْمِسْكِينَ وَالْيَتِيمَ وَابْنَ السَّبِيلِ» [البخاري: ١٤٦٥، ومسلم: ١٠٥٢/١٢٣].



٢٢ـ تعامله ﷺ مع الخدم:

كَانَ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ تَعَامُلًا مَعَ الْخَدَمِ، وَأَرْقَاهُمْ وَأَحْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ؛ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي: أُفٍّ، وَلَا: لِمَ صَنَعْتَ؟ وَلَا: أَلَّا صَنَعْتَ؟» [البخاري: ٦٠٣٨، ومسلم: ٢٣٠٩]. «أُفٍّ»: تعبيرٌ عَنِ التَّضَجُّرِ.

وَعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَذْهَبُ، وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ، فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي، فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: «يَا أُنَيْسُ، أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. [مسلم: ٢٣١٠].

وَيَقُولُ ﷺ: «إِنَّ إِخْوَانَكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَأَعِينُوهُمْ» [البخاري: ٣٠، ومسلم: ١٦٦١] «خَوَلُكُمْ»: خَدَمُكُمْ.

وَيَقُولُ ﷺ: «إِذَا أَتَى أَحَدَكُمْ خَادِمُهُ بِطَعَامِهِ، فَإِنْ لَمْ يُجْلِسْهُ مَعَهُ، فَلْيُنَاوِلْهُ أُكْلَةً أَوْ أُكْلَتَيْنِ، أَوْ لُقْمَةً أَوْ لُقْمَتَيْنِ؛ فَإِنَّهُ وَلِيَ حَرَّهُ وَعِلَاجَهُ» [البخاري: ٥٤٦٠، ومسلم: ١٦٦٣]. «وَلِيَ حَرَّهُ وَعِلَاجَهُ» أي: طَبْخَهُ وإِعْدَادَهُ.

٢٣ـ اهتمامه ﷺ بالبيئة ومحافظته عليها:

كَثِيرَةٌ هِيَ الْآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ الَّتِي فِيهَا ذِكْرٌ لِلْبِيئَةِ وَالْكَوْنِ وَالْفَلَكِ وَالطَّبِيعَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ:

قَالَ: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠].

وَأَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ بَعْضِ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُجْرِمِينَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥].

وَقَالَ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَـٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَـٰوِرَٰتٌ وَجَنَّـٰتٌ مِّنْ أَعْنَـٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ

وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد: ٣، ٤] «صِنْوَانٌ»: أي: يجمعها أصل واحد، وقال: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [النمل: ٦٠].

وَحَثَّ ﷺ عَلَى الاهتِمَامِ بِالْبِيئَةِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى سَلَامَتِهَا وَنَقَائِهَا وَبَقَائِهَا. فَقَالَ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ» [البخاري: ٢٣٢٠، ومسلم: ١٥٥٣].

وَقَالَ ﷺ: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَلَّا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ» [أحمد: ١٢٩٨١]. «الفَسِيلَةُ»: النَّخْلَةُ الصَّغِيرَةُ.

وَقَالَ ﷺ: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ» [ابن ماجه: ٢٣٤٠].

وَقَالَ ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ» [مسلم: ١٩٧٨]. «مَنَارُ الأَرْضِ»: عَلَامَةُ الأَرْضِ الَّتِي تَتَمَيَّزُ بِهَا حُدُودُهَا.

وَيُشَجِّعُ ﷺ عَلَى إِعْمَارِ الْأَرْضِ، فَيَقُولُ: «مَنْ أَعْمَرَ أَرْضًا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ فَهُوَ أَحَقُّ» [البخاري: ٢٣٣٥].

وَقَالَ ﷺ عَنْ مَوْتِ الْفَاجِرِ: «الْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ، وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ» [البخاري: ٦٥١٢، ومسلم: ٩٥٠].

وَمِنْ شَوَاهِدِ الانْسِجَامِ مَعَ الْبِيئَةِ قَوْلُهُ ﷺ: «أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ» [البخاري: ١٤٨١، ومسلم: ١٣٩٢].

وَأَخْبَرَ ﷺ أَنَّ إِمَاطَةَ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ. [البخاري: ٢٩٨٩، ومسلم: ١٠٠٩]. وَأَنَّهَا مِنْ شُعَبِ الإِيمَانِ [مسلم: ٣٥/٥٧].

وَقَالَ ﷺ: «اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ»، قَالُوا: وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ فِي ظِلِّهِمْ» [مسلم: ٢٦٩]. «يتخلَّى»: يتخذُهُ خلاءً لِقضاءِ الحاجةِ.

وَقَالَ ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ» [البخاري: ٦٥٢، ومسلم: ١٩١٤].

وَيَقُولُ ﷺ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ» [مسلم: ١٩٥٥].

وإنك لعلى خلق عظيم

كَانَ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَأَفْضَلَهُمْ تَعَامُلًا، وَأَجْمَلَهُمْ بِشْرًا، وَأَوْسَعَهُمْ حِلْمًا، وَأَعْظَمَهُمْ رَحْمَةً.

ﷺ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وَوَصَفَهُ اللهُ ﷻ بِأَوْجَزِ عِبَارَةٍ، وَأَلْطَفِ إِشَارَةٍ، فَقَالَ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].

وَيَقُولُ ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ» [البزار: ٨٩٤٩]. وَفِي رِوَايَةٍ: «صَالِحَ الأَخْلَاقِ» [أحمد: ٨٩٥٢].

وَحِينَمَا سُئِلَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَنْ خُلُقِهِ ﷺ قَالَتْ: «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ» [مسلم: ٧٤٦].

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا» [البخاري: ٦٢٠٣، ومسلم: ٦٥٩].

وَعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ» [البخاري: ٦٠٣٣، ومسلم: ٢٣٠٧].

وَعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ سَبَّابًا، وَلَا فَحَّاشًا، وَلَا لَعَّانًا» [البخاري: ٦٠٣١] «الْفُحْشُ»: سُوءُ الْخُلُقِ وَبَذَاءَةُ اللِّسَانِ.

وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ

فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا» [البخاري: ٦٠٣٥، ومسلم: ٢٣٢١].

وَيَقُولُ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا» [الترمذي: ٢٠١٨].

أَجْمَلُ إِنْسَانٍ فِي الْكَوْنِ ﷺ

كَمَا أَكْرَمَ اللهُ ﷻ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِأَجْمَلِ خُلُقٍ، فَقَدْ أَكْرَمَهُ ﷻ بِأَجْمَلِ خَلْقٍ؛ فَكَانَ ﷺ «أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا، وَأَحْسَنَهُ خَلْقًا» [البخاري: ٣٥٤٩، ومسلم: ٢٣٣٧/٩٣].

وَكَانَ ﷺ: «أَبْيَضَ مَلِيحًا مُقَصَّدًا» [مسلم: ٢٣٤٠/٩٩] «مُقَصَّدًا»: وَسَطًا، فَلَيْسَ بِنَحِيفٍ وَلَا سَمِينٍ.

وَكَانَ ﷺ: «أَزْهَرَ اللَّوْنِ» [البخاري: ٣٥٤٧، ومسلم: ٢٣٣٠/٨٢]. لَيْسَ بِالْأَبْيَضِ الشَّدِيدِ الْبَيَاضِ، وَلَيْسَ بِالْأَسْمَرِ، بَلْ كَانَ ﷺ «أَبْيَضَ مُشْرَبًا حُمْرَةً» [الترمذي: ٣٦٣٨، وعبدالله بن أحمد في زوائد للمسند: ٩٤٤].

وَكَانَ جِسْمُهُ ﷺ «كَأَنَّ بَيَاضَهُ قُضْبَانُ فِضَّةٍ» [النسائي في الكبرى: ١٣].

وَكَانَ ﷺ: «رَبْعَةً مِنَ الْقَوْمِ؛ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلَا بِالْقَصِيرِ» [البخاري: ٣٥٤٧، ومسلم: ٢٣٤٧].

وَكَانَ وَجْهُهُ ﷺ: «مِثْلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ» [مسلم: ٢٣٤٤/١٠٩]. وَكَانَ ﷺ «إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ»

[البخاري: ٣٥٥٦، ومسلم: ٢٧٦٩].

وَ«إِذَا غَضِبَ احْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ» [البخاري: ٩١، ومسلم: ١٧٢٢/٢].

وَكَانَ ﷺ «كَأَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي فِي جَبْهَتِهِ» [أحمد: ٨٦٠٤]. وَكَانَ ﷺ «أَكْحَلَ الْعَيْنَيْنِ» [أحمد: ٧٦١].

«بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ» [البخاري: ٣٥٥١، ومسلم: ٢٣٣٧].

«ضَخْمَ الْيَدَيْنِ» [البخاري: ٥٩٠٦].

«بَسْطَ الْكَفَّيْنِ» [البخاري: ٥٩٠٧].

وَكَانَتْ يَدُهُ ﷺ تَفُوحُ طِيبًا «كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ عَطَّارٍ»

[مسلم: ٢٣٢٩]. «الجُؤْنَةُ»: مَا يُوضَعُ فِيهِ الطِّيبُ.

وَكَانَ ﷺ «ضَخْمَ الْقَدَمَيْنِ» [البخاري: ٥٩٠٨].

«مَنْهُوسَ الْعَقِبَيْنِ» [مسلم: ٢٣٣٩]. أَيْ: قَلِيلَةُ اللَّحْمِ.

أَمَّا شَعَرُ رَأْسِهِ ﷺ فَكَانَ إِلَى مَنْكِبَيْهِ. [البخاري: ٥٩٠٣، ومسلم: ٢٣٣٨/٩٥].

وَكَانَ ﷺ رَقِيقَ الْمَلْمَسِ، زَكِيَّ الرَّائِحَةِ، رَاسِخَ الْخُطَا، رَزِينَ الْمَشْيِ. يَقُولُ أَنَسٌ رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَزْهَرَ اللَّوْنِ،

كَأَنَّ عَرَقَهُ اللُّؤْلُؤُ، إِذَا مَشَى تَكَفَّأَ، وَلَا مَسِسْتُ دِيبَاجَةً وَلَا حَرِيرَةً أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا شَمِمْتُ مِسْكَةً وَلَا عَنْبَرَةً أَطْيَبَ مِنْ رَائِحَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ» [البخاري: ٣٥٦١، ومسلم: ٢٣٣٠/٨١].

سيرة النبي ﷺ في الدار الآخرة

هَذَا مُوجَزٌ لِأَهَمِّ الْمَعَالِمِ لِسِيرَتِهِ ﷺ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ:

١. أَنَّهُ ﷺ سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ [البخاري: ٤٧١٢، ومسلم: ١٩٤].

٢. أَنَّهُ ﷺ أَوَّلُ مَنْ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. [البخاري: ٢٤١١، ومسلم: ٢٣٧٣].

٣. أَنَّهُ ﷺ أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ [مسلم: ٣٣٢/١٩٦].

٤. أَنَّهُ ﷺ أَوَّلُ مَنْ يُفْتَحُ لَهُ بَابُ الْجَنَّةِ [مسلم: ١٩٧].

٥. أَنَّ رَبَّهُ ﷻ قَدْ أَعْطَاهُ الْكَوْثَرَ. [سورة الكوثر] [البخاري: ٤٩٦٤، ومسلم: ٤٠٠].

٦. أَنَّ حَوْضَهُ ﷺ مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا. [البخاري: ٦٥٧٩، ومسلم: ٢٢٩٢]. وكوز: إِنَاءٌ يُشْرَبُ بِهِ. وَأَنَّهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ [مسلم: ٢٣٠٠].

٧. أَنَّهُ ﷺ أَكْثَرُ الأَنبِيَاءِ عليهم السلام تبعًا يَوْمَ القِيَامَةِ. [مسلم: ١٩٦/٣٣٢].

٨. أَنَّهُ ﷺ يَشْهَدُ عَلَى الأُمَمِ يَوْمَ القِيَامَةِ أَنَّ الأَنبِيَاءَ عليهم السلام بَلَّغُوهُمْ رِسَالَةَ رَبِّهِمْ. [النسائي في الكبرى: ١١٠٠٧، ابن ماجه: ٤٢٨٤، وأصله في البخاري: ٣٣٣٩].

٩. أَنَّ الأُمَمَ تَطْلُبُ مِنْهُ ﷺ أَنْ يَشْفَعَ لَهَا مِنْ هَوْلِ المَوْقِفِ، فَيَسْتَأْذِنُ رَبَّهُ ﷻ فِي الشَّفَاعَةِ، فَيَأْذَنُ لَهُ ﷻ وَيَقُولُ: «يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ» [البخاري: ٧٥١٠، ومسلم: ١٩٣].

١٠. أَنَّهُ ﷺ أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ. [مسلم: ٢٢٧٨].

١١. أَنَّ أَسْعَدَ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ ﷺ يَوْمَ القِيَامَةِ «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ» [البخاري: ٩٩].

أسألك مرافقتك في الجنة

عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ الأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ، فَقَالَ لِي: «سَلْ»، فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الجَنَّةِ، قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟» قُلْتُ:

هُوَ ذَاكَ، قَالَ: «فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ» [مسلم: ٤٨٩].

وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ

قَالَ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

وَقَالَ ﷺ: «فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ» [البخاري: ٧٢٨٨، ومسلم: ١٣٣٧].

وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا

طَاعَةُ النَّبِيِّ ﷺ طَاعَةٌ للهِ ﷻ، وَهِيَ طَرِيقٌ لِلْفَوْزِ وَسَبِيلٌ لِلْهُدَى وَبُسْتَانٌ لِلسَّعَادَةِ، وَعُنْوَانٌ لِلنَّجَاةِ، وَقَدْ تَعَدَّدَتِ الآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ وَالأَحَادِيثُ النَّبَوِيَّةُ الَّتِي تَأْمُرُ بِطَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَتُحَذِّرُ مِنْ مَعْصِيَتِهِ.

قَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وَقَالَ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وَقَالَ: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النور: ٥٤].

وَيَقُولُ ﷺ: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ» [البخاري: ٧١٣٧، ومسلم: ١٨٣٥/٣٣].

وَيَقُولُ ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى؟! قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى» [البخاري: ٧٢٨٠].

مَحَبَّةٌ وَاتِّبَاعٌ

قَالَ ﷻ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]. وَقَالَ ﷻ: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. «عَزَّرُوهُ»: وَقَّرُوهُ وَعَظَّمُوهُ.

إِنَّ حُبَّهُ ﷺ وَاتِّبَاعَهُ لَأَسَاسٌ فِي الدِّينِ، وَأَصْلٌ مَكِينٌ، لَا يَصِحُّ إِيمَانٌ إِلَّا بِهِ، وَلَا يُقْبَلُ عَمَلٌ إِلَّا مَعَهُ.

يَقُولُ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» [البخاري: ١٥، ومسلم: ٧٠/٤٤].

وَأَخْبَرَ ﷺ أَنَّ مِمَّا يَجِدُ بِهِ الْإِنْسَانُ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ «أَنْ يَكُونَ

اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا» [البخاري: ١٦، ومسلم: ٤٣]. إِنَّهُ ﷺ الأُسْوَةُ الحَسَنَةُ، وَالقُدْوَةُ الطَّيِّبَةُ، الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ ﷻ بِاتِّبَاعِهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١]. وَقَالَ ﷺ: «فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» [البخاري: ٥٠٦٣، ومسلم: ١٤٠١]. وَيَقُولُ ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» [البخاري: ٢٦٩٧، ومسلم: ١٧١٨].

(رَدٌّ) أَيْ: مَرْدُودٌ.

أنت مع من أحببت

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «وَمَا أَعْدَدْتَ لِلسَّاعَةِ؟»، قَالَ: حُبَّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، قَالَ: «فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ». قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بَعْدَ الإِسْلَامِ فَرَحًا أَشَدَّ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ». قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِأَعْمَالِهِمْ [البخاري: ٣٦٨٨، ومسلم: ٢٦٣٩].

وَعَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمْ يَلْحَقْ

بِهِمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» [البخاري: ٣٦٨٨، ومسلم: ٢٦٣٩].

الَّذِينَ أَحَبُّوهُ ﷺ وَمَا رَأَوْهُ

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ فِي يَدِهِ، لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أَحَدِكُمْ يَوْمٌ وَلَا يَرَانِي، ثُمَّ لَأَنْ يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ مَعَهُمْ» [البخاري: ٣٥٨٩، ومسلم: ٢٣٦٤].

وَيَقُولُ ﷺ: «مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي، يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ» [مسلم: ٢٨٣٢].

وَيَقُولُ ﷺ: «وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا»، قَالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ: «أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ» [مسلم: ٢٤٩].

أُمَّتِي أُمَّتِي

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

[التوبة: ١٢٨]. «عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ» أَيْ: يَعِزُّ عَلَيْهِ مَا يَشُقُّ عَلَيْكُمْ.

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ حَرِيصًا عَلَى هِدَايَةِ النَّاسِ جَمِيعًا، رَحِيمًا بِهِمْ،

أَمَّا أُمَّتُهُ ﷺ فَقَدْ كَانَ مُحِبًّا لَهَا، صَادِقًا مَعَهَا، مُشْفِقًا عَلَيْهَا، وَلَقَدْ كَانَ ﷺ يَدَعُ بَعْضَ الأَعْمَالِ مَعَ حُبِّهِ لَهَا خَشْيَةَ أَنْ تُفْرَضَ عَلَى أُمَّتِهِ فَيَشُقَّ ذَلِكَ عَلَيْهَا؛ فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيَدَعُ الْعَمَلَ، وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ؛ خَشْيَةَ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ، فَيُفْرَضَ عَلَيْهِمْ» [البخاري: ١١٢٨، ومسلم: ٧١٨].

وَقَدْ رَفَعَ ﷺ يَدَيْهِ مُبْتَهِلًا إِلَى رَبِّهِ ﷻ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي» وَبَكَى، فَقَالَ اللَّهُ ﷻ: «يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ -وَرَبُّكَ أَعْلَمُ- فَسَلْهُ: مَا يُبْكِيكَ؟» فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا قَالَ - وَهُوَ أَعْلَمُ - فَقَالَ اللَّهُ: «يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلَا نَسُوءُكَ» [مسلم: ٢٠٢].

وَدَعَا ﷺ رَبَّهُ ﷻ قَائِلًا: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي» [مسلم: ٨٠].

وَقَالَ ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ يَدْعُو بِهَا، وَأُرِيدُ أَنْ أَخْتَبِئَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي فِي الْآخِرَةِ» [البخاري: ٦٣٠٤، ومسلم: ١٩٨].

وَفِي رِوَايَةٍ: «فَهِيَ نَائِلَةٌ -إِنْ شَاءَ اللَّهُ- مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا» [مسلم: ١٩٩].

حقوق النبيِّ ﷺ على أمته

لِلنَّبِيِّ ﷺ عَلَى أُمَّتِهِ حُقُوقٌ كَثِيرَةٌ، مِنهَا:

١. الإِيمَانُ بِهِ ﷺ وَأَنَّهُ رَسُولُ اللهِ ﷻ وَخَاتَمُ الأَنبِيَاءِ وَالمُرسَلِينَ ﷺ [التغابن: ٨] [الأحزاب: ٤٠] [البخاري: ٣٥٣٥، ومسلم: ٢٢٨٦/٢٢].

٢. تَقدِيمُ مَحَبَّتِهِ ﷺ عَلَى النَّفسِ وَالأَهلِ وَالمَالِ وَالنَّاسِ أَجمَعِينَ. [التوبة: ٢٤] [البخاري: ١٥، ومسلم: ٤٤].

٣. طَاعَتُهُ ﷺ وَالحَذَرُ مِن مَعصِيَتِهِ. [النور: ٦٣] [الحشر: ٧] [البخاري: ٧٢٨٠].

٤. تَحكِيمُهُ ﷺ فِي كُلِّ شَأنٍ، وَالتَّسلِيمُ لِأَمرِهِ، وَعَدَمُ التَّحَرُّجِ مِن ذَلِكَ. [النساء: ٦٥] [النور: ٥١].

٥. الاقتِدَاءُ بِهِ ﷺ وَاتِّخَاذُهُ الأُسوَةَ الحَسَنَةَ. [الأحزاب: ٢١].

٦. الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيهِ ﷺ. [الأحزاب: ٥٦] [مسلم: ٣٨٤] [الترمذي: ٤٨٤].

٧. بِرُّ آلِ بَيتِهِ ﷺ، وَحُبُّهُم وَتَوقِيرُهُم رضي الله عنهم، وَالصَّلَاةُ عَلَيهِم. [البخاري: ٣٣٥٧، ومسلم: ٤٠٦، ٢٤٠٨].

٨. حُبُّ أَزوَاجِهِ ﷺ أُمَّهَاتِ المُؤمِنِينَ رضي الله عنهن، وَتَوقِيرُهُنَّ،

وَالتَّرَضِّي عَنْهُنَّ. [البخاري: ٣٣٦٩، ومسلم: ٤٠٧].

٩. حُبُّ أَصحَابِهِ ﷺ، وَتَوقِيرُهُمْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَالتَّرَضِّي عَنْهُمْ. [التوبة: ١٠٠] [البخاري: ٣٦٧٣، ومسلم: ٢٥٤١].

١٠. عَدَمُ إِطْرَائِهِ ﷺ وَالْغُلُوِّ فِيهِ، فَهُوَ الْقَائِلُ: «فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ» [البخاري: ٣٤٤٥].

١١. تَحْبِيبُ هَدْيِهِ ﷺ إِلَى النَّاسِ، وَذَلِكَ بِالْحِرْصِ عَلَى جَمِيلِ التَّعَامُلِ، وَحُسْنِ الْخُلُقِ، وَكَرِيمِ الْخِصَالِ، وَالدَّعْوَةِ بِالْحِكْمَةِ، وَالْمُجَادَلَةِ بِالْحُسْنَى، وَالرِّفْقِ فِي التَّوْجِيهِ، وَالْبُعْدِ عَنِ التَّنْفِيرِ. [العنكبوت: ٤٦] [البخاري: ٦٩، ٢٢٠، ٦٠٢٤، ٦١٢٨، ٦١٢٥] [مسلم: ١٧٣٢، ٢٥٩٣، ٢٥٩٤].

صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ امْتِثَالٌ لِأَمْرِ اللَّهِ ﷻ، وَتَلْبِيَةٌ لِنِدَائِهِ، وَاسْتِجَابَةٌ لِمُرَادِهِ. فَهُوَ الْقَائِلُ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ تُنَالُ بِهَا صَلَوَاتُ اللهِ ﷻ وَرَحَمَاتُهُ، وَعَطَاؤُهُ وَبَرَكَاتُهُ، قَالَ ﷺ: «فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا» [مسلم: ٣٨٤]. وَأَقْبَلَ ﷺ يَوْمًا إِلَى أَصْحَابِهِ وَالْبُشْرَى فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ: «إِنَّهُ أَتَانِي الْمَلَكُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ رَبَّكَ يَقُولُ: أَمَا يُرْضِيكَ أَنَّهُ لَا يُصَلِّي عَلَيْكَ أَحَدٌ إِلَّا صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا، وَلَا يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَحَدٌ إِلَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا؟!» [النسائي: ١٢٨٣].

الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَعْظَمِ الْقُرُبَاتِ، وَأَفْضَلِ الطَّاعَاتِ، تُضَاعَفُ بِهَا الْحَسَنَاتُ، وَتُمْحَى الْخَطِيئَاتُ. قَالَ ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ، وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ» [النسائي: ١٢٩٧].

الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ دَلِيلٌ عَلَى مَحَبَّةِ الْقَلْبِ، وَطِيبِ النَّفْسِ، وَسُمُوِّ الْحِسِّ، وَصِدْقِ الِانْتِمَاءِ، وَرَوْعَةِ الِاقْتِفَاءِ. قَالَ ﷺ: «الْبَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ» [الترمذي: ٣٥٤٦، والنسائي في الكبرى: ٨٠٤٦].

الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ يُحِبُّهَا اللهُ ﷻ، وَتَحْمِلُهَا الْمَلَائِكَةُ عليهم السلام، وَتُبَلَّغُ لِلنَّبِيِّ ﷺ. قَالَ ﷺ: «صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ» [أبو داود: ٢٠٤٢]. وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ للهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ، يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ» [النسائي: ١٢٨٢].

الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إِعْلَانٌ لِلْحُبِّ وَالِامْتِثَالِ، وَإِجْلَالٌ لِلْأَهْلِ وَالْآلِ، عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه، أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ» [البخاري: ٣٣٦٩، ومسلم: ٤٠٧].

الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ، الْبَرُّ الْكَرِيمُ، الْهَادِي إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ. الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ الزَّكِيُّ، الرَّسُولُ الْوَفِيُّ، النَّقِيُّ التَّقِيُّ. الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ، وَعَلَى آلِكَ وَأَزْوَاجِكَ وَأَصْحَابِكَ أَجْمَعِينَ، وَعَلَى مَنْ تَبِعَكَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

صَلَّى عَلَيْكَ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ

يَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الثَّرَى وَاخْتَارَهُ ... مَوْلَاهُ إِنَّ اللهَ كَانَ حَكِيمَا

صَلَّى عَلَيْكَ اللهُ جِئْتَ مُجَدِّدًا ... وَمُؤَكِّدًا مِنْهَاجَ إِبْرَاهِيمَا

صَلَّى عَلَيْكَ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ ... يَا مَنْ رَسَمْتَ لَنَا الصِّرَاطَ قَوِيمَا

يَا مَنْ بُعِثْتَ إِلَى الْبَرِيَّةِ رَحْمَةً ... وَمُتَمِّمًا شِيَمَ الْعُلَا تَتْمِيمَا

صَلَّى عَلَيْكَ اللهُ يَا مَنْ هَدْيُهُ ... بَسَطَ الضِّيَاءَ وَبَدَّدَ التَّعْتِيمَا

صَلَّى عَلَيْكَ اللهُ مَا أَهْدَيْتَنَا ... نُورًا وَمَا أَوْلَيْتَنَا تَعْلِيمَا

صَلَّى عَلَيْكَ اللهُ مَا عَشِقَ الرِّضَا ... قَلْبٌ وَمَا حَمَلَ الصَّبَاحُ نَسِيمَا

إِنَّ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ ... تَكْفِي الْهُمُومَ وَلِلْمَوَدَّةِ سِيمَا

عُنْوَانُ بَهْجَتِنَا وَأُنْسُ نُفُوسِنَا ... صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمَا

مَقْطَعٌ مِنْ قَصِيدَةٍ لِلْمُؤَلِّفِ

الفهرس